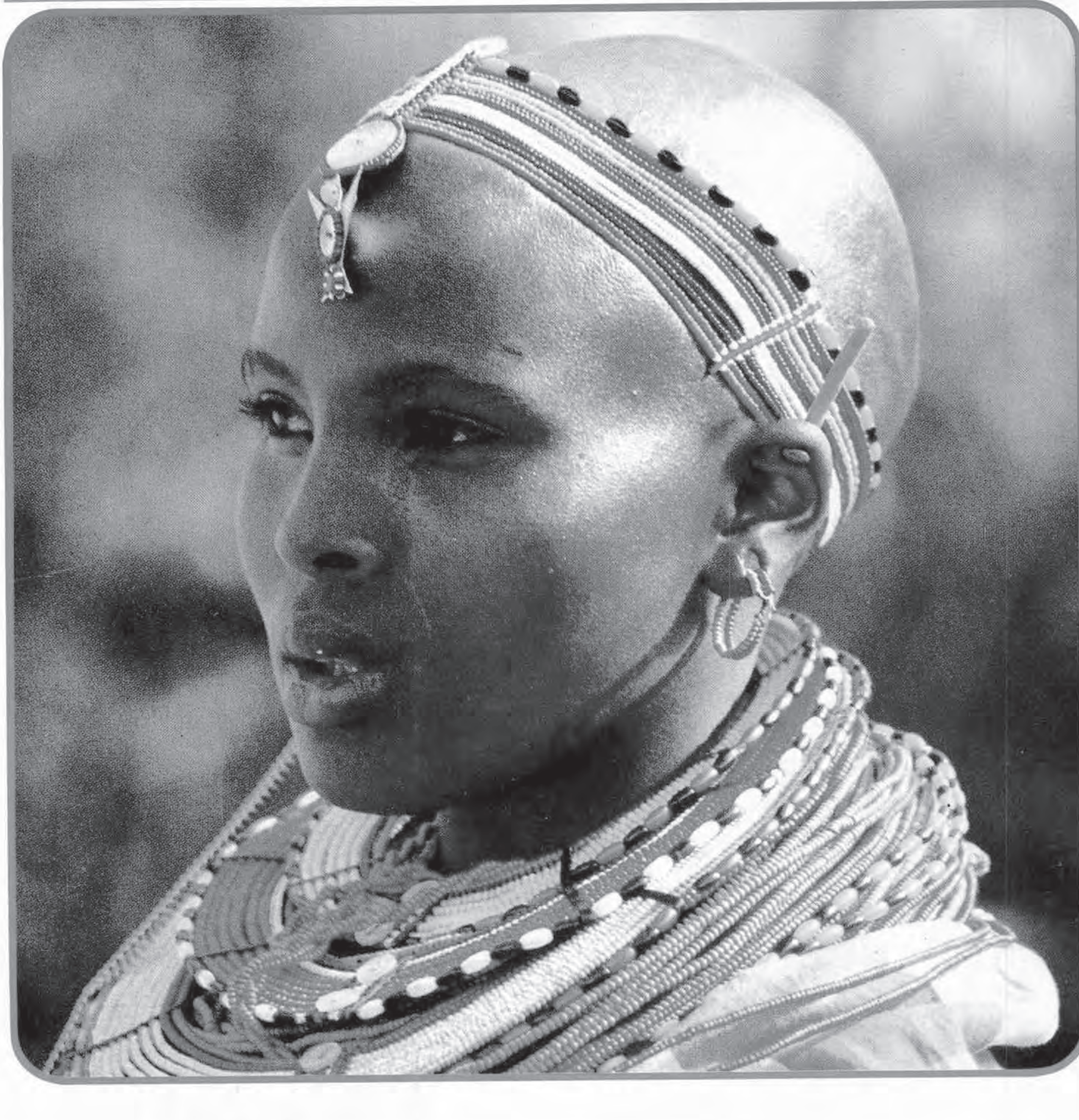
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 117 - 10TH YEAR - NOV./DEC. 1986.

العدد (١١٧) ـ ربيع الأول ١٤٠٧هـ ـ السنة العاشرة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦م.



صفحة مفقودة


أنقذني يا دكتور..
أنا خلاص
تبت إلى الأبد..
!!

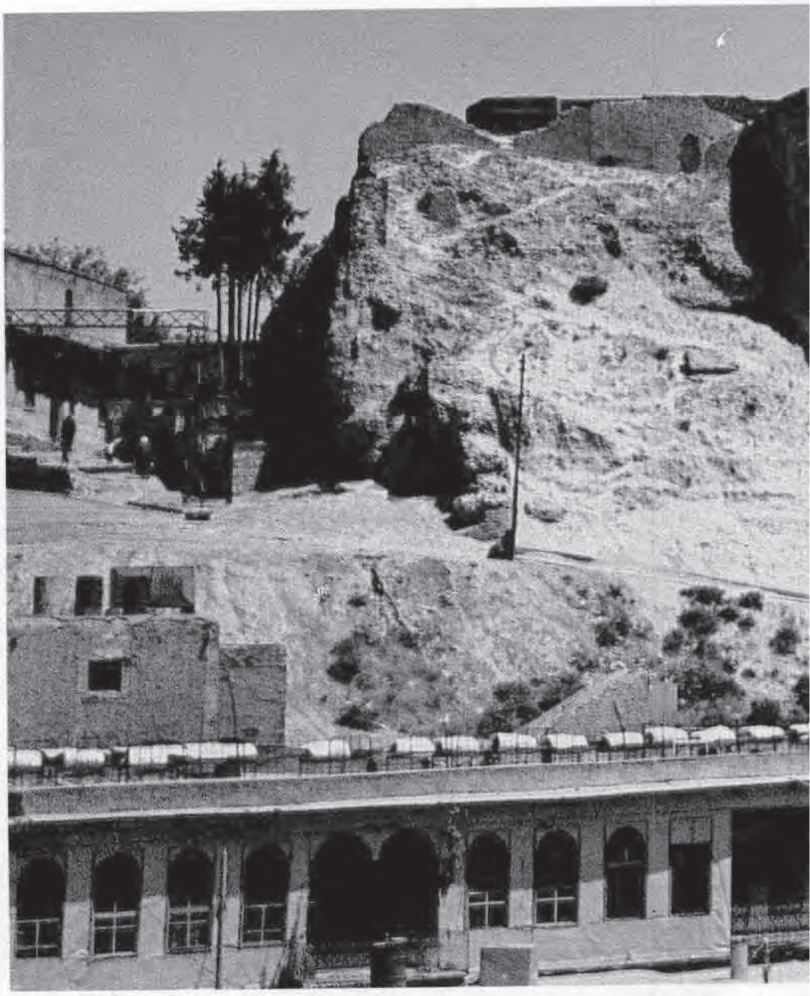


★ أربيـل ★

تاريخ الحضارة في

صاحب العراق الإنسانية منذ نشأتها الأولى ، وكانت الأقوام المحيطة به في مناطق جبلية وصحراوية ، تنظر إليه بحسد وطمع لخصوبة أرضه ، وكثرة ثرواته . ومن هنا ازدهر وازدحم تاريخه بشتى الأقوام والمدنيات ، تعيد قصتهم أطلال حزينة لمدن حفلت بكل غال ونفيس . ففي هذا البلد عرفت الإنسانية ـ لأول مرة ـ الزراعة المستقرة ، واهتدت إلى الكتابة التي أصبحت فيما بعد ، أهم دعامة للحضارة والمدنية ، وأنشئت فيها لأول مرة ، جامعة لنشر العلم ، وعرفت لأول مرة اختراع العجلة ، وعلى هذه الأرض وضع أول تقويم زراعي يساعد الفلاح في معرفة الفصول ، ونوعية الزرع لكل فصل .

في دراستنا للتاريخ ، وخاصة تاريخ بلاد الرافدين في الأحقاب القديمة ، نستطيع أن نلمس مدى عراقة وغنى الحضارة التي كانت موجودة فيها ، الحضارة الأصيلة والعريقة التي يفخر بها كل عربي ، حضارة يعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد ، حيث تم العثور في **كهف (شايندار)** على هيكل عظمي لإنسان كامل **(إنسان النيندرتال)** ، الذي يرجع تاريخه إلى (٤٥٠٠٠ ـ ٦٠,٠٠٠) سنة ، ويتشكّل التاريخ بعد هذا إلى الألف ، وبين الألف التاسع قبل الميلاد ، إنشاء واكتشاف الحضارة في **(تل الصوان)** بالقرب من **(سامراء)** ، في حدود ١١٠ كيلومترات شمالي **بغداد** على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، وهذا الموقع أعطى نماذج رائعة جداً للنحت في العصور قبل التاريخ . وهذه المنحوتات تتصف بقيمها الجمالية الشبيهة لقيم الفن المعاصر أو الفنون المعاصرة . وهذه المنحوتات الصغيرة تمثل في أغلبيتها (الإله الأم) ، مما يدل على وجود معتقدات متقدمة نوعاً ما ، ثم يأتي الألف الخامس قبل الميلاد ، وأبرز مثل على حضارة هذه الحقبة هي مكتشفات **(تل حسونة)**





★ حوائط بابيلون ★



★ أسد بابيلون ★

العراق

بقلم: لوسي يوسف

غربي مدينة **الموصل** وبعض طبقات **نينوى**، والطبقات السفلى في السامراء. وتتمثل هذه المكتشفات خصوصاً بالفخاريات الملونة والمنقوشة بأشكال مختلفة بين النباتية والهندسية والإنسانية والحيوانية، ثم يبرز في الألف الرابع قبل الميلاد فن من أهم الفنون التي تميّزت بها حضارة (وادي الرافدين)، وهو **فن الأختام المسطحة والأختام الأسطوانية**، ويمكن اعتبار هذه **الأختام من أهم الوثائق** التي تعطينا المعلومات الدقيقة عن الحياة بدءً من الألف الرابع قبل الميلاد، حتى نهاية **العهد البابلي**. أما الألف الثالث قبل الميلاد، فقد تميَّز بازدهار **الحضارة السومرية**، وهي أول حضارة متكاملة ومتقدمة عرفها الإنسان، وقد اكتشف آثار هذه الحضارة في بقايا مدن متعددة ما تزال آثارها تنتشر في مختلف أنحاء العراق جنوباً، ومن أهمها: (**الوركاء**)، و (**أريبو**)، و (**لغش**)، و (**التيبور**)، و (**العبيد**)، ومن أبرز المكتشفات التي تعطي فكرة عن التقدم الحضاري الكبير الذي بلغته حضارة السومريين هي مكتشفات ما يسمى (**بالمقبرة الملكية**) في **أور ـ سومر** في الحضارة وفي العلم عالم واسع جداً.

الأكاديون .. الساميون

في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، استولى (الأكاديون ـ الساميون) على الحكم في العراق الجنوبي، وأسسوا دولا مشهورة في التاريخ، **واتسعت رقعة المناطق التي حكموها من عيلام شرقاً حتى الأناضول شمالا والجزيرة السورية غرباً وشمال الجزيرة العربية والخليج جنوباً**.

وتدل المكتشفات الأثرية في مختلف الأنحاء التي تقع داخل هذه البقعة، على أن الحضارة (الأكادية) قد طورت معارف الإنسان وإمكاناته الإبداعية، بحيث يمكن اعتبار الفترة الأكادية، فترة تطور وتقدم بالنسبة للعهد (**السومري القديم**).

كان من أبرز ملوك الأكاديين (**سرجون الأكادي**)، وابنه (**نارمسن**). إلا أن السومريين استطاعوا العودة من جديد في فترتهم التي نسميها بالعهد السومري الجديد، حيث كان هذا العهد مرحلة ازدهار وتطور بالغين، وتدل الآثار والمكتشفات التي كشفت في تلك



★ الحدائق المعلقة / بابيلون ★

الفترة عن مدى الروعة والإتقان في الإخراج الشكلي . ومن أشهر الأمثلة على ذلك ، (التماثيل المصنوعة من الغرانيت) ، التي تمثل الملك ـ **الأمير غوديا** ـ حاكم مدينة لغش ، وعدد كبير من هذه التماثيل ما تزال معروضة في **(متحف اللوفر في باريس)** . وقد تميّز العهد السومري الجديد بالاستفادة من التجربة (الأكادية) ، لأن تلك التجربة اتصفت بنوع من الواقعية والاهتمام بالتفاصيل الطبيعية للحياة . وقد انتهى العهد السومري الجديد حينما استولى البابليون (الساميون أيضاً) على الحكم ، حيث استطاعوا أن يوحدوا مختلف المقاطعات في دولة عظيمة اشتهر من ملوكها **(حمورابي)** ، هذا الملك الذي اقترن اسمه بالشرائع والقوانين التي نشرها أسساً وركائز اعتمدت عليها مملكته لإقامة العدل وحفظ حقوق الإنسان ، ولعل **(مسلة حمورابي) الموجودة حالياً في متحف اللوفر** ، تعطي الدليل القاطع على **أن فكرة تسجيل حقوق الإنسان هي من إبداع الفكر الحضاري العراقي ، علماً بأن علماء الآثار قد اكتشفوا قوانين وشرائع أخرى أقدم من شريعة حمورابي ، بحيث تسبقها بعدة قرون مثل (شرائع مملكة إشمونة)** .

البابليون

كان **الفن البابلي** انعكاساً رائعاً للسمو الذي بلغته الحضارة والحياة في بابل ، وكانت مدينة (بابل العاصمة) مركزاً مرموقاً استراتيجياً للعالم المتحضر ـ وكان التقدم الحضاري قد تغلغل في نواحي الحياة وميادينها ـ امتدت تأثيراته غرباً وشرقاً وشمالا وجنوباً ، باتساع رقعته ، هذه الإمبراطورية الكبيرة التي انتمى تاريخها بالعديد من الحقائق التي تعطي للإنسان الرافديني ، الأسبقية في الإبداع ، وحين نطّلع على الكثير من أصوليات حياتنا الحديثة المعاصرة نرى أصولها وجذورها تعود في الغالب إلى تلك الحضارات الرافدينية وخصوصاً إلى الحضارة البابلية .

الآشورية

أما **الحضارة الآشورية** ، فإنها قد بلغت مرحلة لم يكن لها مثيل فيما سبقها من المراحل . وإنها بدأت في رقعة محدودة في شمال العراق ، إلا أنها سرعان ما توسعت وبلغت كل ما نسميه اليوم بالشرق الأوسط ، إمبراطورية عظيمة تعتمد على الإبداع والاختراع والتطور في كل ميادين الحياة القديمة والحاضرة . **بلغت حدود هذه الإمبراطورية من قوقاسيا حتى الخليج العربي ، ومن ميديسا وعيلام حتى مصر وفلسطين وسورية وبلاد**



★ بوابة إيشتار / بابيلون ★

الأناضول . وكان الفن الآشوري أمثولة حية للعظمة التي بلغتها الإمبراطورية الآشورية ، وكان أيضاً مرحلة تقدم وتطور بالنسبة للصياغة والتقنية الفنية ، وكان يشمل ذلك كل أنواع الفنون من نحت ورسم وصياغة مجوهرات . بالإضافة إلى الصناعات العسكرية ، حيث إن التقدم والتنظيم العسكري في الإمبراطورية الآشورية ، كان من أهم ما وصلت إليه العبقريات الإنسانية في ذلك العصر .

البابلية من جديد

بعد حلول الضعف في الحضارة الآشورية ازدهرت الحضارة البابلية من جديد في نشرتها الثانية ، ونتذكر أحد ملوك بابل الذي ترك بصماته على تاريخ وادي الرافدين **هو (الملك نبوخذ نصر)** ، ولعله اشتهر عند الغرب كثيراً بسبب ما يعتقد من أنه بنى **(لامرأته الجنائن المعلقة التي اعتبرت من إحدى عجائب العالم السبع)** ، وكانت نهاية بابل على يد **الإسكندر الكبير** الذي عرفت حملته الكبيرة في الشرق ، والذي توفي ودفن بالقرب من مدينة بابل .

حضارات أخرى

في القرن الثاني قبل الميلاد ، نشأت مملكة عربية في مدينة الحضر ، الواقعة على بعد ٧٠ كيلومتراً غرب مدينة الموصل في البادية التي تقترب اليوم من الحدود السورية ـ العراقية ، وقد أسس هذه المملكة (كاهن كان اسمه نصر) ، وكان ذلك على أنقاض موقع آشوري قديم يقع على ملتقى الطرق التجارية القديمة بين الشرق والغرب ، وأعقب النصر ملك النصر القديم المعروف بملك (سمطروف الأول) ، استمرت هذه المملكة العربية ذات الحضارة المتميِّزة بصفاتها العربية حوالي أربعة قرون من الزمن ، في العطاء الحضاري والثقافي والعسكري ، ولقد اكتشفت في أنقاض مدينة الحضر ، التي عرفت مجداً عسكرياً عظيماً ، تمثل بعجز الجيش الروماني الذي حاصرها بقيادة الإمبراطور **كراجان** من بلوغ أسوارها ، وكذلك تميِّزت بتفوقها العسكري من حيث التقنية ، حيث **إننا نعلم حتى اليوم أن (المنجنيق) هو إبداع عسكري حضري ومن مدينة حضر بالذات .**

مدينة نينوى

مدينة نينوى من أهم المراكز الحضارية في العالم ، ولها مكانة بارزة في مضمار الحضارة الإنسانية وتقدمها باعتبارها من أعظم العواصم التي تطورت فيها المعارف والفنون ، فقد اتخذها **الآشوريون** مركزاً للحكم ، وكانت منزلتها من

حيث الأهمية بعد **آشور** العاصمة الدينية الأولى لهم .

وتنتشر أطلال نينوى في الضفة الشرقية من نهر دجلة قبالة مدينة **الموصل** في شمال العراق ، فإلى الجنوب منها ، تقع مدينة آشور ، أما إلى الشمال منها ، فتقع مدينة **خرسباد** ، وإلى الشرق منها ، تقع مدينة **أربيل** (مدينة الآلهة الأربعة) .

ولمدينة نينوى أهمية استراتيجية عالمية لكونها تتوسط مراكز الحضارات القديمة في بلاد **الأناضول وأرمينيا** ، والمراكز الحضارية في سواحل البحر الأبيض المتوسط ، **وإن تسمية نينوى** ، تعني اسم مدينة كانت تابعة إلى **مملكة كلش** في بلاد سومر . فعرفت نينوى بهذا الاسم ، لأن تلك المدينة كانت موضعاً لعبادة الآلهة **نينا** ، وكانت هذه الآلهة مشهورة عند البابليين في جنوب العراق ، كما كان لها معبد في مدينة **الوركاء** ـ أوروك ، وفي غيرها من المدن العراقية ، إلا أنها أصبحت فيما بعد عند الآشوريين الآلهة **عشتار** التي كان لها مركز كبير ومرموق بين الآلهة الآشورية ، فهناك عشتار أربيل ، وعشتار نينوى .

معالم نينوى

يعتبر ما تبقى من أطلال هذه المدينة من الآثار المتمثلة بشكل تلال وأسوار ، فشكل المدينة بسورها العظيم الممتد طولا من الشمال إلى الجنوب ، ومن أبرز معالمها **التلان** الهائلان الأول هو (**تل قوينجق**) ، والثاني (**تل النبي يونس**) ، ويضم تل قوينجق القصور الملكية والمعابد والمرافق الإدارية ، ويعد المركز الرئيسي للعاصمة الآشورية نينوى ، ولدى فحص طبقات هذا التل ، نجد فيها تعدد مراحل زمنية مختلفة متعاقبة فوق بعضها البعض ، وأقدمها التي تعود لعصر حسونة حوالي ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وتنتهي بأعلى الطبقات وهو العصر الإسلامي . أما تل النبي يونس ، يقع هذا التل في القسم الجنوبي من مدينة نينوى ، يضم تل النبي يونس قصر أسرحدون ، وقلاعاً للعديد من الملوك



★ مئذنة حلزونية سامراء ★

الآشوريين وبعض المعابد والأبنية العامة .

ويعرف هذا التل باسم النبي يونس ، وذلك نسبة إلى النبي يونس (**يونان بن متى**) صاحب الحوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (سورة يونس ـ الأنعام) ، وكذلك في التوراة ، ويذكر أن هذا النبي عاش في مدينة نينوى وبشر فيها . وقد ذكر المؤرخون العرب (أمثال **المسعودي ـ وابن الأثير ـ وياقوت ـ وابن حوقل**) الكثير عن مدينة نينوى ، وتل النبي يونس الذي كان يعرف أيضاً بتل التوبة ، وتسمية التوبة جاءت في حادثة البلاء الذي أحلّ بأهل نينوى «كان يونس من أهل مدينة نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعثه الله إليهم فدعاهم إلى الله فكذبوه ، فخوفهم بعذاب الله في وقت معيّن وفارقهم . فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار عذاب الله لهم خرجوا بالنساء والأطفال إلى هذا التل الموجود شرقي دجلة ، واجتمعوا مع بعضهم البعض وسألوا الله العفو عنهم ثم تابوا وآمنوا ، فكشف الله عنهم العذاب» .

والتل باقٍ إلى الآن ، ويسمى بتل التوبة ، وعليه مشهد مقصود .

ومن المناسب هنا ، ذكر أقدم خبر عن مدينة نينوى في الإسلام عن **النبي (صلى الله عليه وسلم)** ، استناداً إلى رواية **ابن هشام** ، في السيرة النبوية الشريفة (عندما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى **الطائف** ولقي من أهلها الكثير من الأذى . . . جاءه غلام نصراني يقال له «**عداس**» يحمل طبقاً من العنب ، فأقبل الغلام ووضع الطبق بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسأل الغلام : من أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ فأجاب : نصراني وأنا من أهل نينوى ، فقال النبي : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال النبي : ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على النبي وأسلم بين يديه) ، ويذكر المسعودي أن عداس صاحب النبي حتى قتل في **معركة بدر** .

ويقوم اليوم فوق تل النبي يونس مسجد هذا النبي ، ويعد من أهم الأماكن المقدسة في محافظة نينوى .

ويذكر أن مسجد النبي يونس ، كان في بادئ الأمر معبداً آشورياً ، ثم اتخذ موضعاً لعبادة النار ، ثم ديراً أو كنيسة مسيحية ، وأخيراً اتخذ جامعاً إسلامياً .



★ من آثار زبيدة القديمة ★

قصر سنحاريب

لعل من أبرز الأبنية في نينوى ، القصر الذي شيّده **الملك سنحاريب** ، الذي سماه بالقصر الذي لا مثيل له باسمه . فقد أظهرت التنقيبات صحة هذا الرأي لما لأبنيته وزخارفه ومرافقه من سعة وأبهة وفخامة .

يقع قصر سنحاريب في القسم الجنوبي من **تل قوينجق** ويحتل جزءً كبيراً من التل ذاته ، وهو كبقية القصور والأبنية الملكية والآشورية ، شيّد بجدران سميكة من اللبن ومغلفة بالمرمر وأحجار الحلان المنحوتة بالمواضيع المختلفة . غلفت الجدران على ارتفاع ثلاثة أمتار بالمنحوتات الملونة ، وفوقها رسوم جدارية ملونة أيضاً ، ومواضيعها مكملة لمواضيع المنحوتات . وأغلب جدرانه وأرضياته مغطاة بأنفس المعادن والأحجار والأخشاب . فقد استعمل سنحاريب في تزيينه من المعادن الذهب والفضة والنحاس ، ومن الحجر حجر الحلان الأحمر والأبيض وبألوان متعددة ، والرخام بأنواعه ، كما استعمل العاج ومن الأخشاب الاسفندان ، والتوت ، والأرز ، والصنوبر ، والزيتون ، والبلوط ، وكانت الجدران عليها حلة بالألوان البراقة تعكس ضوء الشمس في النهار والأضوية المستعملة في الليل بأشكال بديعة وبألوان جميلة لا تضاهى .

واستخدم سنحاريب المعادن لصب أشكال من الحيوانات الحارسة ، التي توضع عادة في مداخل الأبنية مثل : الثيران والأسود المجنحة ، وقد استخدم سنحاريب في أعمال البناء أعداداً غفيرة من أسرى الحرب من **الكلدانيين والآراميين واليهود** (وكان فيهم الملوك والأمراء والحكام والأسرى) . فمن الدراسات الأركيولوجية في نينوى ، نشير بأن هذه الدراسات أظهرت قاعة العرش ، وتعد هذه القاعة من أهم المرافق الموجودة في هذا القصر ، وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها **٥١** متراً ، وعرضها ١١,٥ متراً . ويوجد في الضلع الشرقية منها مدخلان يؤديان إليها من الساحة الكبيرة ، وقد ازداد جانبا كل مدخل بثورين مجنحين ، وجدران هذه القاعة مزدانة بألواح من المنحوتات الحجرية التي عليها رسوم لمشاهد كثيرة من الحياة الآشورية ، كما توجد عليها نصوص من الكتابات المسمارية تعود للملك سنحاريب ولفترة حكمه في المنطقة .

قصر آشور

كشفت التنقيبات الأثرية عن قصرين مهمين في تل قوينجق بنينوى : الأول قصر سنحاريب ، وهو يحتل قسماً من الجنوب الغربي من التل ، والقصر الثاني مكان يحتل قسماً من الشمال الشرقي لهذا التل ، وينسب إلى الملك آشور بانيبال ، والمعروف أن هذا الملك قد سكن عند أول توليه الحكم في قصر الملك سنحاريب ، واتخذ من بعض مرافقه وقاعاته مخازن وقاعات مطالعة كمكتبته الشهيرة ، فقد كشف في القصر الجنوبي الغربي عن آلاف الرقم الطينية ، وتوصل إلى اكتشافها علماء آثار بريطانيين ، وقد نقلت جميعاً إلى المتحف البريطاني . كما عثر في قصر آشور بانيبال على الألواح المنحوتة بالنحت البارز ، التي تزين اليوم قاعات واسعة من المتحف البريطاني ، وهي تحتوي على مواضيع شتى منها حربية ، ومنها احتفالات دينية . ومن أشهر ما فيها موضوع صيد الأسود ، وهي تمثل أهم الألواح في تاريخ تطور الفن الآشوري .

أما **مكتبة آشور بانيبال** ، فهي من أجمل النفائس التي اكتشفتها الحفائر الآثارية في مدينة نينوى للفترة ما بين ١٨٤٢ ــ ١٩٣٣ م ، وهي تمثل مجامع من ألواح الطين التي دونت عليها بالخط المسماري مختلف فنون المعرفة ، وهي تبحث في مجالات شتى بمجموعها تكون خزانة للوثائق المدونة ، وأنها تعد من أعظم الخزائن في العالم القديم لشمولها وتعدد أبحاثها . ولما كان العراق هو الموطن الأول للتدوين ، لذا فإن أغلب الملوك والحكام دونوا أعمالهم وسجل حكمهم في مسجلات اعتبرت مصادر لتاريخ العراق القديم .

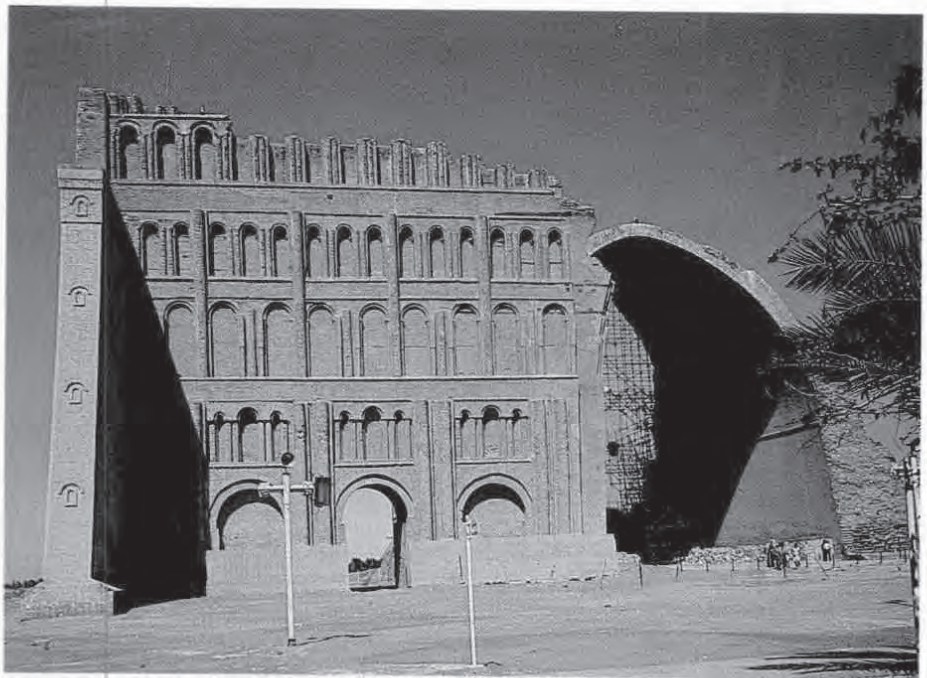
إن الملك **سرجون الثاني (٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق . م) ، يعتبر من أقدم الملوك الآشوريين الذين عملوا في تكوين خزانة للكتب ، فقد عثر على ألواح دونت في عهده وعليها ختم خزانته . إلا أن تلك الخزانة لم تزدهر وتأخذ مكانتها المرموقة إلا في عهد الملك آشور بانيبال** (٦٦٩ ــ ٦٢٤ ق . م) ، وفي عهده ازدهرت المعارف والثقافات الإنسانية ، فقد كرس جهوده

في الدراسات الثقافية والدينية والعلمية ، حيث كان محباً للعلم وذواقاً للآداب على خلاف غيره من الملوك ، الذين اشتغلوا بالنواحي العسكرية والفتوحات الخارجية ، وتشييد الأبنية الفخمة لتوطيد سلطانهم وتعزيز هيبتهم ، فكان آشور بانيبال عالماً وباحثاً ، وتدلنا إحدى كتاباته التي دونت على أسطوانة فخارية على ذلك حيث جاء فيها : « **أنا آشور بانيبال قد خزنت في عصري حكمة آشور ، واستوعبت مما في الألواح المدونة كل ما فيها من خفايا ومشاكل . . .** » . وكانت الألواح المدونة قبل إيداعها في خزانته ، تقرأ أمامه ليوافق عليها ،

وقد بعث بنساخه وخطاطيه إلى مظان العلم والأدب المختلفة في زمنه مثل : **الوركاء وبابل ويورسيبا وألد وآشور** فاستنسخوا له كل التآليف المهمة ، وحفظت في خزانته الشهيرة ،

وقد **اشتملت على جميع ما توصل إليه الإنسان من (فنون) العلم والأدب والدين والطقوس والسحر والأساطير والقصص : كقصة الخليقة ، وقصة الطوفان .**

ومكتبة آشور بانيبال ، كانت تحوي على ما يربو على ٣٠ ألف رقيم طيني ، نقلت جميعها إلى المتحف البريطاني ، عندما قام لفيف من الأجانب بأعمال الحفر والنبش في هذا الموقع الأثري وسرقوا تلك الكنوز العلمية النفيسة التي تفخر بها الإنسانية . ومن أهم وأبرز تلك الكتابات أجزاء من ملحمة كلكميش ، وقصة الطوفان ، وكانت على ألواح هذه المكتبة العظيمة تواقيع النساخ وختم المكتبة وأسماء أصحابها ، بالإضافة إلى وجود فهارس لها . لقد درست أغلب الرقم الطينية من قبل المختصين بالدراسات المسمارية ، ووضعت أبحاث عديدة لمحتوياتها ومجالاتها ، وهي بحق تمثل جانباً من التراث الحضاري لبلاد ما بين النهرين ، وتحكي لنا قصة المدنية الناضجة ، وما توصل إليه الفكر العربي في العراق من تقدم في مختلف مجالات الحياة .



★ قوس الستيسفون ★



★ هاترا ★

التنقيب في نينوى

وفد إلى العراق عدد من الرحالة الأوروبيين في القرن السابع عشر الميلادي ، ضمن جولات استطلاعية قاموا بها في موطن الحضارات القديمة في الشرق . فزاروا المعالم الأثرية في أرجاء وادي الرافدين وكتبوا الكثير في وصف مشاهداتهم ، وكان لنينوى النصيب الأوفى في تلك الكتابات . إن مدينة كنينوى زاخرة بفخامة أطلالها التي استهوت الكثير من الرحالة ، وقد زارها عدد من هؤلاء نذكر منهم **بنيامين التطيلي** (١١٦٠ ــ ١١٧٣ م) ، **ودلافيدا** (١٦١٦ ــ ١٦٢٥ م) ، غير أن بداية التنقيبات التي جرت في هذه المدينة كانت على شكل أعمال سبر ، قام بها المستشرق الإنكليزي (**كلوديس جيمس ريج** سنة ١٨٢٠ م) ، وعثر في تل قوينجق على

تلك الحفائر هو العثور على الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري الآشوري ومواضيعها الأسطورية (كملحمة كلكميش)، و (قصة الطوفان). غير أن أولى التنقيبات العلمية بدأت في نينوى سنة ١٩٢٧ م، حين أوفد المتحف البريطاني هيئة التنقيب برئاسة الأستاذ (**كامبل تومسن**)، وكان الهدف منها تكملة البحث عن الرقم الطينية ذات المحتوى الأدبي. وكذلك التنقيب في معبد (**عشتار**)، و (**نسابو**) الواقعين في المنطقة الوسطى من تل قوينجق. وقد عثرت البعثة على نوع من الفخار يعرف بفخار نينوى الطبقة الخامسة، حيث يعود تاريخها إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

غير أن التنقيبات الأثرية في نينوى، قد أجريت بنطاق واسع من قبل مديرية الآثار العامة في سنة ١٩٦٥ م، فكانت الضرورة تحتم القيام بذلك، وذلك لامتداد خطر العمران والسكنى في أراضيها الأثرية. والسبب الثاني هو المباشرة بالحفر من أجل تحقيق غرض علمي، حيث إن كثيراً من معالم هذه المدينة العريقة بمبانيها وآثارها لم تكن قد كشفت بعد، مما يستدعي تسليط أضواء جديدة على ما تبطنه من تراث حضاري إسلامي وعربي، نظراً لمكانتها الرفيعة بين مدن العالم القديمة، فباشرت **مديرية آثار العراق بقيادة الدكتور (طارق مظلوم) بالتنقيب في بوابة الشمس، وقصر سنحاريب، وبوابة أور**. وهذه الأعمال مستمرة كما أن جهات أخرى ساندت مديرية الآثار العامة في تنفيذ دراساتها للحفاظ على المعالم الأثرية لهذه المدينة الهامة والعريقة في التاريخ.



★ أوقيدر ★



★ معبد أجراجوف ★

صف من المنحوتات الآشورية البارزة، وكتب عنها في كتابه « Residesert Kurdistan »، فهيأ لغيره من طلاب الآثار فكرة الحفر في هذا الموقع، وتبعه بعد ذلك **هنري لايارد** سنة ١٩٥١ م.

وفي نينوى كشف عن قصر سنحاريب وآثاره العظيمة، وقد نقل كثيراً من الرقم الطينية التي تعود إلى مكتبة آشور بانيبال الشهيرة إلى المتحف البريطاني التي تتراوح أكثر من (٤٠) ألف رقيم. لقد حاول أيضاً بالحفر في تل النبي يونس، لكن أهالي المنطقة أوقفوه عند حده، وذلك لما يتمتع به تل النبي يونس من حرمة وقدسية.

وكان هدف هؤلاء الأثريين هو الحصول على المنحوتة بالنحت البارز والمجسمة لعرضها في متاحفهم التي كانت خالية في ذلك الوقت، وهذه الألواح موزعة الآن بين متاحف العالم، ومن أهمها المتحف البريطاني. وكان الغرض من

المراجع

(١) المعلومات مستقاة من خلال لقاء شخصي مع مدير الآثار والفنون العراقي السيد جميل حمودي، المقيم حالياً في باريس. وأضفت عليها بعض المعلومات من:

IRAK – Le Pays Du nouveau Fleuve "Par Pierre Rossi".



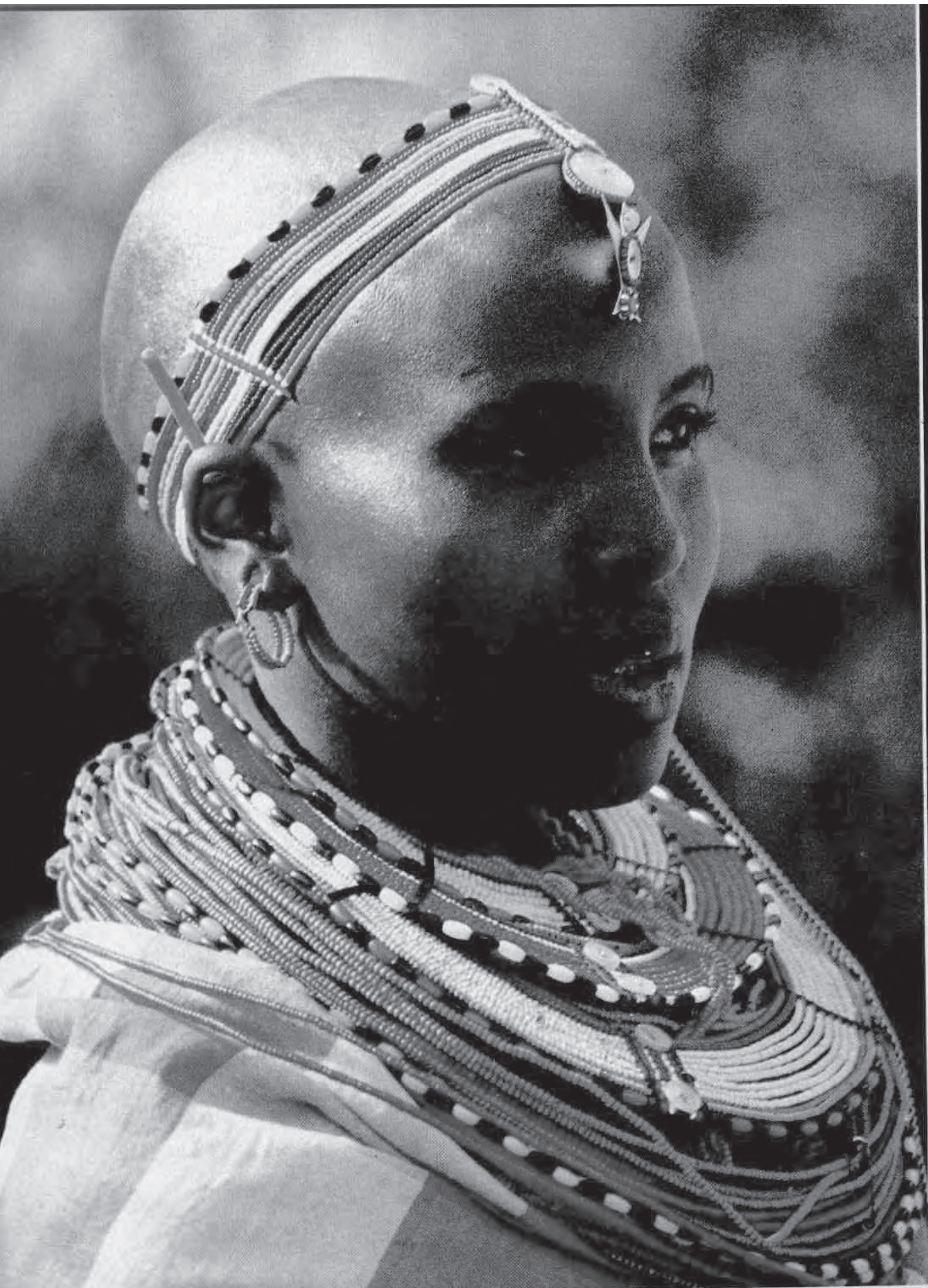
★ في مراعي الماساي ★

من عادات الشعوب

حياة الماساي.. مهرجان

من بين التجمعات البشرية العديدة في إفريقيا ، ربما كانت قبائل الماساي أكثر هذه التجمعات شهرة وتعرضا لأضواء البحث ، والكشف ومحاولات اكتناه الأسرار . مع ذلك ، فما أقل ما نعرف عن العالم الخلفي الحقيق الذي نبعت منه أسرار الماساي جميعها .

وربما كان بوسعنا أن نجد مفتاح السر وراء هذا التناقض في طبيعة مجموعة المناهج التي استخدمها الباحثون والرحالة





دائم

الأوروبيون ، في غمار محاولتهم للإطلال على حياة الماساي ، ذلك لأن هذه المناهج ، في غالبيتها ،



بقلم :
كامل يوسف حسين

تصب في بحر الرصد الظاهري ، الذي يستشرف مجمل الظواهر بحسبانها كذلك ، فهو يتناولها وصفاً

ورصداً وحصراً وإحصاء ، لكنه حينما يأتي الدور على الجوهر الأكثر أهمية ، وهو التحليل والتفسير والتبرير ، تمهيداً للفهم الكلي ، يكون قد أهدر طاقته الحقيقية .

ولم تكن حالة قبائل الماساي استثناء من هذه القاعدة ، لكن ذلك لا يحجب الثراء الهائل لنسيج حياة الماساي وعالمهم الخلفي ، المترع بالأساطير والأقاصيص والخفايا .

مقاتلون من أجل الحياة

تحيا قبائل الماساي على هضبة مرتفعة ، تخترقها الحدود الفاصلة بين **كينيا وتنزانيا** ، دون أن تفلح هذه الحدود في أن تفرض ذاتها على حياة أبناء هذه القبائل .

وقد يبدو لنا مدى اتساع نطاق شهرة الماساي إذا ما تذكرنا أن عدد أبناء قبائلها ، على الجانب الكيني من الهضبة ، لا يتجاوز مائتي ألف نسمة على أقصى تقدير .

ولكننا ، في الوقت نفسه ، نستطيع أن نطل على أحد أسباب تلك الشهرة ، إذا ما تذكرنا أنه حتى وقت قريب كانت هذه القبائل تضم بين أبنائها أعداداً هائلة من المحاربين ، تعكس اختلالا بالغ الوضوح ، بين العناصر المقاتلة والعدد الإجمالي لأبناء القبائل .

ولا يستمد هذا الاختلال ذاتيته من نزوع عدواني لدى الماساي ، أو استعداد طبيعي لاستيعاب وتلقي المهارات العسكرية ، وإنما هو ، على العكس من ذلك ، يضرب جذوره في رغبة مستميتة في الدفاع عن الحياة الإنسانية ، بما هي كذلك ، في مواجهة دفق هائل من الأخطار يبدأ من الطبيعة ومكوناتها ، ولا ينتهي عند الصراعات التقليدية بين القبائل الإفريقية .

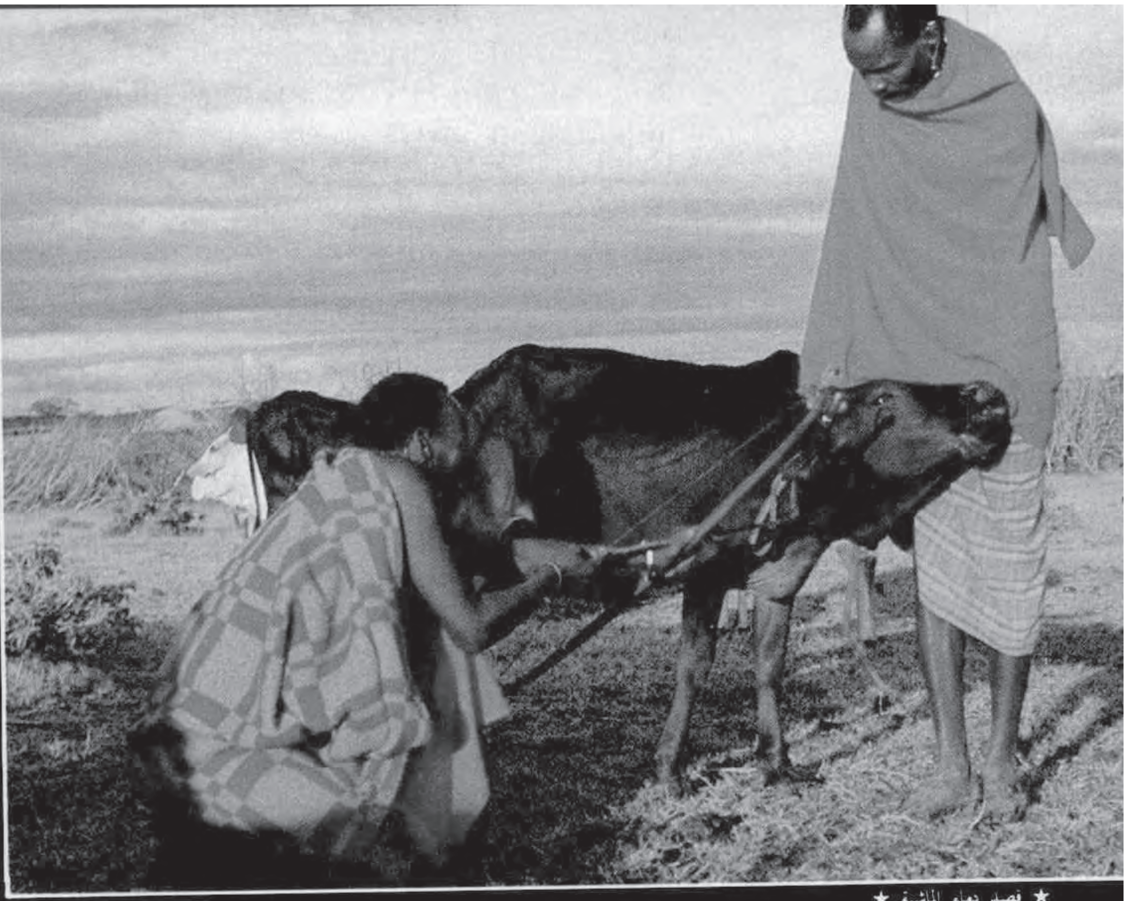
وعلاقة الماساي بالطبيعة أكثر تعقيداً ، مما تبدو لنا ، للوهلة الأولى ، فهم لا يسكنون الغابات ، وبالتالي لا يملكون رفاهية جعل الالتقاط طريقة إنتاج ، ومن ثم أسلوب حياة ، وإنما هم يسكنون هضبة تغطيها الحشائش الكثيفة ، الأمر الذي فرض عليهم أن يكونوا رعاة ، تتسم حياتهم بالخشونة البدوية ، التي تكفل حماية قطعان الماعز والأغنام والأبقار ، التي يرعونها ، من بطش الحيوانات المفترسة من ناحية ، ومن محاولات القبائل الأخرى الإغارة عليها ، تحقيقاً واكتساباً للمغانم ، من ناحية ثانية .



★ مزيج الماء والعسل واللبن ينثر فوق الرؤوس ★

وليس معروفاً على وجه الدقة من أين يستمد الماساي اسمهم ، ومع ذلك ، فالبعض يرجح أن هذا الاسم مستمد من **لغة « الما »** **Maa** التي يتحدثونها . وفي هذه اللغة ، فإن التحية الأكثر رقة هي : « بارك الله لك في قطعانك » ، الأمر الذي يعكس مدى أهمية هذه القطعان في حياة الماساي .

وتقاس ثروة الرجل من أبناء قبائل الماساي الإفريقية بعدد رؤوس الماعز أو الأغنام ، أو الأبقار التي يمتلكها ، وكلما كثر ما يملكه ، ارتفعت مكانة عائلته في سلم التقدير الاجتماعي للقبيلة .



★ قصد دماء الماشية ★



★ الطلاء الأحمر رمز الحرب ★



★ الفتيات الصغيرات حول المأدبة ★



★ الطلاء بالأبيض رمز السلام ★

ذلك أن هذه الرؤوس تتخلل، كالنغمة الدالة، نسيج حياة الماساي، فهي تستخدم في الاحتفالات والمهرجانات المتتابعة على مدار العام، التي تشكل أحداثاً اجتماعية بالغة الأهمية. وتستغل أيضاً كوسيط نقدي في عمليات البيع، والشراء، والمقايضة، ودفع الدية، والغرامة، كما أنها في المقام الأول، بالطبع، تقدم الغذاء اليومي لأبناء الماساي، الذين يعيشون أساساً على اللبن والدم (وهم يخلطون دم الحيوانات باللبن سواء أكان طازجاً أم رائباً)، واللحم والدهن. ولا تقتصر فائدة الحيوانات على ذلك، فجلودها تدبغ لصنع الحشايا والنعال وأغطية الرأس وعظامها تجوف لصنع الملاعق وأدوات الحفر، وفي قرون الحيوانات يحفظ الماس، وهو شراب يتألف من الماء والعسل، سنرى مدى أهميته لاحقاً، والروث بالطبع يستخدم في بناء الحظائر وأسقف البيوت، حيث يخلط بالأغصان لبناء أسطح وجدران متماسكة.

لكل فرد مهمته

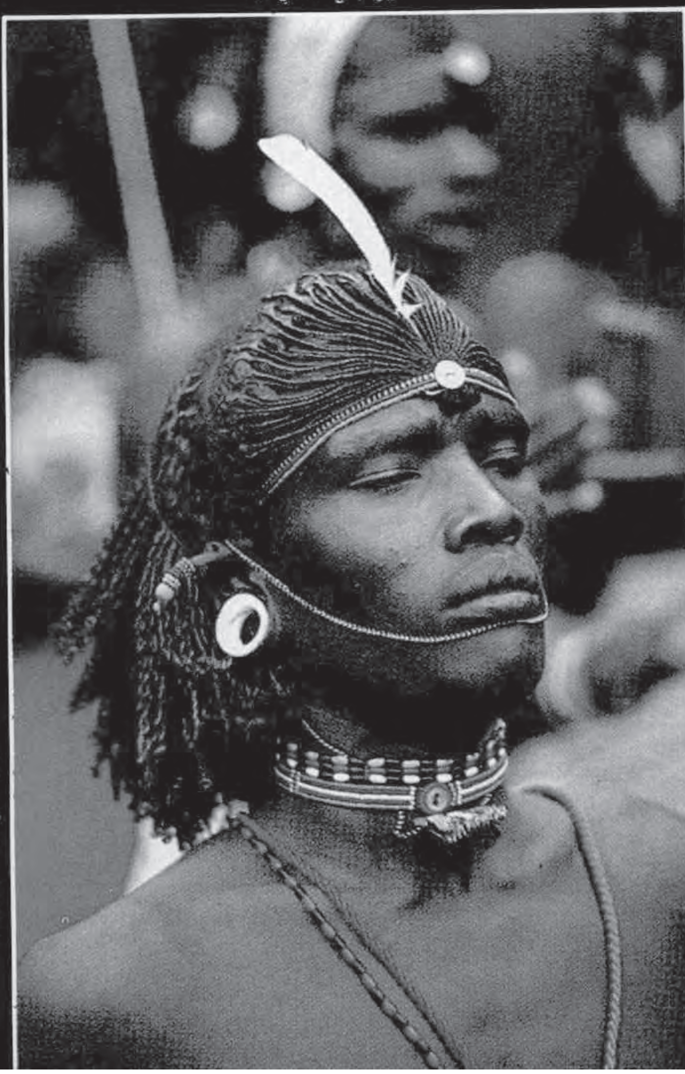
ومن شأن هذه الحياة الرعوية الخشنة، أن تفرض منطقها الخاص، حيث تقضي حداً أدنى من اقتسام المهام بين الرجال والنساء، بل حتى الأطفال. فهناك نوع من القانون الخفي يحدد المهام لكل فرد من أفراد الأسرة، على وجه التقريب، فالقطعان ولحومها هي من شأن الرجال، بصورة مطلقة، وقد يطيب لهم أن يرسلوا بعض اللحوم لزوجاتهم، لكنهم لا يقتسمون وجبة لحم واحدة مع نسائهم قط، وإنما



★ محاربو قبائل الماساي ★

يمكن اقتسامها مع الفتيات الصغيرات وحدهن .

وبالمقابل ، فإن الزوجات هن الملكات المتوجات على عالم الألبان ومنتجاتها ، فهن وحدهن من حقهن حلبها وتوزيعها ، كيفما يحلو لهن . وإذا كان العرف يحظر عليهن مزج اللبن باللحم ، فإن بمقدورهن أن يحصلن ، باستخدام سهم مدبب تجرح به رقاب الحيوانات ، على مقادير من دماء الحيوانات ، توضع على الفور في قرب وزقاق خاصة ، وتمزج باللبن في شتى صوره وألوانه . وعلى النساء كذلك يقع عبء رعاية الصغار والحيوانات ، بعد عودتها من المرعى ، وبناء البيوت ، ودبغ الجلود ، وصنع الملابس المستخدمة في الاحتفالات



★ ومن العاج زينة للآذان ★

والمهرجانات . أما متعتهن الحقيقية فلعلها تكمن في إبداع الحلي من قطع الزجاج الصغيرة الملونة ، التي تنظم في عقود بديعة الجمال .

وفيما يساهم الصبية الصغار في الرعي ، فإن الرجل هو الذي تقع على كاهله حصراً مهمة زيادة عدد رؤوس القطيع وحمايته من الأسود والفهود والضباع وغيرها من الحيوانات البرية ، وحمل السلاح في مواجهة العدو هو ، بالطبع ، مهمة الرجل ، التي تكتسب عند الماساي قدسية خاصة .

البرية مهد الرجولة

لا تزال عادات الماساي وتقاليدهم وأعرافهم ، تواصل

الحياة والازدهار بين ظهرانيهم حتى اليوم . ولعل أقواها ما يحكم اندراج حياة الرجل في معراج النمو والتطور ، فعبر سلاسل متتابعة من المهرجانات والاحتفالات يتم تمرير الصبية ، ليصبحوا من صغار المحاربين ، ثم من كبارهم ، ثم من صغار الشيوخ ، وأخيراً من كبارهم .

وإذا شئنا اختيار تقسيم أقل تعقيداً ، لقلنا إن حياة أي وليد لقبائل الماساي لا بد لها أن تمر بثلاث مراحل متوالية ، فهو طفل أولا ، ثم محارب ثانياً (ويسمون المحارب « **موران** » في لغتهم) ، ثم شيخ ثالثاً .

وفي الطفولة ، يرعى الصغير الحملان الصغيرة ، وتتدرج مهامه إلى أن يناط به حماية قطيع أسرته بكامله . ووحيداً في البرية يتعلم كيف يواجه الخطر . وفي معرض إبداء الشجاعة يتنافس الفتية أشد المنافسة ، حتى ليقدمون على حرق أيديهم وسيقانهم بالجمر ، ليبرهنوا على قدرتهم على التحمل . وفي وقت لاحق ترقش بطونهم بالوشم ، وتخترق آذانهم بعصى محترقة ، ثم تقطع بسكين ، وتحمل شحمات الآذان حلي ثقيلة .

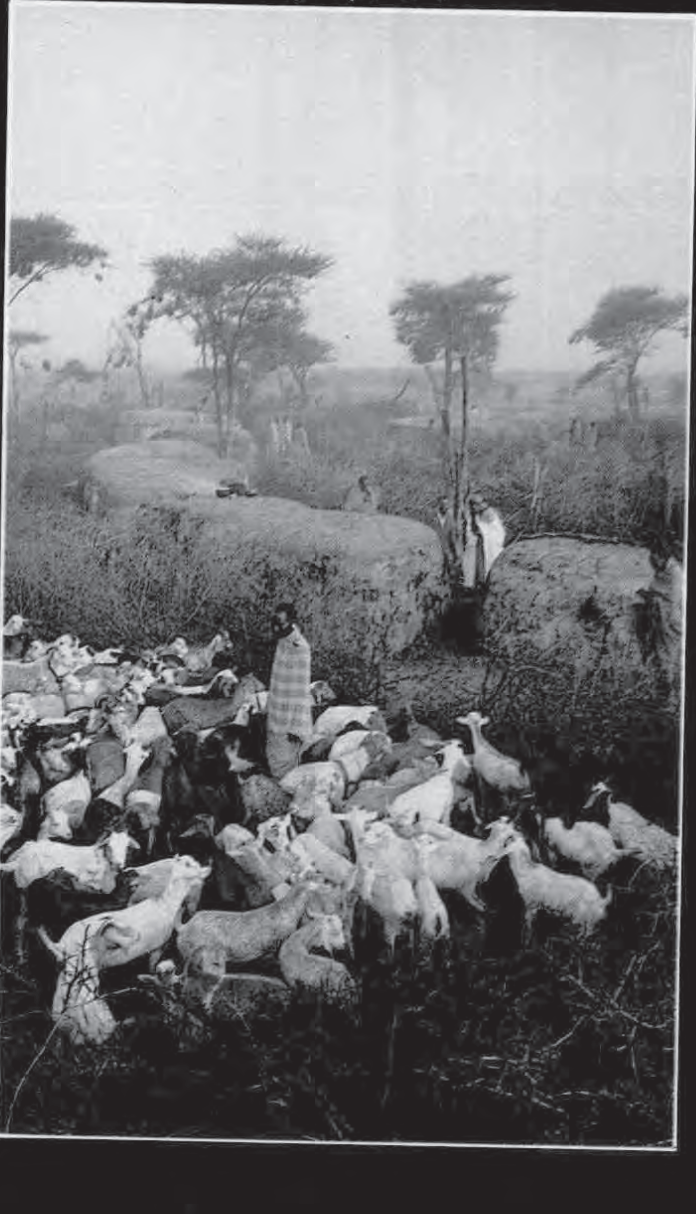
بين العام الثاني عشر والرابع عشر من عمر فتى الماساي ، عليه أن يخوض تجربة التطهير الروحي والطهارة الجسدية ، فإذا ما قدر له أن يجتاز الأمر دون إبداء أدنى مؤشر لشعوره بالألم ، انهالت عليه الهدايا من الأبقار والماعز والأغنام .

لكن تلك ليست إلا بداية الطريق الوعر إلى عالم الرجولة ، فبعد ذلك بعدة أشهر قلائل ، سيتعين على فتى الماساي أن يعيش مع رفاقه ، ممن هم في مثل سنه ، أحلى أيام عمره وأشقها في الوقت نفسه ، حيث يحدد شيوخ القبيلة وحكماؤها يوماً بعينه ، تحلق فيه رؤوس الفتية ، ممن يجتازون هذه المرحلة ، ويعطى كل منهم حربة « الموران » وسكينة ، وعلى مجموعة الشبان تلك أن تمضي إلى البرية ، لتبرهن على جدارتها واستحقاقها هذا الشرف ، فهي تقيم لنفسها قرية مؤقتة ، بعيداً عن القرى الأصلية ، وقد يصحب الشباب أخواتهم الصغيرات وأمهاتهم ، ومع الجميع ما يكفي من الماشية . وبوسع المحارب الجديد ، في هذه الفترة ، أن يبرهن على قدرته ومهارته ، بصيد الأسود ، أو بالهجوم على معسكرات القبائل المعادية ، كما بوسعه أن يقضي الساعات في تجاذب أطراف الحديث مع رفاقه ، الذين ستدوم صداقته لهم حتى آخر يوم له على الأرض .

وفي ختام هذه المرحلة ، يتم التخلي عن المزيج الأحمر المكوّن من أكسيد الحديديك المائي الطبيعي ، ودهن الماشية الذي تدهن به الرؤوس ، ويرمز للحرب ، حيث يمضي الشباب إلى مناطق المحاجر ، فيطلون أجسادهم باللون الأبيض ، رمز السلام عندهم ؛ بالزخارف التي تحلو لهم ، وبعدها يمتشقون سلاحهم ، ويغادرون قريتهم المؤقتة في البرية ، ليقيموا وليمة الختام ، ثم يصار إلى ذروة الاحتفالات ، مع قيام الأمهات بحلق رؤوس الشباب ، ويبارك الآباء الأبناء ، برش مزيج الماء والعسل واللبن عليهم . لتبدأ دورة جديدة في حياة لا تتوقف عن التدفق الهادر نحو الإيناع ، إذ يصبح من حق المحاربين الجدد الزواج ، وتكوين أسرهم الخاصة والمشاركة في الشؤون العامة للقبيلة .

وفيما يظل العالم يتساءل حول أسرار الماساي ، تتقدم أجيال جديدة لتمتشق حربة « الموران » وخنجره ، لتضعهما في خدمة الحياة ـ لا الموت ـ هناك على تلك الهضبة الساحرة ، الملتفة بالغموض ، إلى الشرق من بحيرة فيكتوريا .

★ القطعان في حظائرها ★



المراجع والمصادر

١ ـ Anne Arthus – Bertrand – Guerriers et Pasteurs: Les Masaïs – Paris – 1985.

٢ ـ Michael Tomkinson – Kenya – London – 1981.

٣ ـ Ministry of Tourism and Wild-life – Kenya – or People and Their Cultune – Nairobi – W.D.

٤ ـ جولة لفريق من محرري جريدة « نيشن » اليومية في كينيا .

من ديوان الشعر السعودي

سَمْرَاءُ

شعر: الأمير عبدالله الفيصل

سَمْرَاءُ يَا حُلْمَ ٱلطُّفُولَهْ … يَا مُنْيَةَ ٱلنَّفْسِ ٱلعَلِيلَهْ

كَيْفَ ٱلوُصُولُ إِلى «حِمَا … كِ» وَلَيْسَ لِي فِي ٱلأَمْرِ حِيلَهْ

إِنْ كَانَ فِي ذُلِّي رِضَا … كِ فَهَذِهِ رُوحِي ذَلِيلَهْ

وَوَسِيلَتِي قَلْبٌ بِهِ … مَثْوَاكِ إِنْ عَزَّتْ وَسِيلَهْ

فَلْتَرْحَمِي خَفَقَانَهُ … لَكِ وَاسْمَعِي فِيهِ عَوِيلَهْ

قَلْبٌ رَعَاكِ وَمَا ٱرْتَضَى … فِي حُبِّهِ أَبَداً بَدِيلَهْ

أَسْعَدْتِهِ زَمَناً وَرَوَّى … وَصْلُكِ ٱلشَّافِي غَلِيلَهْ

مَا بَالُ قَلْبِكِ ضَلَّ عَنْـ … ـهُ فَمَا ٱهْتَدَى يَوْماً سَبِيلَهْ

وَسَبِيلُكِ ٱلذِّكْرَى إِذَا … مَا دَاعَبَتْكِ رُؤًى جَمِيلَهْ

فِي لَيْلَةٍ نَسَجَ ٱلغَرَا … مُ طُيُوفَهَا بِيَدٍ نَحِيلَهْ

وَأَطَالَ فِيهَا سُهْدَ كُلِّ … مُتَيَّمٍ يَشْكُو خَلِيلَهْ

سَمْرَاءُ يَا أَمَلَ ٱلفُؤَا … دِ وَحُلْمَهُ مُنْذُ ٱلطُّفُولَهْ

عن ديوانه «وحي الحرمان»

وللحديث شجون

بقلم عبد العزيز الرفاعي



جحظة .. في كتاب

تحدثت في هذه المجلة ، في ثلاث مقالات متتابعة عن (جحظة البرمكي) : أحمد بن جعفر ، فترجمت له في أولاها ، وعن شيء من أخباره في ثانيتها ، ثم قدمت صوراً من شعره في الثالثة .. وظننت بذلك أني قد أعطيت قارئي فكرة ما عن هذا الرجل الشاعر الفنان .

ثم عنّت لي خاطرة بيني وبين نفسي ، وقد رجعت إلى عدد من المصادر لا بأس به ، أن أوسّع النظر في الموضوع ، وأن أبوّبه ، وأن أجعل منه رسالة صغيرة مفردة ، كبعض ما أخرجت من كتيبات ، لتكون بين أيدي القراء في أي وقت يشاؤون .. ولكني تريثت لأستوثق أن المكتبة العربية الحديثة خلو من أي مؤلَّف ، طرق هذا الموضوع ..

واتجهت بالنظر إلى العراق خاصة .. ذلك أن أدباء العراق معنيون بالتراث عناية كبيرة .. وفيهم من دأب على استخراج أشعار الشعراء القدامى من بطون الكتب ، وجمعها في دواوين ، مع مقدمات ودراسات تتسم غالباً بالجودة ، وحسن الاستيعاب ..

ولي في الأمر تجارب .. فقد هممت منذ عهد أن أجمع شعر العرجي ، خليفة عمر بن أبي ربيعة على شعر الغزل في الحجاز ، فوجدت أديباً عراقياً قد سبقني إلى ذلك ، فحمدت له أن وفّر عليّ الجهد .

وكذلك الأمر كان في شعر كل من الصحابيين : كعب بن مالك ، وزيد الخير .. وإن كنت قد كتبت عنهما كتابين أو كتيبين خرجا للناس .. ولكني وفّرت الجهد في جمع أشعارهما ، فقد صنعها أديبان عراقيان أيضاً ، جزاهما الله خيراً ..

فلما كان أمر جحظة .. كتبت للصديق الكريم ، الأديب الجليل الدكتور (علي جواد الطاهر) ، فكان جوابه : ما ترى لا ما تسمع ، فقد أرسل إليّ مشكوراً كتاباً يقع في أكثر من أربعمائة صفحة من تأليف الدكتور (مزهر السوداني) من كلية التربية بجامعة البصرة .. وأفضل فبعث معه مقالا كان نشره في مجلة (المورد) المجلد الثالث ، العدد الثاني ، عام ١٩٧٤ م ، عن (نشر الشعر وتحقيقه في العراق) .. حيث أكد لي هذا المقال جهد الإخوة أدباء العراق في هذا المجال ، وهو جهد كبير ..

وقد تصفحت كتاب الدكتور السوداني ، وقرأت منه بخاصة ، تلك الفصول المتصلة بترجمة (جحظة) .. فوجدته قد أحاط بمادته إحاطة جيدة ، دلّت على عمق بحثه ، وحسن استيعابه ..

وأحببت أن أحدث قرائي المتابعين ، عن هذا الكتاب ، إتماماً لما تحدثت به عن جحظة ..

عنوانه : (جحظة البرمكي ، الأديب الشاعر) والنسخة التي بين يدي هي الطبعة الأولى منه التي صدرت عام ١٩٧٧ م ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير ، كما أخبرنا الدكتور (علي جواد الطاهر) ، في مقاله آنف الذكر .

والعنوان لا يدل على المحتوى دلالة دقيقة ، فالمؤلف قد جمع فيه أشعار الشاعر ، فلو ضم إليه ما يدل على هذا الصنيع لكان أولى .

ثم إن جحظة لم يكن شاعراً فحسب ، بل كان رجلاً فناناً .. اشتهر بالعزف على الطنبور ، فلو قال في التعريف به في العنوان : الشاعر المتفنن لكان أشمل للتعريف به .

والدراسة تقع في بابين ، أولهما لدراسة عصر الشاعر ، وقد غطاه تغطية جيدة ، وخص جحظة بالباب الثاني ، فتحدث عن حياته وسيرته ، وأساتذته وطلابه ورواته ، وانتهى به المطاف إلى ما جمع من شتات شعره في المصادر التي استقى منها ، وهي أكثر من مائة مَرجع قديم ، غير المراجع الحديثة والمترجمة ، ومن مصادره ما هو مخطوط .. ودل كل ذلك على الجهد الكبير الذي بذله ، وأسدى به للمكتبة العربية كتاباً قيماً ، سد به ثغرة كانت شاغرة ..

وفي الفصول الرئيسة التي قرأتها ، لم أقف إلا وقفات يسيرة لأدوّن ملاحظة هنا أو هناك ، وهي ملاحظات لا تقلل من قيمة الكتاب ، ولا من ذلك الجهد الكبير الذي بُذل فيه ، وهو الجهد الذي أعجبت به وأكبرته!

مما لاحظت أنه ذكر في ص ٨٠ ، سبب لقبه بجحظة ، وأورد قول الثعالبي في (لطائف المعارف) : بأنه لُقّب بذلك لجحوظ عينيه ، وأشار أن (عباس القمي) ذكر في (الكنى والألقاب) أن لفظة جحظة تعني (الجاحظ الصغير) ..

ولم يقف المؤلف هنا ليناقش القولين أو ليرجح أحدهما ، بينما أورد في الصفحة المقابلة تماماً ، ص ٨١ ، هجاء ابن الرومي له الذي يبدأه بهذا البيت :

نبثت جحظة يستعير جحوظه   من فيل شطرنج ومن سرطان

وهذا لا يدل على أن جحوظ جحظة ، كان جحوظاً أدبياً ، يضارع به الجاحظ أو يقاربه .. وكما هو معلوم فإن جحظة لم يشتهر بالكتابة الأدبية ، ليصح أن يقارن بالجاحظ..

ثم إن هناك أكثر من خبر على دمامة جحظة .. وعلى احولال عينه ، من ذلك ما أورده المؤلف نفسه في ص ١٥٥ .

ويبدو أن المؤلف ، حينما تحدث عن صفاته وأخلاقه ص ٨٠ ، غض النظر ، عن بعض ما ورد في هذا الباب عن ريحه ورائحته .. وقد التمست له العذر ، وإن كان إيراد ذلك يُعد من تمام الترجمة ، وتقديم صورة أدق للمترجم له ..

وعندما تحدث عن وفاته ، لم يَذكر مرضه الذي توفي به ، فقد ذكر صاحب (الفهرست) أنه مات بعلّة الذرب ، سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

كما لم يشر إلى ما قاله الزركلي في (الأعلام) عن نقل تابوته إلى بغداد .

وذهب إلى ترجيح القول بوفاته سنة ٣٢٤ هـ ، لأن القائلين به أسبق من أصحاب القول بأن وفاته سنة ٣٢٦ هـ .. بينما صاحب الفهرست ، وهو من أقرب المؤلفين عهداً بجحظة من القائلين بأن وفاته سنة ٣٢٦ هـ .

وحينما أشار إلى ما أورده (الصولي) في (أخبار الراضي والمتقي) ، عن وفاة (جحظة) ، وهو في طريقه إلى أبي بكر بن رائق بواسط ، قال : «ومن كُتب التاريخ نعرف أن أبا بكر بن رائق ؛ وصل بغداد وخلع عليه الخليفة الراضي أواخر ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ ، فكيف يتوجه جحظة إلى واسط قاصداً ابن رائق سنة ٣٢٦ هـ ، على حين أن ابن رائق وصل بغداد سنة ٣٢٤ هـ» .

وأنا لا أرى ما يمنع من أن يكون ابن رائق في واسط سنة ٣٢٦ هـ ، وأن يكون جحظة قد توفي وهو في طريقه إليه ، فنُقل جثمانه إلى بغداد .. بل إن هذه المعلومة ترجح أن وفاته كانت سنة ٣٢٦ هـ .

وقد وقفت عند قول المؤلف في ص١٢٥ :

«ويقول ابن حجر العسقلاني عن جحظة .. سمع من جماعة ، وأكثر عنه الصولي والحسين بن العباس ، وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم ، وما يقوله ابن حجر من كثرة روايات الصولي عن جحظة ليس بصحيح ، فقد طالعت جميع كُتب الصولي المطبوعة فلم أجد الرجل يروي عن جحظة إلا مرة واحدة» .

وقفت عند هذا القول متأملاً .. لأكثر من سبب : فالصولي وأعني أبا بكر محمد بن يحيى كان معاصراً لجحظة ، إذ كانت وفاته سنة ٣٣٥ هـ ، وقد ألّف عدداً من الكتب ، لم يطبع منها إلا أقلها ، والاكتفاء بمراجعة المطبوع منها للتأكد من مقولة ابن حجر لا يكفي لنفيها ، ومعروف أن ابن حجر واسع الاطلاع ، وهو علامة حافظ ، وقد وددت أن يتريث المؤلف قبل القطع بنفي مقولته .. ولا ننسى أن للصولي كتاب (أخبار الشعراء المحدثين) ، كما ورد عند الزركلي في الأعلام ، وهو مظنة الحديث عن جحظة ، ولكن المؤلف لم يرجع إليه ، بينما هو من كُتب الصولي المطبوعة ، وإن لم أقف عليه ، ولكن وجدت ذكره في تاريخ التراث لسيزكين ١٧٣/٢/١ ، حيث قال إنه : طبع في لندن سنة ١٩٣٤ م ، وهو من كتاب (الأوراق) أخرجه هايوارث دن .. بل إن الدكتور السوداني لم يرجع إلا لكتابين للصولي ، هما : (أخبار الراضي والمتقي .. وأشعار أولاد الخلفاء) ، كما جاء في سجل مصادره ..

هذه الملاحظات الطفيفة ، لا تقلل من قيمة الكتاب ولا من الجهد الجيد الذي بُذل فيه ..

ومن أمثلة جهده ، أنه وجد أن فهرست (جويدي) لكتاب الأغاني لم يذكر إلا صوتاً واحداً لجحظة .. ولكنه تصفّح كتاب الأغاني (كله) فوجد الفهرست المذكور قد أغفل ذكر خمسة أصوات .. ثم سرد هذه الأصوات .. فأي جهد كبير هذا الذي يجسده الرجوع إلى كتاب ضخم جداً ، واستعراض الأصوات الواردة فيه بحثاً عن استقصاء ما نُسب منها لجحظة !

وهناك معلومات جديدة أفدتها من الكتاب ، لم يتيسر لي الوقوف عليها .. منها ما جاء في ص ٩٠ ، عن كتاب (أخبار جحظة) الذي ألّفه (جخجخ) ، وهو كتاب ضاع ، فلم يصل إلينا ..

وأشار إلى ما أورده الثعالبي في (لطائف اللطائف) من أنه كان ـ أيضاً ـ فصيح القلم ، مليح الكتابة ، ولكن الشعر والغناء كانا غالبين عليه ، وأن له مراسلات مع مشاهير عصره .. (ص١١٧ و١١٨) .

وهو يرجح أن جميع مؤلفات جحظة ، قد ذهب بها الضياع ، فلم يصل إلينا منها شيء إلا شذرات من أقواله ، أو نُقول من كتاباته ، أو نُتَف من أشعاره .

أما جخجخ ، الذي ألّف كتاباً عن جحظة ، كُتب له الضياع أيضاً ، فقد ترجم له المؤلف في الهامش فقال : إنه عبد الله بن أحمد بن محمد أبو الفتح النحوي ، توفي سنة ٣٥٣ هـ ، وذكر مراجعه وهي : بغية الوعاة ، ص٣١٩ هـ ، وكشف الظنون ، ص٢٦ و٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٦/٦ . أهـ .

قلت : وقد التمست ترجمته في (الأعلام) فلم أجدها فيه .. وهذه معلومة أهديها إلى أولئك الباحثين المعنيين بتتبع فوات هذا الكتاب ، وقد كدت أكون أحدهم ، لولا أنني صرفت النظر عن هذا الأمر ، بعد أن أدركت أن في المضمار من هو أولى به مني .

وقد ضبط لقبه (السيوطي) في (بغية الوعاة) ، بجيم ثم خاء ثم جيم ثم خاء ، ونقل عن ياقوت أنه سمع البغوي وابن دريد ، وأنه كان صحيح الكتابة ، صنّف : مجالسات العلماء ، والعزلة والانفراد ، وأخبار جحظة ، وغير ذلك . أهـ .

أقول : لم أجد اسمه في (معجم الأدباء) .. فلعله إنما أورده في غيره ..

وهكذا نعلم أن هناك ثلاثة من المؤلفين عنوا بتدوين (أخبار جحظة) ، ضاعت مؤلفاتهم عنه كلها ، فلم يصل إلينا منها شيء .

علوم اللغة في القرن العشرين

بقلم : د. عبدالعزيز ابراهيم السويل

تبدو اللغة ـ أية لغة ـ على السطح عبارة عن رموز وأصوات تركب وفقاً لنظام مدهش بطريقة غاية في التعقيد . ولقد سحر هذا النظام الإنسان منذ الأزل . فلقد أطال الفلاسفة والمناطقة وعلل العلماء وأهل الفكر ، ولكن هؤلاء وأولئك أوغلوا في الفلسفة وغلوا في التعليل حتى أوشك أن يكون التعليل أعقد من الظاهرة . فلقد انبرى بعضهم للإجابة عن السؤال عن أصل اللغة والعلاقة بين اللغة والفكر وغير ذلك من المسائل الفلسفية التي لا طائل تحتها .

العصور القديمة

ولا يعني هذا ـ بالطبع ـ أن تاريخ العلوم اللغوية كان مليئاً بالنتاج الفلسفي فقط بل إن بعض مراحل ذلك التاريخ يبين لنا عن حالات من الومض العقلي النابه من أقدم العصور . ولعل اللغوي الهندي **بانيني** (Panini) كان من أوائل اللغويين العلماء الذين اعتمدوا **المذهب الوصفي التقريري** ولم يؤخذوا بظاهر اللغة السطحي المعقد .

وكانت دراسته للسنسكريتية نبراساً لأجيال عديدة من العلماء بعده . وظهر من اليونان والرومان علماء لغويون أيضاً كان من اليونانيين **افلاطون** (وإن كان يؤخذ عليه بساطته وسذاجته ، أحياناً ، في تناول بعض الظواهر اللغوية ؛ كبحثه في أصول الكلمات)[١] ، ومن الرومان هناك أسماء من مثل **ارسطو ودايونيس ثراكس** الذي صمدت بعض آرائه اللغوية حتى مطلع القرن الحالي .

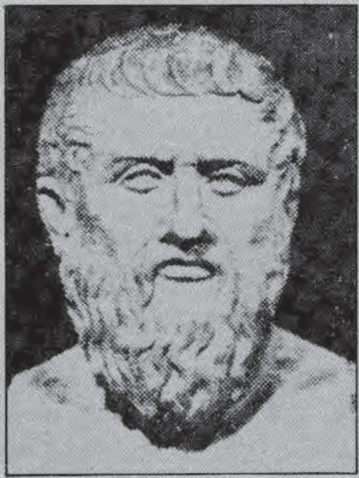
ودخلت **أوروبا** فيما عرف **بالعصور المظلمة** وانتقلت شعلة الحضارة إلى **المسلمين** فنبغ منهم رجال في علوم اللغة والنحو ويكفي أن يذكر المرء أسماء من مثل **الخليل بن أحمد** ذلك العبقري الملهم ، **وابن جني** وغيرهم الذين وصلوا بعلم النحو بالذات إلى مرتبة علمية راقية .

وقد يجد المرء نفسه مندهشاً من ذلك التطابق المثير بين آراء بعض العلماء المسلمين وآراء بعض النوابغ المتأخرين وعلى رأسهم **نعوم تشومسكي** مؤسس علم اللغة الحديث[٢] .

البنيوية .. والتحويلية

بدأت **الثورة الصناعية والعلمية** في أوروبا وطغت المعادلات العلمية على أصول المنطق والفلسفة ولم يعد قيمة لغير ما تثبته التجربة في المعمل أو تؤكده الدراسة في الميدان . وطبيعي أن تتبع علوم اللغة غيرها في ذلك . فبدأت تظهر المدارس اللغوية ، ولعل من أبرز تلك المدارس **المدرسة البنيوية** . ولم تلبث هذه المدرسة أن طغت على غيرها ، وأصبحت كتب النحو تتبارى في تطبيقها وتحرض على حذوها حتى كان منتصف القرن العشرين الميلادي . في تلك الحقبة شذَّ أحد طلاب المدرسة البنيوية وأعلن تبرمه بها وخرج على العالم بنظرية جديدة لم تزل شغل الناس الشاغل حتى يومنا هذا ، أعلن تشومسكي **نظرية النحو التحويلي** وكانت باكورة الإعلان كتابه الصغير الحجم والعظيم الشأن Syntactic Structures **(البنى النحوية)** ، وما انفك أتباع تشومسكي ومريديه يضيفون ويعدلون ويجددون ويبتكرون ولا نرى في الأفق اليوم علامة للوصول إلى النظرية الهدف أو الإطار المثالي كما يقول التحويليون .

لم يكن المهم في عمل تشومسكي ظهوره بالنظرية الجديدة ، فهذا أمر سبق أن مرت به العلوم اللغوية من قبل ، ولكن ما لفت الأنظار إلى ذلك المفكر هو النظرة التي ابتدعها للعلوم اللغوية نفسها . لقد أصر تشومسكي على نقل العلوم اللغوية بعامة وعلمي النحو Syntax والنظم اللغوية Phonology بخاصة من معسكر **العلوم النظرية** إلى معسكر


★ أفلاطـون ★


★ تشومسكي ★


★ أرسـطو ★

العلوم التطبيقية وابتدء تقليداً علمياً يضاهي ما يوجد في علوم كالطب والكيمياء والفيزياء وغيرها ، ولم يعد للمنطق والفلسفة أي دور .

وأصبح على من يبحث في أي من مباحث اللغة أن يجيد الرياضيات ، ويحذق معادلاتها الدقيقة ، وأن يطلع على التخريج العلمي ويستوفي شروطه ، وإلا فلا مكان له ضمن الإطار الجديد . وسنت قوانين أشبه ما تكون ببنود الدستور لإعادة الأمور – في العلوم اللغوية – إلى مضمار الدراسات التطبيقية . وكان من أشهر الكتب التي تزخر بمثل هذه القوانين كتاب **تشومسكي وهالي** Chomsky and Haly (1978) « The Saund Patterns of English » الذي ينظر إليه الآن على أنه دستور العلوم اللغوية .

وبقدر ما وجدت هذه القوانين من المؤيدين والمتبعين بقدر ما آثارت من المعارضين والمنتقدين . وقامت قيامة اللغويين ولم تقعد ، لدرجة أنه ظهر في **أميريكا** الآن من يطالب بالغاء النظرية التحويلية ككل والعدول إلى إطار نظرية أخرى جديد . ومن أبرز هؤلاء **مايكل بريم** Micheal K. Brame الذي نهج نهج تشومسكي ؛ حيث كان من طلابه فثار عليه وعارضه وكأن التاريخ يعيد نفسه ، فبالأمس ثار تشومسكي على المدرسة البنيوية التي تعلم فيها ليتوج نفسه لردح من الزمان . ثم ما لبث أن سحب البساط من تحت سلاطينها ليتوج نفسه إمبراطوراً لعلم اللغة لفترة قد تطول . ولا ندري لعل الزمان يفاجئنا مرة أخرى بإمبراطور آخر قد يكون بريم أو يكون غيره .

برغم كل شيء يبق نعوم تشومسكي زعيماً لغوياً لم يأت بعد من يضاهيه ، وعالماً بارعاً استطاع في زمن قياسي أن ينقل علماً من إطار إلى آخر ، واستطاع أن يجتذب إليه علماء من مجالات أخرى لم يكن يدور بخلدهم يوما أن يكون علم اللغة مصدراً للتنظير في مجالاتهم . **لقد استعار الأدب من علم اللغة الكثير من المذاهب والأطر النظرية ، ولم تلبث أن تبعته علوم أخرى كالسياسة والاجتماع وغيرها** ، بل إن مجال الحاسبات الآلية مرة أخرى وجد نفسه مضطراً لأن ينهل من هذا المعين الجديد . فلم يعد جهابذة هذا المجال قادرين على التفاهم مع آلاتهم بدون سلطان اللغة ، فكان أن بحثوا عمن يستطيع أن يركب لهم لغات آلية تفتح مغاليق الماكينة ، ولكن ذلك اللغوي جاء ليبقى ، بل ليسيطر على صناعة الحاسب الآلي ويجعلها – على الأقل في شطرها اللغوي – جزء منه هو . ولا يزال الصراع يحتدم على أشده .

في خضم كل هذا لا يسع المرء إلا أن يتساءل : **أين العلماء العرب والمسلمون من كل هذا؟ .**

إن في بعث مأثورنا الحضاري ثروة قد تقلب كل المفاهيم الغالبة الآن . إن القوم هناك يدعون العالمية لما يبتدعون وهم يكادون يجهلون لغات الأرض عامة ، ولغة الضاد خاصة . فمن لي بمن يقدم هذه اللغة بفصيحها ولهجاتها بقديمها وحديثها ، ويرى ما عسى علم اللغة الحديث فاعل فيما مات **سيبويه** وفي نفسه شيء منه .

الهوامش

(١) انظر كتاب « Crane-J « An Introduction to Linguistics وآخرون .

(٢) للدكتور نهاد الموسى دراسة معمقة في هذا التشابه . وأظن الدكتور الموسى لم يجاف الحقيقة في الزعم بتأثر الدراسات اللغوية الحديثة – على الأقل في دعائمها – بالمنطق اللغوي الإسلامي .

الدولة في التاريخ

بقلم: د. حسين فوزي النجار

الدولة في مضمونها ظاهرة اجتماعية، وفي مدلولها نظام قانوني، والسياسة في أبسط معانيها هي الأسلوب الذي يقوم عليه تنفيذ هذا النظام القانوني، أو الطريقة التي يتم بها إدارة هذا النظام وتهيئة مساره، وبتعريف أعم هي إدارة شؤون الجماعة الإنسانية ورعاية مصالحها والعمل لخيرها لا يختلف في ذلك رأي منذ أفلاطون حتى برتراند رسل.

ولا تنشأ الدولة إلا بنشأة المجتمع المنظم، فهي ظاهرة لاحقة عليه وليست سابقة له، «فالاجتماع الإنساني ــ كما يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع بحق ــ ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران، وبيانه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الفرد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه.

ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه، وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار، هب أنه يأكله حبّاً من غير علاج، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله أيضاً حبّاً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل، ويحتاج كل واحد إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن تفي بذلك كله أو بعضه قدرة الفرد، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه.. **فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات لا سيما المفترسة..** ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد لذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء، ولا تتم حياته.

وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء، والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه. فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران».

ويمضي **ابن خلدون** في استقرائه، فيقرر **«إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه، وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم.. فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو المعنى الملك»**[1].

فالدولة لا تقوم إلا بقيام المجتمع، وما حاجة هذا المجتمع إلى نظام تحكمه السلطة الماثلة في «**الملك**» ـ كما يرى ابن خلدون ـ أو في النظام السياسي الذي يحكم الدولة.

وقد مرت الدولة على مدى التاريخ بأنظمة عديدة وصور متباينة ترتد في الواقع إلى طبيعة المجتمع الذي تحكمه وتسوسه منذ أخذ المجتمع صورته المنظمة في إقليم بعينه ينتمي إليه ولا يدين بالسيادة لغيره.

ماهية الدولة

ولا تقوم الدولة ما لم تكتمل لها العناصر الأساسية لقيامها وهي **الأمة والوطن والحكومة**، فالأمة أو الشعب هو الأساس في كيانها الاجتماعي أو الإنساني، والوطن أو الإقليم هو الأساس في كيانها المادي أو الطبيعي، والحكومة هي الأساس في كيانها المعنوي، وهي جماع شخصيتها المعنوية.

وحين نُعرف الأمة أو الشعب تعريفاً قانونياً نقول إنه جماعة من الناس تقطن إقليماً بعينه وترتبط به بشكل أو بآخر سواء كانت هذه الجماعة تتكلم لغة واحدة أو عدة لغات، وقد تَمُتُّ إلى أرومة واحدة أو تنحدر من أرومات عدة أو تدين بدين واحد أو عدة أديان، والأساس هو انتماؤها لذاتها واشتراك أفرادها جميعاً في عنصر المواطنة ورعوية الدولة التي ينتمون إليها سواء كانوا يقيمون بها أو يقيمون بعيداً عنها ما داموا ينتمون إليها وتعدهم من رعاياها. وإن كانت اللغة الواحدة والأرومة المشتركة والدين الواحد إطاراً أقوى للانسجام والتوافق، وقد يغلب إحداها الآخر كالدين مثلاً، حين يعلو الدين على أي عنصر آخر، كما كانت الدولة الإسلامية.

أما الوطن أو الإقليم فهو نطاق من الأرض محدد المعالم. وهو في الأصل موطن الأمة ومنتجعها لها أرضه وما تكنه من ثروات مدفونة وبحيراته وأنهاره وأجواء سمائه ومن مياه البحار والمحيطات ما يحيط به في حدود المجال البحري الذي تجمع الدولة على الاعتراف به بالنسبة لها ولغيرها.

وأما الحكومة فهي التنظيم السياسي الذي يقوم على أمور الوطن ويرعى شؤون المواطنين، ويضع القوانين ويكفل تنفيذها داخل حدود الوطن.

وحين قامت أول دولة في التاريخ قامت على أساس واضح من التنظيم السياسي كما كان في مصر القديمة، واستنت من الشرائع ما يكفل لتنظيمها السياسي البقاء والاستمرار، ويحقق الخير لجماعتها الإنسانية، كما جاء في مقدمة **حمورابي** حيث يقول: **«في ذلك الوقت، أرا حمورابي الخادم الذي سرتها (!!!) أعماله، والذي كان عوناً لشعبه في الشدائد، وأفاء عليه الثروة والرخاء، لأمنع الأقوياء أن يظلموا الضعفاء، وأنشر النور في الأرض، وأرعى مصالح العباد»**.

وما من دولة قامت ـ كما يمكن أن نقول ـ إلا وقام نظامها وقامت علاقاتها بغيرها من الدول على أساس معيّن من التنظيم السياسي، ينبع في الواقع من طبيعة الأمة التي ترتضيه، فإن فُرض عليها بفعل قوى قاهرة داخلية كانت أو خارجية فلا بد لها أن ترتضيه، وإلا كان مصيره الانهيار والزوال عند أول بادرة للانتقاض.

وعند البحث في سياسة دولة من الدول، أو نعرض لنظامها السياسي فإننا ندرس مقوماتها الاجتماعية والخلقية التي يمكن أن تكون أساساً لنظامها السياسي، فالسياسة منهج عقلي من مناهج العلم ـ كما يقول مترجم **أرسطو الفرنسي «بارتلمي سانتهلير»** ـ نصدر فيها إما عن المبادئ العقلية لنحكم على الحوادث وننظمها، وإما عن الحوادث المفسرة تفسيراً مناسباً لنضع منها مبادئ، ولكن العقل مهما أغرق في الخيال أو التصور الذي يتقبله علم السياسة ولا ينكره، لا مندوحة له من أن يستمد صوره من الواقع الذي يحيط به، وفي هذا يبدو الأثر الاجتماعي والخلقي للبيئة على العقل جلياً واضحاً شأنه في ذلك شأن الأثر التاريخي[2].

وإذا كان لنا أن نتناول الدولة العصرية ومقوماتها العامة اجتماعية، أو اقتصادية، أو خلقية، أو نعرض لكيانها المادي، أو نظامها السياسي، فقد لا نجد فيها شيئاً من الجدة إلا فيما أضفاه التقدم العلمي والتكنولوجي على كيانها المادي من تغير في السعة والامتداد والشيوع دون القيم والمقومات الاجتماعية والخلقية التي تصدر عنها أو تنشدها. فقد كانت هذه القيم والمقومات الاجتماعية والخلقية التي تصدر عنها أو تنشدها مجالا لتطور دائب مستمر ينشد الكمال الإنساني مما حفلت به آراء الفلاسفة والأحرار من الكُتاب في الشرق منذ حفل الشرق بحضاراته القديمة، وفي الغرب منذ انتقلت حضارة الشرق إلى الغرب.

وقدر للغرب أن يرث دعوة المسيحية فيغلفها بأهوائه ويفقدها سماحتها، ويضفي عليها طابعاً لاهوتياً سيطر على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، **وبقي الإسلام ختام رسالات السماء في نطاقه ينساح ويتسع ليرث حضارات العالم القديم ويبدع**

الدولة في التاريخ

حضارة كانت زاداً لحضارة الغرب المسيحية ، يعبر عنها « **هيرنشو** » في كتابه « علم التاريخ » بقوله :

« **خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم العلم والمعرفة . لقد بهت أشباه الهمج من مقاتلة الصليبيين عندما رأوا (الكفار) الذين كانوا ينكرون من الناحية اللاهوتية ديانتهم ، على حضارة ترجح رجحاناً لا تصح معه المقارنة بينها . . إن أثر هذه الثقافة العربية انتقل إلى أوروبا النصرانية عن طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا ، فكان من العوامل القوية في انتهاء العصور الوسطى ، وانبثاق فجر الحضارة الحديثة** » .

وإذا كان لنا أن نتناول بالبحث « **الإسلام والدولة العصرية** » فليس ذلك بدعاً في هذا الصدد ، فقد كان الدين منذ القدم قوام الدولة ، فالملك قائم على تنفيذ أحكام الله ورعايتها وحراسة البلاد ، ويكفل رخاء الأهلين .

وكما كان فراعنة مصر القديمة وملوك ما بين النهرين ، كان أباطرة روما ، وإن كانوا سياسيين وليسوا أصحاب دين سماوي . وكانت العقيدة عند الإغريق نظاماً أخلاقياً أكثر منه لاهوتياً تغلفه الأسطورة والخيال أكثر مما يغلفه السحر والطقوس . . وإن كان لكل من اليهودية والمسيحية والإسلام نظرة خاصة في علاقة الدين بالدولة ، فقد ضرب الدين على الشعب اليهودي عزلة مريرة وعنصرية حادة تخيلوها لأنفسهم حين اعتقدوا أنهم شعب الله المختار ، يؤمنون – كما يقول **هـ . ج . ويلز** – بأن الله الواحد الأحد ، رب العالم أجمع ، ولكنه – حسب زعمهم – يعدهم بأن يعلو بهم في النهاية سادة على الأرض [٣] .

وطبع ادعاؤهم للتميز في حياتهم بطابع خاص لم يتحرروا منه حتى اليوم ، وحين راحوا ينشدون إقامة دولة ويتطلعون إلى ملك كانت عنصريتهم تقضي عليهم وتدمرهم في النهاية ، « وقدر لهم – كما يقول **ويلز** – أن يعيشوا في إسارها خمسة وعشرين قرناً غصت بالمحن والمغامرة والاضطهاد » .

وأصبح المجتمع اليهودي مجتمعاً مغلقاً على ذاته لا يستطيع التحرر مما ابتدعوه من تعاليم من فكر عسير ، وكانوا قد حرّفوا التوراة على هواهم ، فمن الثابت أنها لم تدون إلا بعد ألف عام ، كانت قبلها تروى على لسان الحاخامات والقضاة .

وبينما ذهب اليهود يبشرون بتمجيد أنفسهم وإن لهم حقاً وامتيازاً ، بعث المسيح مبشراً بملكوت السماء ، مسفهاً أحلام اليهود العنصرية ، وإن الله لا يميز بين عباده . **إذ لا بد لمملكة السماء أن تسع الجميع في أبوة كاملة تسوي بين الناس في أخوة شاملة .**

وحين غدت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية ، وكان **بولس (الرسول)** قد حولها إلى ديانة جديدة تأثرت إلى حد بعيد بتعاليم **مدرسة الإسكندرية الفلسفية والأفلاطونية الحديثة** غدت قواماً للكاثوليكية الغربية ، بينما حافظت كنيسة **القديس مرقس** على أرثوذكسيتها التاريخية وغدت أساساً للكنيسة الشرقية ، ولم يكن لها تأثير على الدولة ، في الوقت الذي استأثرت فيه الكنيسة الكاثوليكية بسلطان الدين والدنيا وأصبحت السلطة الفعلية الحاكمة والمتحكمة في سلوك الناس وفي ضمائرهم ، فحلت التبعية للكنيسة التي ادعت مملكة السماء محل المواطنة الرومانية .

وكان انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى دولتين ، إمبراطورية الروم البيزنطية في **القسطنطينية** ، وإمبراطورية الروم الغربية في **روما** ، وظلت الإمبراطورية الشرقية حفيظة على أرثوذكسيتها بنجوة من غارات القبائل الجرمانية التي أطاحت بإمبراطورية الغرب ، فلما سقطت الدولة ، حملت الكنيسة وحدها عبء المحافظة – **ما أمكن** – على تراثها القديم في عالم آل فيه السلطان لأولئك البرابرة المحدثين ، وكانت البداية لمسؤولية حملتها طوال العصور الوسطى ، فأخذت تستقل بشؤونها عن الإمبراطور ، وما لبثت أن استحوذت على السلطتين الدينية والزمنية وغدا لها السلطان على الدين والدنيا معاً . في الوقت الذي بقيت فيه الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية خاضعة للإمبراطور لا تجرؤ على مخالفة التقاليد الكنسية الأولى فاتسمت بالمحافظة على عقيدتها وتفسيرها لطبيعة السيد المسيح ، وكان الخلاف عليه سبباً في انقسام الكنيسة إلى كنيستين كاثوليكية وأرثوذكسية .

دولة المدينة

ولم تمض بضعة قرون على رسالة المسيح – عليه السلام – حتى أشرق الإسلام بلألاء باهر غمر سماء الجزيرة العربية ، ولم يواجه ما واجهته المسيحية من عسف الدولة واضطهادها قبل أن يحملها الإمبراطور قسطنطين ديناً رسمياً للرومان ، وبقي جوهره سلماً لم يواجه ما واجهته المسيحية الأولى من تعاليم الرسل واختلافاتهم ، ولما تكونت الجماعة الإسلامية الأولى بالمدينة عدت نواة لدولة نستطيع أن نطلق عليها « **دولة المدينة** – City State » أشبه بدولة المدينة في أثينا وشبيهتها بمكة [٤] ، استطاعت أن تحمي نفسها وتدافع عن وجودها وتنزل بكل من يتعرض لها أو

يتهددها العقاب الزاجر ، ووضع لها **الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ** الدستور الذي ينظم إدارتها وعلاقاتها بقاطنيها ، وهو الدستور الذي أخطأ المؤرخون فوصفوه بأنه معاهدة أبرمها مع الأطراف التي تقيم بالمدينة مما يخالف الواقع التاريخي والقانوني للاتفاقيات الدولية .

وقد رمى **الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا الدستور أو الميثاق ـ كما يمكن أن ندعوه ـ** إلى تقرير مبادئ والتزامات رأى فيه ضماناً لحرية الدعوة وأمن المدينة وقاطنيها ، **فأقر** حرية الرأي وحرية العقيدة ، وحرمة المدينة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة ، وهي مبادئ والتزامات ترى الأطراف الأخرى حاجتها إليها ، كحاجة المسلمين تماماً ، فلا يمكن أن تستقيم الحياة لقوم يعيشون في مجتمع واحد لا تحكمهم مبادئ والتزامات تؤمن الجماعات كما تؤمن الفرد منهم على حريته وماله وحرمة مقامه ، وما لبث **بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع** ، أن تقبلوا ما أقره الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووقعوا للنبي إقرارهم بقبوله .

وكان هذا الكتاب **« من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس »** أول دستور ـ **بلغة العصر** ـ وأول تنظيم سياسي لدولة المدينة ، وإن لم يكن القصد منه وضع نظام لدولة تنشأ بقدر ما كان تنظيماً لمجتمع ناشئ ، وإن حمل في طياته أسس بناء الدولة التي يمكن أن تنشأ نتيجة لقيام المجتمع الجديد واكتمال شخصيته ، وهو ما يفرضه الواقع الاجتماعي على الجماعة المنظمة حين تنشأ وتسلم بحاجتها الملحة إلى « سلطة » ترضى بها وترضى عنها ، وهو ما يؤدي إلى قيام الدولة ، وهذا الرضا ـ **وهو ما تقوم عليه الدولة العصرية** ـ هو الذي ينأى بالسلطة من التصاقها بشخص الحاكم ، كما كانت الدولة القديمة ، إلى صورتها المجردة التي ترضى بها الجماعة وتنبثق من ضميرها الاجتماعي .

نشأة الدولة الإسلامية

وفي هذا الإطار نشأت الدولة الإسلامية في محيطها الاجتماعي في المدينة المنورة . مدينة الرسول ، كما أصبحت تدعى من بعد ، ولم يعد لاسمها القديم **« يثرب »** كما ورد في كتاب الرسول ، وجود . فقد كان على هذه الجماعة الإسلامية الناشئة أن تواجه مطالب حياتها الجديدة ، على هدي ما قرره الإسلام من قيم ومبادئ قررتها شريعته السمحاء ، أما مطالب دنياها فقد تركها الرسول لهم بقوله : **« أنتم أعلم بشؤون دنياكم »** .

ثم كان هذا التنظيم السياسي لدولة المدينة يتطور على الدوام بتطور المجتمع الإسلامي ونموه ، وكان التطور يأتي كلما بدت الحاجة إليه منذ اكتمل التكوين الاجتماعي للجماعة الإسلامية ، فقد ظل هذا التكوين الاجتماعي الأول في المدينة صورة للجماعة الإسلامية الكبرى في نموها وامتدادها .

وقد امتدت الدولة الإسلامية في ظل المبادئ الجديدة إلى أبعد مما وصلت إليه دولة في العالم ، وأقاموا في مدى ثلاثين عاماً دولة سارت على هدي النبوة فسعد الناس في ظلها بالإخاء والعدالة والمساواة والحرية ، لا يستعلي فيها الحاكم على المحكومين ولا يستأثر دونهم بما لا يؤثره على غيره ، وكانت هذه المبادئ الجديدة التي قررها الإسلام ، وجاءت بها شريعته السمحاء ، هي التي حملها المسلمون ظافرين إلى العالم أوسع ، وكانت مكمن انتصارهم وانسياح دولتهم ، وهو ما يقرره **« جوستاف لوبون »** بقوله : « وقد استطاع العرب أن يفتحوا العالم يوم خضعوا لقانون مقرر ثقفوه من الدين الجديد الذي جاءهم محمد به ، فعرفوا كيف يوفقون بين الشريعة وحاجة الشعوب التي دانت بها » . وهو ما يشير إليه **سيد أمير علي** حين يستشهد بقول **« دوسون ـ D,ohsson »** إذ يقرر : **« لو أن من تبعوا محمداً ساروا على سُنة رسولهم ، وكانت لهم أخلاق خلفائهم الأوائل ، لغدت إمبراطوريتهم أكثر اتساعاً وأبقى على الزمن من الإمبراطورية الرومانية »** [٥] .

وكان قيام الإمبراطورية الإسلامية حدثاً فذاً من أحداث التاريخ ما زال يثير الدهشة والعجب ، « فلو أن هاوياً من هواة النبوءات التاريخية ، قد عرض لأحداث العالم في مستهل القرن السابع الميلادي . . لما استطاع أبداً أن يتبين تلك القوى الكامنة في الصحراء العربية ، إذ إن بلاد العرب قد تبدو أمام ناظريه على ما كانت عليه منذ زمن بعيد ، مرتعاً لقبائل من الرحل تنوشها الفرقة والصراع الدامي ، ولم يتأت لشعب سامي لأكثر من ألف سنة أن يقيم إمبراطورية ما ، حتى بزغ نجم هؤلاء البدو بلألاء باهر لقرن واحد حفل بالأبهة والجلال ، امتد ملكهم ولغتهم خلاله من الأندلس إلى حدود الصين ، وأهدوا العالم ثقافة جديدة ، وعقيدة بقيت حتى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم » [٦] .

العصور الوسطى

وصاغ الدين حضارة العصور الوسطى ، في الشرق الإسلامي ، والغرب المسيحي على السواء ، وبينما احتفظ الإسلام بجوهره النقي ، ولاذت الكنيسة الشرقية بالتزمت وغلبت عليها بيروقراطية الدولة ، كانت الكنيسة الغربية قد هجرت الأسلوب العقلي **للحضارة الهيلينية** ، وأقامت عالماً من تصور **القديس أغسطين** يقوم على الزهد والتجرد اللاهوتي ، وما لبثت أن نادت بسلطتها فوق أي سلطة أخرى ، وأصبحت ـ كما يقول **فشر** المؤرخ الإنجليزي ومؤلف تاريخ أوروبا ـ **« هي الإمبراطورية في قالب كنسي »** ودان لها عالم العصور الوسطى في الغرب لألف سنة كانت سطوتها وسلطانها يفوقان أية سلطة وأي سلطان ، فطبعت الناس والمجتمع بطابع أحل

الدولة في التاريخ

فيه البابوات والقساوسة ما لم يحلوه لغيرهم من الناس ، مما أدى في النهاية إلى الثورة عليها والخروج على طاعتها فكانت موجة الإلحاد ، والاتجاه إلى الدنيويات متحرراً من كل وقر لاهوتي وسادت هذه الاتجاهات المجتمع والدولة في تاريخ العصور الوسطى .

وإن كانت النزعة الدينية قد سادت عالم العصور الوسطى في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ، إلا أنهما كانا عالمين متباينين ، تباين ما بين الإسلام والمسيحية في نشأتها ، وفيما ألم بهما من اتجاهات دينية ، فبينما تأثرت المسيحية الغربية بتعاليم **(الرسول) بولس** والاختلاف حول طبيعة السيد المسيح ، واتجاهات **سان أوجستين وتوما الأكويني** اللاهوتية المتزمتة التي جردت الحياة الدنيوية من كل متاع ، بقي الإسلام محتفظاً بنقاء جوهره وعقيدته بعيداً عن المؤثرات الحضارية المجاورة ، وإن كنا نعتقد أن اكتماله فضلاً عن حرص أصحابه على الشريعة والسُنّة ، كانا السبب الأول في بقائه نقياً ، وحين اتصل بالحضارات المجاورة ، كانت عقيدته قد تأصلت في النفوس ، ولم يسر أصحابها ما يفضلها من عقائد الحضارات المجاورة ، فلم يكن به حاجة إلى الاقتباس ، والتزود بما يراه أصحابها من نقص يرون أنفسهم في حاجة إليه . وكان الإسلام قد قضى على كل فكر سابق عليه ، وأقام مجتمعاً لا صلة له بالمجتمع القديم في مثله وأخلاقه وتقاليده ، بل وفي مجرى تفكيره العام ، إذ قام على تفكير عقلي متوازن بعيداً عن التجريدات الغامضة ، وشريعة يقبلها المنطق ، ولا يجد فيها الإنسان البسيط ما يجاوز عقله وتفكيره أو يناقض طبيعته الإنسانية ، بينما نشأت المسيحية في عالم مترع بالثقافات العديدة وفي بقعة تلاقت فيها شتى التيارات الفكرية والفلسفية ، وكان من اليسير أن تنجو من تأثيرها لولا أن داعيها **بولس (الرسول)** كان قد تشرب الفلسفة اليونانية من مدرسة الإسكندرية ، فمزج ما بينها وبين المسيحية في جوهرها الصافي ، وتحولت على يديه إلى ديانة منذ ابتعدت عن موطنها الأصلي ولم **« تعد ديانة عيسى عليه السلام ـ كما يقول سيد أمير علي ـ وأصبحت ديانة بولس (الرسول) »**[7] ، فقد كانت الوثنية في طريقها إلى الزوال في الوقت الذي هيأت فيه فلسفة اليونان والإسكندرية العالم الروماني لتقبل فكرة الله ، خالق العالم ، فتأصلت هذه الفكرة في مسيحية بولس .

ولم يكن الإسلام في حاجة إلى مثل هذا التوفيق أو الاقتباس أو التأثر بغيره ، بل جاء متكاملاً ، جمع بين الدين والدنيا ، وشرع من الدين ما شمل الدنيا فأرسى قواعد الأخلاق على أساس من توقير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية ، وهما جوهر الروح السياسي للدولة العصرية حين تنشد الخير للمجتمع . كما أقام قوانين الوجود على أساس التأمل والعقل ، ونظم العلاقات الاجتماعية والواجبات الإنسانية على أساس الواجب والمسؤولية ، وحدد المثوبة والجزاء ، فتجزى الحسنة بعشرة أمثالها وتجزى السيئة بسيئة مثلها ، وربط ما بين الدين والحياة برباط من الوحدة والتضامن ، لا يشذ فيهما الواحد عن الآخر ، ولا يتنكب الإنسان في إحداهما سبيل الآخر . « فكان دين الفطرة عن حق ـ كما يقول **الشيخ عبد العزيز جاويش** ـ »[8] . فلو أن الطفل ترك وشأنه حتى يكبر لما اختار غير الإسلام ديناً ، ذلك أنه لا يناقض الطبيعة البشرية في حاجتها إلى الإيمان القائم على العقل ، ويعلي من شأن الخير ويسمو بالنوازع البشرية إلى العمل الصالح في قوله تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١١٠) .

وإذا تواصى الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم خير الأمم أو من خيارها ، فإذا اقترن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعقيدة الدينية أصبحا من القوة بقدر ما في النفس من إيمان بالدين ، وبقدر ما تنفذ العقيدة الدينية إلى الضمير الاجتماعي ، بقدر ما تستقيم العلاقات الاجتماعية على الخير الذي يهدي إليه الدين ويبشر به .

وما كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس إلا لأنهم يقيمون حياتهم على هاتين القاعدتين اللتين جمعتا حكمة الأجيال وفلسفة الخير في الوجود ، فإذا حاد المسلمون عنهما ، فليسوا بخير الأمم ، وليسوا من الإسلام في شيء وإن حلوا اسم الإسلام والخير الذي تعنيه الآية الكريمة هو غاية ما ينشده المجتمع لقوامه الصالح ، وهو ما تحققه الدولة لرعاياها في ظل الدستور أو القانون أو الشريعة التي يتسق في إطارها كيان الأمة أو الشعب ، وينبثق منها الضمير الاجتماعي .

الهوامش

(١) مقدمة ابن خلدون : الفصل الأول من الكتاب الأول : المقدمة الأولى .

(٢) الإسلام والسياسة للمؤلف ، ص ٥٥ ـ ٦٠ .

(٣) H.G Wells: A Short History of The World. ch. 37.

(٤) راجع لمزيد من البيان كتابنا « الدولة والحكم في الإسلام » ، سلسلة دار الحرية ، ع ٤ .

(٥) Ameer Ali Sayed: The Spinit of Islam, Part 11 ch. 7111 P 292.

(٦) H. G. Wells, Ibid, ch. 43.

(٧) Ameer Ali Sayed: Ibid, Part 11. ch. II. P. 180.

(٨) الإسلام دين الفطرة .

حليمة

شعر: كمال عبد الكريم الوحيدي

مـن الأعماق أشـواقي القـديمة   إليـك أبثهـا عـطراً حليمـةْ
مـع النسماتِ أزجيك التحـايا   كنفح الـزهر يـا أمَّـا رحيمـةْ
إلى ظئر الـرسول أبـث حُبًّـا   إلى الأم الـوفية والـكريمةْ
إلى مـن أرضـعتِ بـالحبِّ طـه   بـألبانٍ مبـاركةٍ سـليمةْ
إليـك حليمـة الـكبرى التهـاني   على الأيّام تبـقى مسـتديمةْ
إليك وقـد أتيـت مـن البـوادي   لبيـت الله للـدار الشـميمةْ[1]
أتيـت لمكة العـظمى كظئر   وكانـت ذات أجـواءٍ وخيمـةْ
فـلم تقبلك أمٌّ في خبـاها   لأنكِ كنـت مـن فقـر سـقيمةْ
وعـادت كلُّ صـاحبةٍ بـطفلٍ   لـه أهـلٌ ذوو مـال وقيمـةْ
ولم يقبلن آمنـةً «ضـناها»   ولم يـأخذن مـن بيـت يتيمـةْ
تشـاءَمتِ المراضـع مـن يتيمٍ   بـرغم مـكانةِ الجدِّ العـظيمةْ
وضـاقت كلُّ سـابلةٍ وأنَّى   لقـومِكِ تـرجعين بـلا غنيمـةْ
مضـيتِ لـدار أرملـةٍ بقلـبٍ   سـليم ليس ذي إحَـن سـخيمةْ
ولما بـان وجـهٌ شـعّ نـوراً   هُـرعت إليـه في أقـوى شـكيمةْ[2]
وأدنيـت إلى صـدرٍ حبيبـاً   فجـاد الضَّرْعُ ألبـاناً شميمـةْ[3]
وجئـتِ بـه إلى شـيخ وقـورٍ   بـذاك «الخـان» حـالته عـديمةْ
فـأشرق وجهـهُ مـذ جئـت بشراً   وقبَّل وجنـة الهـادي الـوسيمةْ
ونـاقته بـلا لـبنٍ بضرْعٍ   وقد بـرك الفصـيل بـلا عـزيمةْ
وتشـخُبُ أضرُعُ العجماء دَرًّا   لكـمْ وحـوارِها أضـحى وليمـةْ
وراضـع أحمـد المختـار طفـلاً   أخـاه منـك لم يَظْلِمْ نـديمةْ
وعُـدتم نحـوَ «سـعْدٍ» في سرور   فجـاد الله بـالنعم العميمـةْ
وقـد ظهـرتْ عـلاماتٌ فخفتُمْ   على الهـادي مـن النفس الأثيمـةْ
أعـدْتيهِ إلى أمٍّ وأهـل   فـلاقوْكِ بمـكرمةٍ وشـيمةْ[4]
هنيئاً يـا حليمـة مـن فـؤادٍ   يـرى فيـكِ الفخـار إلى الأمـومةْ
فتـاك الخـيرُ أهـداه إلينـا   إلـهُ النـاس ذو الأيـدي الـكريمةْ
أقامَ العـدلَ مـا بـين الـبرايا   بـدين دكَّ عـادات ذميمـةْ
وأنـت خـيرُ أمٍّ بـين «سَـعْدٍ»   ونعـمَ رضـيعُك الغـالي حليمـةْ
عليْـه صـلاةُ خـالقِنا دَوَامـاً   عـداد الـرَّملِ أوْ هـطَّال ديمـةْ

(١) الشميمة : العزيزة المرتفعة .   (٢) الشكيمة : قوة القلب .   (٣) شميمة : طيبة الرائحة .   (٤) الشيمة : الخلق .

نحن .. والطوطمية



بقلم : د . صلاح الدين شروخ

لاحظ دوركهايم أن الطوطمية هي من أول مظاهر الشعور الديني ، فهي شائعة في كل المجتمعات البدائية ، على خلاف في الطوطم المقدس ، وفي تقاليده وشعائره .

ومن التعريفات الكثيرة[1] لها ، يمكننا أن نقول إن الطوطمية فكرة دينية تتركز فيها الأشياء المقدسة للجماعة ، وفيها تتجسد قوة خارقة تجعله قادراً لدى من يؤمن بها ، على تجسيد القداسة بمظهر مادي ، وللطوطمية اعتباران أحدهما اجتماعي والآخر ديني[2] ، وهما إن اختلفا في الأغراض ، فإنهما متحدان في الجوهر ما دام الديني لا يكون إلا فيما هو اجتماعي .

وتقوم الطوطمية على مصادرة أولية مفادها أنه من الممكن التأثير في الظواهر بالقوى الغيبية التي تتحكم فيها .

وبناء على هذه المصادرة يقول الفكر الطوطمي إنه يمكن تحقيق ذلك التأثير عن طريق استرضاء الطوطم ، أو من خلال التوحد فيه ، وبخاصة عن طريق الدم والشعر ، وهو الأمر الذي يفسر عناية الوشم المعاصر بأشكال الطواطم[3] وبالقرابين ودمائها . فبعض العنابيين (نسبة إلى سكان عنابه) مثلاً ، بعد ما يذبحون الدجاجة في القطارة وينظفونها في ماء ذلكم النبع الساحلي في مواجهة مقبرة زغوان يلقون بها إلى البحر صائحين ، أو صائحات : يا الموجة يا القطارة .. (ثم يطلبون منها أن تحقق أمنياتهم التي يذكرونها)[4]

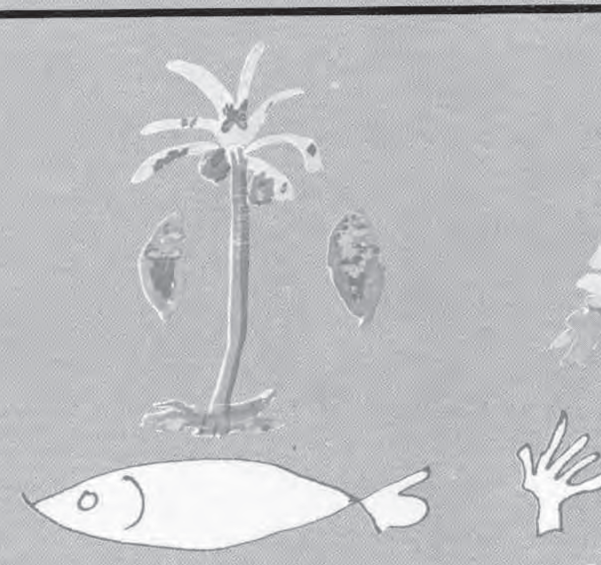
* * *

ولجدلية العلاقة بين القديم والحديث ، فإن الطوطمية شكلت واحدة من مكونات الثقافة المعاصرة ، فدخلت مع غيرها في تركيبها ، وأثرت من خلال هذا على أنماط السلوك العلمي والفكري . فبات كثير مما نفعله ذا جذور طوطمية ... قد تكون صريحة واضحة ، وقد تختبئ وراء غيرها .

ومن نافل القول التذكير بأن الوثنية لا تتخلى عن مواقعها بسهولة ، وأن إجبارها على التخلي يتطلب مزيداً من الحكمة والتروي وإعمال الفكر النقدي والتوعية ، ولعلي بمقالتي هذه أفتح سبيلاً إلى بعض ذلك .

العرب .. والطوطمية

وعلى الرغم من أهمية أي فكر يوضح الماضي وينير دروب المستقبل ، فإنني أرى ـ في مجال بحث الطوطمية ـ أن القول إن العرب عرفوا الطوطمية الاجتماعية أو القول إنهم لم يعرفوها قديماً ، لا يؤثر كثيراً ، ما دامت الطوطمية موجودة متجذرة في كثير من السلوك المعاصر . ولئن كان بعض العرب لم يعرف الزواج الخارجي ، اعتماداً على شهادة **سترابون** التي تؤكد بأن الزنى كان في عرف العرب القدماء هو مجامعة امرأة من غير عشيرة الزاني[5] فإن لدينا ، بالمقابل شهادات تؤكد وجود الزواج الخارجي وزواج المشاركة[6] . وما من شك بأن اتساع الرقعة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وتعدد القبائل العربية القديمة جداً ، كان مما يسمح بوجود أشكال متباينة اجتماعياً ، هذا إذا كنا نصر على القول إن الطوطمية الاجتماعية تخضع إلى المعايير التي يقول بها الباحثون من زواج خارجي وتعاون متبادل وأمومة[7] أما إن قلنا إن خصائص الطوطمية تأتي من دراسة الطوطمية ذاتها ، وإن الطوطمية ليست واحدة لدى الجميع ، فإننا عند ذلك مضطرون إلى توسيع دائرة معنى الطوطمية ليشمل تلك الاختلافات ، وبخاصة إذا تذكرنا أن الطوطمية ذات نظام تراتبي[8] ، فللعشيرة طوطمها ، وللقبيلة طوطمها الاتحادي الذي يسود عشائر القبيلة . وهو الأمر الذي يؤكده إمكان انتقال الرجل من **كلاب** إلى **بني أسد** ، إن هو أظهر شجاعة وتفوقاً[9] .





وحتى بين الطواطم ، فإن بعضها كان أقوى من بعض ، فالأسد أقوى من الثعبان الذي تأخذ الجن بثأره إن قتله الإنسان[10]

ولا خلاف في دينية الطوطمية التي قد تتجسد في حيوان مقدس ، أو نبات مقدس ، أو في مادة طبيعية أو ظاهرة طبيعية مقدسة . ولكن قد نجد طوطمية بشرية أيضاً (أخوة نزهة ، أخوة فضة في قبائل دير الزور مثلاً) .

الطوطمية الحيوانية

وبخصوص الطوطمية الحيوانية ما زلنا نلاحظ وجود قبائل عربية تحمل أسماء حيوانية كقبيلة الحصنة في البادية السورية ، وأما القبائل العربية ذات الأسماء الحيوانية الطوطمية فكثيرة منها بنو أسد ، وبنو ضبة .. إلخ[11] .

ومن الطواطم الحيوانية ما هو سمكي ، وبصورة خاصة في المناطق القريبة من المياه ويظهر في أشكاله المتناقلة إما وحيداً أو مشتركاً مع طواطم أخرى كطواطم الثعبان مثلاً . أو مطوراً بحيث يكون له رأس بشري وجسم سمكة .

وفي شمال إفريقة العربية يرسم الحوت مع كفين بشريين مفتوحين في رمزية واضحة الدلالة على النحو التالي : ونجده مرسوماً على مواقد البخور التونسية والجزائرية (منطقة الحمامات ـ زغوان تونس العاصمة ، عنابة ، سكيكده . . . مثلاً) .

ومن الأمور المألوفة أن تصرخ إحدى النسوة ، عند دخول العروس بيتها الجديد قائلة : قولوا يا حوات . . يا حوات . (منطقة مقرين / زغوان مثلاً) . وفي اللهجة السورية ، يقال في حمص مثلاً : متل الحوت . . يا لطيف .

وتظهر الحرباء طوطمية التأثير ، فبعض جسم الحرباء هو من العناصر الداخلة في الفاسوخ (عمل هدفه فسخ السحر الذي يتعرض له الإنسان) في عنابة . (وأستطيع أن أؤكد أنه إذا كان الشيطان لـه نفس إحساس الشم البشري ، فإن للحرباء التي تحرق عند عمل الفاسوخ تأثير مؤكد إذ يصعب على أي من الناس تحمل رائحة الفاسوخ) .

الطوطمية في الأسماء

وتظهر آثار الطوطمية في الأسماء ، فقد اعتقد الناس قديماً أن التسمية باسم الطوطم ، توحد فيه ، مما يعينه ـ أي حامل الاسم ـ على مواجهة الأخطار بحماية طوطمية . ومن يسمى بالضبع قديماً ـ تقول الأسطورة ـ كانت الضباع تأنس إليه[12] .

ومظاهر الطبيعة الطوطمية تبرز في أسماء كـ : قمر . شمس . . هلال . . بدر . . الخ . وقد ظهرت قديماً في أسماء كـ : بنو عبد شمس . بنو هلال . . إلخ[13] .

ومن أهمية الطواطم الحيوانية ، قديماً وحديثاً ، نسبة الجن إلى الحيوان من ذلك القول إن الإبل الحوشية هي من نسل إبل الجن[14] ، وإن مساكن الجن تشبه مساكن السباع[15] .

ولئن كانت الجن ليست بطواطم ، فإنها مرتبطة بها ، ومنها يأتي الخطر وهي تدافع عن الطوطم المعتدى عليه ، الأمر الذي سنشرحه فيما بعد عند الحديث عن الثعبان / الطوطم .

ولربما ، اختصاراً للطريق ، لجأ العربي إلى استرضاء الجن ، بدلا من توسيط الطوطم ، ما دام الجني يشكل قوة الطوطم الضاربة . ولكن خشيته من غضب الطوطم دفعته لاسترضائهما معاً .

ومن الطواطم العريقة **الثعبان ،** فما زالت آثاره ظاهرة في الوشم ، ولكن طوطم **الأسد** يظهر في بقايا الطوطمية أقوى من طوطم الثعبان ، وبخاصة حين يتسلح بسيف .

وما زال الناس يعتقدون بأن الثعبان لا يموت إلا إذا غربت الشمس (منطقة عسيلة ، خناصر . . في سورية ، مثلاً) . فهناك ترابط بين طوطم الثعبان وطوطم الشمس .

وقد زعمت العرب قديماً بأن الجن تأخذ بثأر الثعبان القتيل ، فلا بد من تقديم ترضية لها بدفع ديّة[15] .

ويدلنا تحليل الطيرة والتشاؤم والتفاؤل على أهمية الطوطم الحيواني . فكما

نحن.. والطوطمية



تشاءم العربي قديماً من **الغراب،** ما زال العربي المحدث يفعل، في حين هو يتفاءل بنباح كلابه[16]، وكذلك نلاحظه في الذي يتبارك به العرب. فقد حملوا الطوطم معهم إلى ساحات قتالهم شعاراً على أعلامهم مثلاً. والطوطم الحيواني قد يكون طيراً، وأبرز أمثلته **النسر،** وقد كان بموضع في أرض سبأ[17].

النبات.. والطبيعة

وأما الطواطم النباتية فكثيرة منها ما هو قديم كذات أنواط، وهي شجرة عظيمة خضراء كانت قريبة من مكة، يأتيها العرب كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها، ويعتكفون يوماً[18] ومنها ما هو حديث مثل ما يدعوه بعض سكان سكيكده الجامع!! وهو عبارة عن شجرة يذهبون إليها، ويعتقدون أنها الجد الأكبر لهم فيقدمون لها البخور في اليوم الأول، ثم يذبحون الأضاحي في يومهم الثاني في احتفال، ويطلقون عليها أسماء يتبركون بها.. كـ بوتيفه. وهناك أمثال لـ بوتيفه[19] (ولم تتح لي معاينة أي منها بعد). وهي في ذلك شبيهة بأمور الطواطم الشجرية التي رقص الشركس لها في تاريخهم القديم، وقدموا لها الأضاحي[20].

وأما **مظاهر الطبيعة** التي أصبحت طواطم فكثيرة وقد سبق الحديث عن بعضها، وأما ما بقي منها فكثير أيضاً في كل العالم العربي. نأخذ مثلاً منه ذلك الدمج بين الماء العذب والماء المالح وأمواجه في القنطارة التي سبق الحديث عنها. ومنها أيضاً تلك الحجرة في رأس الحمراء في منطقة عين عشير في ولاية عنابة. وهي عبارة عن حجرة زينت ببلاط بورسلاني في مغارة تقع على رأس جبل، يقع على نشز من المتوسط، ولقد عاينت المغارة يوم **١٩٨٥/١١/٢٥م**، ولها مشرف، فوجدتها مزينة بأعلام، وقد أضيئت شمعة إلى طرف الحجرة. ورأس الحمراء مشهورة يذهب الناس إليها، فيذبحون الدجاج، ويطهونه أو ينظفونه في المغارة فيما يبخرون أجواءها، ثم يأكلون الدجاجة، متحدثين عن الاجداد معلنين عن أمنياتهم ورغباتهم.

وإذا كان هذا كله غيضاً من فيض، فإن الملاحظ في كل هذه الطوطمية العناية البالغة بالقداسة. والتعبير عنها دائماً له بخور وذبيحة ــ وفي ذلك توحد (وقد تكون فيه الحناء التي يخضب بها الجدار أو الصخرة القريبة من الطوطم). ومن مظاهر التقديس والاحترام للطوطم التكنية عن اسمه احتراماً أو خوفاً. كالكناية عن الأسد بأبي الحارث، وعن الضبع بأم عامر، وعن الغراب بحاتم[21]. أو عدم ذكر اسم الطوطم أو قوته. فالمصريون يقولون عن الجن: اللي ما يتسماش.

ولكن بالمقابل، نجد أن العربي نظر إلى طواطمه نظرة ريبية، وبهذه الريبية أمكنه أن يجري قطيعة بين نفسه وبين بعض فكره. فجعل من الطوطم وظيفة براجماتية. فالطوطم ليس قدرياً ثابتاً، وإنما هو قابل للطعام، فالعرب ــ إن هموا جاعوا ــ يأكلون أربابهم الطوطمية:

أكلت حنيفة ربّها	زمن التقحم والمجاعه[22]
لم يحذروا من ربهم	سوء العواقب والتباعه

ومثل هذا يلاحظ في الأوساخ الطبيعية وراء رأس الحمرا مثلاً.

الطوطمية المعاصرة

وبالمقابل أيضاً نجد أن الطوطمية المعاصرة ليست كلها آتية من الماضي السحيق. فالعقل العربي ما زال يضع طواطمه بمادة جديدة يحبها، أو هو يخشاها كما كان يخشى الأفعى، ثم يسبغ عليها موروثاً قديماً، وبصورة لاشعورية، ولقد يلجأ إلى الحديث عنها كناية، أو وراء الأبواب المغلقة خوفاً ونجوى.

وهو في إبداعه هذا أكثر واقعية وريبية، فقوة الطوطم مرتبطة لديه بما يخشاه من أمر الجن الذين يحيطون به، ومن قوة القاعدة الصخرية التي يتربع عليها، ومن قوة الحياة ذاتها. فإن هو ابتعد عن واحد منها فقد ــ في نظره ــ قيمته وعندها يبني العقل طوطماً جديداً، على أنقاض الطوطم القديم، وبمواد مأخوذة منه، ويضيف إليه كل خير، وينأى به عن كل شر.

ولقد يلجأ ــ ضرباً لعصفورين بحجر واحد ــ إلى التوحيد بين الطوطم وجنه، فيأخذ الطوطم من الجن، فيكون الطوطم مزدوج القوى. وهو دائماً ــ أي العقل ــ محافظ على فكر قديم يقتضي أن يأكل العربي طوطمه في حالة جوع. ثم يعود إلى بنائه عندما يشبع.

استمرار الطوطمية

ولكن الطوطمية، في كل أشكالها، هي مما لا يليق بكرامة الإنسان وبكرامة عقله. وهي معوق من معوقات تقدمه. فإن كان هذا شأنها، فلماذا تستمر؟ وكيف تستمر في مجتمع إسلامي عقيدته الدينية حرب على كل وثنية، مهما كان شكلها، ومهما كان جوهرها؟ وكيف تستمر في بلدان قطعت أشواطاً كبيرة في التربية عامة، وفي تربية الفكر النقدي خاصة؟

قد يقول قائل : هو الجهل الذي يجعل الطوطمية تستمر ، بدليل أن الطوطمية هي الأكثر انتشاراً بين أوساط الجاهلين . وفي هذا بعض حق . وليس كل الحق ، لأنك تجد مثقفين كباراً أحياناً يخضعون سلوكهم لطوطمية عجيبة ، ولقد تجدهم مروجين لها . واسمع — إن كنت معترضاً — الأحاديث الإذاعية . . . وتأمل . ولقد تجد مهندساً يذهب بزوجه إلى زيارة بو قبرين مثلاً للتبرك . . . وطلب « الخلفة الصالحة » . ولقد تجد بالمقابل ، جاهلاً يرفض الطوطمية ويسخر منها .

ولقد يقول قائل إن إلف العادة هو السبب في استمرار الطوطمية . وفي هذا بعض حق وليس كل الحق . فبعضهم يقول : هكذا وجدنا آباءنا يفعلون . ولا أحد يستطيع إنكار تأثير الطبيعة الثانية في السلوك . ولكن العادة إن هي ساعدت في الاستمرارية فإنها لا توجد الطوطمية . ثم إن الإنسان يستطيع ، إن هو شاء ، أن يغير من عاداته . فيبقى السؤال : لماذا لم يشأ القضاء على الطوطمية ؟

ولقد يقول قائل إن استمرار الطوطمية عائد إلى ضعف الوعي الديني ، وإلى أن الدين ، عند من لم يزل يسلك معتمداً على الطواطم ، أصبح شكلاً ، وفقد لدى صاحبه ، جوهره العقلي العقائدي . وفي هذا بعض حق أيضاً ، يؤكده ما شاهدته في رأس الحمرا من صلاة يؤديها زائر الطوطم في مقام ضريح سيدي نور (ولم أجد في أي من المراجع ذكراً) ثم يحنّي (يضع الحناء) على الضريح تبركاً ، ثم يذهب إلى الطوطم في المغارة ليكمل ما يدعوه عبادة ! ! ولكن علينا أن ننتبه هنا إلى أن الموروث القديم ما زال له تأثير كبير في وعي هذا النمط .

ولئن كانت التفسيرات السابقة كلها تقترب من التفسير ، فإنها ليست كافية منفردة ، وليست كافية مجتمعة ، وإنما سبب استمرار الطوطمية ، هو — برأينا — إضافة إلى ما سبق — وظيفة الطوطمية نفسها . فهي تقدم جواباً جاهزاً عن سؤال يهم الإنسان ، ولم يقتنع بالإجابات الأخرى قناعة كافية . من ذلك سعيه إلى معرفة ما سيكون من أمر مستقبله نجاحاً أو فشلاً (لاحظ اهتمام الناس بأبراج الحظ مثلاً) .

ومن ذلك أيضاً ما يقدمه الحل الطوطمي من إشباع لعواطف البعض . فالمحب الذي يجد من محبوبه صداً ، ولا يجد حلاً ينهي ذلك الصد ، قد يسعى بتأثير العاطفة والغريزة إلى حل طوطمي ، أو إلى ما في حكم الحل الطوطمي .

فالطوطمية هنا تحقق وظيفة شبيهة بوظيفة الحلم . والمريض الذي لا يجد علاجاً شافياً ، قد يدفعه الألم والأمل ، وقصور الطب ، إلى السعي إلى الطوطمية فإن شفي صدفة ، أو بتأثير المواد المستخدمة ، تعززت الطوطمية لديه بما قد يسميه تجريبية . وإن حدث الشفاء بتأثير الإيحاء عزا الأمر إلى الطوطم . ثم يعمق إلف العادة ، وإيحاءات الجماعة المحيطة قيمة الطوطمية في نفس الساعي إليها .

ومن الأسباب الهامة لاستمرار الطوطمية ضعف قوة الهجوم الذي شن عليها فهو لم يكن حتى الآن كافياً للقضاء عليها ، وكلما قضي على بعض منها بنت الطوطمية ذاتها بأسلوب جديد ، يساعدها في ذلك قوة المروجين لها ، والمكاسب الكبيرة التي يحصلون عليها ، منها ، فسادن طوطمي هو أكثر دخلاً من كثيرين من الذين يعملون بجد وشرف .

وللمروجين للطوطمية وسائل إيصال فكرهم إلى الناس ، قد يستهين بها بعضهم ، ولكنها — بدليل استمرار الطوطمية — ذات تأثير كبير وسريع .

ولعل من أهم أسباب استمرار الطوطمية حتى الآن ، وربما في المستقبل البعيد تلك الرغبة التي تظهر في سلوك بعضهم ، فتدفعهم إلى تصوير إنفسهم لدى الآخرين في صورة « لا بشرية » ذات إمكانات خارقة تستحق أن تعبد ، أو تدفعهم إلى السكوت الراضي عن الذين يرجون بوسائل الاتصال الحديثة لمثل ذلك . وهم في هذا الترويج يبنون طوطمية جديدة ، ذات طقوس . . .

قلنا ، إن الطوطمية ، في كل أشكالها إهانة لعقل الإنسان وكرامته ، إذ لا يليق بالذي كرمه رب العالمين أن يخضع لطوطم . . ولذا ، فلا بد من القضاء عليها ، ولا يتم ذلك إلا بضرب وظيفتها ، وبزيادة الوعي وتعميق العقيدة في سلوك الناس ، وبتربية الفكر النقدي . . فكيف يتم ذلك ؟ تلك هي القضية .

الهوامش

(١) دينكن ميتشل . معجم علم الاجتماع . ترجمه د . إحسان محمد الحسن . دار الطليعة بيروت . ١٩٨١م ، ص ٢٤٥ .

(٢) محمد عبد المعيد فان . الأساطير والخرافات عند العرب . (أطروحة دكتوراه) دار الحداثة . بيروت . ١٩٨٢م ، ص ٧٠ .

(٣) سوسن عامر . الوشم في الفن الشعبي . مجلة التراث . دار الجاحظ . بغداد . العدد و لعام ١٩٧٨م . ص ٣٠ و ٣١ .

(٤) عاينت مكان القطارة بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٥م ، وهو عبارة عن نبع ماء عذب إلى جانب البحر ، أمام مقبرة زغوان في عنابه ، وأمامه صخرة عليها بقايا دجاج مذبوح ، وعلى الصخرة الجانبية كانت شمعة مازالت مشتعلة ، وعلى الرصيف الصخري بقايا فناء ، وقد تولى الأستاذ كمال بوراوي شرح طقوسها مشكوراً .

(٥) محمد عبد المعيد فان ، ص ٩٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٧) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧١ .

(٨) سوسن عامر .

(٩) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧١ .

(١٠) سوسن عامر ، ص ٣١ وما بعدها .

(١١) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧٥ .

(١٢) حياة الحيوان . المجلد حـ ، ص ٦٥ نقلاً عن : محمد عبد المعيد فان .

(١٣) محمد عبد المعيد فان ، ص ٧٨ .

(١٤) المسعودي . ج ٣ ، ص ٣٨١ — ٣٩١ .

(١٥) انظر الدية وكيفية دفعها عند : محمد عبد المعيد فان ، ص ٨٦ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(١٩) اعتماداً على شهادة الأستاذ بوشامه . ثانوية وادي قبه . عنابه بتاريخ ١٩٨٥/١١/٢٣م .

(٢٠) د . صلاح الدين شروخ . الأصول والتكيف في تربية المحاربين المسلمين في دولة المماليك البرجية . (أطروحة دكتوراه) جامعة القديس يوسف . بيروت ١٩٨٢م (لما تطبع بعد) ، ص ٦٨ .

(٢١) محمد عبد المعيد فان ، ص ٨٧ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ ، نقلاً عن البدء والتاريخ للبلخي . ج ٤ ، ف ١٢ ، ص ٢٣ .

عذر تلميذ

شعر: محمد بن علي العلوي

هرب التلميذ يهوى | مخلصاً أن لا يراني
ومضى يكثر لهواً | خلف جدران المباني
يلعن العلمَ ويشكو | من أساتيذ الزمان
أحكم الفرية حتى | لا يشك الأبوان
وغدا يزعمُ أني | لا أعي ممَّا عَراني
قد أصاب الداءُ مني | كل عُضو وبنان
ولكم كنتُ أُقاسي | منه مكر الثعلبان
فأغض الطرف حِلْماً | مضمراً أسمى المعاني
رغم هذا وجهودي | فرَّ مني وعصاني
رغم ما كان يلاقي | من حنوٍّ وحنان
وأتى المنزل يَفري | وبما شك رماني
يُظهر الحزن على ما | ضاع من عمر الزمان

* * *

ورأت هندُ فتاها | خلف زهر الأقحوان
يقصد البيت ويعدو | مسرعاً مثل الحصان
راعها منه قدوم | وقت تنظيف الأواني
ثم قالت وهي ترنو | لفتاها المتواني
ما جرى في الكون حتى | جئت من قبل الأوان

* * *

قال يا أُمُّ سئمنا | وجه ذاك الأفعوان
ما رأينا منه إلا | غضباً في كل آن
فهو دوماً في عُبوس | ويداه تبطشان
يرفع الهامة زهواً | في عُتوٍّ وافتتان
ولكم يقسو ويطغى | مثل طغيان الزمان
ليس في قلبه شيءٌ | من أمارات الحنان
يضرب الصبية ظلماً | بقضيب الخيزران
وإذا ما مسَّ أُذناً | أصبحت كالأرجوان
وَيْحَ أُذن ورَّطتها | غلطة أو غلطتان
ويل مَن أخطأ يوماً | أو أتى بعد الأوان
أو لها في القسم سهواً | عند شرح أو بيان
أو أدار الوجه يلهو | أو بدا منه التواني
أو أضاع الدُّرَّ لـمَّا | لفظته الشفتان
وإذا نقطة حبر | سقطت فوق البنان
فالأصابع تؤدِّي | ثمن الحبر اليماني
قد ذهبنا اليوم نجني | حلو أثمار المعاني
ونغذي الفكر بالعلم | وأطباق البيان
فإذا الأستاذ يشكو | كبداً بعد الجنان
أصبح اليوم مريضاً | لا يعي مما يعاني
فاقتضى الأمر طبيباً | وعلاجاً يشفيان
قد أراح الله منه | كل أُذن وبنان
وَلذا جئت إلى الأ | مِّ أراها وتراني
وأُقضِّي معها الأسبو | عَ في دار الأمان
وتجلَّى كل شيءٍ | من أكاذيب الميان
عندما زار أبوه | منزلي كيما يراني
حاملاً باقة زهر | من ثغور الأقحوان





نظرية عربية .. في النقد

د. سعد دعبيس

إعداد : محمد الصادق عبد اللطيف

تظل قضية الإبداع في الأدب العربي من القضايا التي تستأثر باهتمامات الأدباء والنقّاد على السواء ، تطلعاً منهم لإيجاد حركة أدبية عربية إبداعية معاصرة فاعلة ، تضيف إلى تراثنا الأدبي العربي جديداً يعكس معطيات جيل عاش عصره بكل أبعاده .. جيل مارس حضوره بجدية وجدارة .

وتأتي قضية النقد في الأدب العربي المعاصر من القضايا الملتزمة بالعملية الإبداعية التزاماً مترابطاً .. ويسعى المخلصون من النقّاد في الوطن العربي إلى إيجاد نظرية نقدية عربية خالصة ، تستقل عن نظريات الغرب المستوردة .

وقد تعددت أصوات النقّاد العرب .. ويأتي صوت الدكتور سعد أحمد دعبيس واحداً من الأصوات الداعية إلى الإبداع في الأدب ، وإلى إيجاد نظرية عربية تتفق وإبداعاتنا المعاصرة .

من هذه المنطلقات يأتي لقاؤنا هذا مع الدكتور سعد دعبيس لإلقاء الضوء على أفكاره ورؤاه النقدية .



★ د. سعد دعبيس ★

تطور الأدب

●● الكتابة الأدبية تطور حسب سير الزمن .. ماذا يعني هذا التطور في نظركم من خلال رؤية نقدية معاصرة ؟

● إذا كانت التيارات المائية تتجدد في النهر المتدفق في كل لحظة ، فتَيَّارات الإبداع الفني والأدبي يصدق عليها ذلك المقياس ؛ فالمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية المؤثرة في أدب **العصر الأموي** ، تختلف إلى حد كبير عن مثيلتها في **العصر العباسي** ، والفنَّان لا بُدَّ أن يتأثَّر بتغيرات العصر ـ على صورة من الصور ـ ولكن تجدُّد التيارات في النهر لا يَعْني القطيعة مع النهر ، وكذلك تجدد التيارات في الإبداع الأدبي ، سواء كانت تيارات متعلقة بالمضمون أو الشكل ، هذا التجدد لا يعني القطيعة أبداً مع نهر الشعر العربي ، أو بتعبير آخر : مع ينابيع العمق والأصالة في نهر التراث العربي .

تطور النقد

●● هل أدى هذا

لقاء مع

التطور دوره .. وهل يمكن لنا أن نبدع به فناً نقدياً جديداً لكتابة معاصرة ؟

● كان كثير من نقّاد العرب القدامى يؤمنون بالتطور ، ويقفون مع الجديد . لقد أعلن « **ابن قتيبة** » ذلك في مقدمة **كتابه « الشعر والشعراء »** ، وأداته من يهاجموا الجديد ، لا لشيء إلا لأنه جديد ، ويثنون على القديم لا لشيء إلا لأنه قديم ، كما وقف « **ابن المعتز** » أيضاً مع الجديد ، ويشترك معهما في ذلك الاتجاه آخرون ، على رأسهم : **ابن بسّام** في مقدمة « **الذخيرة** » ، وصاحب « **يتيمة الدهر** » وغيرهما .

ولحرص هؤلاء النقّاد على مواصلة مسيرة التطور ، فقد حرصوا دائماً على إزالة الأعشاب الطفيلية ، والصخور التي تدمي أقدام الشعراء في انطلاقاتهم الإبداعية ، فأباحوا للشاعر ما لا يباح للنّاثر ، وأجازوا له قَصْرَ الممدود ، ومدَّ المقصور ، إلى آخر ما تناوله مَنْ كتبوا في باب « **الضرائر الشعرية** » ، ولم يجعلوا قضيتي الإيمان والكُفْر ، سلاحاً يُشْهَرُ في وجه الشاعر ، بل نادى **صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني** ، بأن سوء المعتقد لا ينبغي أن يتدخل في حكْمنا الفنيِّ على شاعر ، ولو كان سوء المعتقد عاملاً مؤثراً في النقد الأدبي لوجب أن نُسقط من قائمة الشعراء الكبار في الشعر العربي ، **أبو نُواس** وأمثاله .

لكن هؤلاء النقّاد ــ في تمجيدهم للجديد ــ كانوا دائماً ينطلقون من منطلق يقوم على الاعتزاز بالتراث ، ومحاولة تعميقه وتأصيله ، وتطويره أيضاً ، وهذا ما ندعو إليه الآن ، **فنحن ندعو إلى انطلاق النقد المعاصر من منطلقَيْ : الأصالة والمعاصرة .**



★ ابن قتيبة ★

فالقارئ العربي أشدّ ما يكون حاجة الآن ــ في مجال الدراسات الإنسانية ــ إلى تأصيل الفكر العربي ، وإيجاد تصوُّر عربي للقضايا الفلسفية والأزمات الحضارية التي يطرحها الفكر الأوروبي المعاصر ، ذلك لأن الصراع المذهبي العالمي في عصرنا الحاضر ، قد أصبح واقعاً مريراً يفرض وجوده على القارئ العربي ، وأصبحت المذاهبُ الفلسفية والاقتصادية ، والسياسية التي تتصارع في أوروبا ، هي نفسها التي تمزق الساحة العربية ، وتحاصر الفكر العربي ، وتسدُّ عليه مسالك الطرق ومعالمها ، فلا يكاد يتبيَّن وقْعَ أقدامه ، ولا أين تسري به الخُطى ، ولا كيف يلتمس معالم الطريق .. ! .

وقد آن لنا أن نخرج من مرحلة انعدام الوزن ، وفقدان الوجود الخاص ، في متاهة التصور الأوروبي ، إلى مرحلة البحث عن الذات ، والبحث عن رؤيتنا الخاصة ، وعيوننا نحن .. لا « عيون الآخرين » .

شيء من هذا حاوله بعض العلماء العرب أخيراً في مجالات علم النفس والتربية ، بإيجاد تصوُّر عربي إسلامي في هذه المجالات ، ونأمل أن يمتد ذلك إلى مجالات العلم الأخرى ، ونحن المشتغلين بالدراسات الأدبية ، نأمل أن يمتد ذلك إلى مجالي : الأدب العربي والنقد العربي .. **نأمل أن ينطلق الأدب العربي المعاصر من منطلق الأصالة المتكئة على المعاصرة ، وأن يقدّم للعالم الشرق العربي الذي بهر « لامرتين » و « جوته » وغيرهما في تجارب إنسانية نبيلة .**

كما نأمل أن يتحرر النقد العربي من حصار بعض المصطلحات النقدية التي لا تمثّل واقع الأدب العربي ، ولا تنسجم مع خصائصه الفنية ، بل هي ــ وبخاصة في مجال الشعر ــ أشبه بمصطلحات مفروضة على النص الشعري .

وحين يتمُّ لنا ذلك سيأتي اليوم الذي يُبدع فيه النقّاد العرب ، نظرية نقدية عربية ، تحرر الأدب العربي من قيود الشعارات والمصطلحات التي لا تتواءم مع واقع النص الأدبي ، بل .. وتُعْطي أحكاماً مضلِّلة ، وتسوق إلى نتائج متعسفة ظالمة .

وينبغي لنا أن نحذر أشدّ الحذر من بعض الدراسات النقدية المتعسفة ، تلك الدراسات التي تفسّر حركة « الشعر الحر » ــ مثلاً ــ بأنها قطيعة مع التراث ، بل .. وتعتبر ثورة وتمرُّداً على التراث العربي .

الأدب .. بين الدين والفلسفة

●● الأدب في نظركم .. هل هو دائماً روحي المذاهب ؟ أم ينبع من فلسفة ذاتية ؟ أم هو

★ نأمل أن يتحرر النقد العربي من حصار بعض مصطلحات النقد .
★ آن لنا أن نخرج من حالة فقدان الوجود الخاص إلى مرحلة البحث عن الذات .

نقطة تتطلب تفسيراً معاكساً ؟

● كلمة « الأدب » كلمة شاملة لفنون عديدة ، كلٌّ منها له طابعه الخاص ومقوماته الخاصة ، فالقصة ــ مثلاً ــ غير المسرح ، وغير المقال ، وكلٌّ من هذه الفنون يختلف عن فن الشعر ، ومنذ قديم الزمن تراوحت المصادر الفلسفية للأدب بين المثال والواقع ، **فأفلاطون** يرى في « **محاورة إيون** » أن الشعر وحي من الآلهة ، لا فضل للشعراء فيه ، بينما « **أرسطو** » يقيم نظرية الشعر على محاكاة الواقع ، ويمجِّد المحاكاة ، ويرى أنها خلق جديد للواقع ، وأن فيها تطهيراً للنفس الإنسانية ، وتهذيباً لها ، وإذا كان « **الكلاسيكيون** » يقيمون فلسفتهم الأدبية على عقلانية أرسطو ، ونظريته في المحاكاة ، « **فالرومانسيون** » يثورون على هذه العقلانية ، ويجعلون « العاطفية » المتدفقة منطلقاً لأدبهم . ويبقى بعد ذلك أن نقول ــ فيما يتصل بالشعر ــ إن بعض النقَّاد يرى رسالة الشعر ، متعانقة ومتآزرة مع رسالة الدِّين ، وأهمية الشعر في تحقيق جوهر الإنسان ، منسجمة مع أهمية الدين ، ذلك لأن الأدب شعور وإيمان ، وكذلك الدين شعور وإيمان ، يقول (**دونليّ**) :

« إن الشعور في الدين يكون عبادة ، وفي



★ أبو نواس ★

الفن يكون مُجسِّداً للمُثُل ، والأدب والدين يهدفان إلى مُثُل عليا ، ويبحثان عن الحقيقة القصوى ، والأدب والدين متعانقان ، لا يختلفان في الجوهر ، لكنهما يختلفان في طريقة أداء رسالتيهما » .

ورؤية الإنسان الخاصة للوجود ، لا تتناقض مع التيارات الروحية أو الدينية ، وبخاصة فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية ، فكُلُّ مُسْلِم ، مُطالَبٌ باستخدام العقل ، وأن يقدِّم تأمُّله الخاص للكون والطبيعة ، ومُطالَبٌ أيضاً بأن يتأمَّل نفسه ، والآيات القرآنية الكريمة الداعية بشدة إلى ذلك المنهج التأمُّلي ، تميِّز القرآن الكريم بميزة خاصة ، هي : أنه كتاب العقل والمنهج ، كتاب يجعل التفكير ــ كما يقول « **العقَّاد** » ــ فريضة على الفرد المسلم ، وفي ظل الفكر الإسلامي ازدهرت عالمية الشاعر الباكستاني **محمد إقبال** ــ في العالم الحديث ــ .

رحلة الكاتب .. والتجربة

●● يعتبر الكاتب بدايته مرحلة الملاحظة ، ثم مرحلة القراءة ، ثم مرحلة المخاض والتجربة .. هل عندكم من تحديد لهذه المعالم من خلال تجربتكم الأدبية ؟

● تكاد هذه المراحل تمتزج امتزاجاً تامَّاً ، **فالموهبة الأدبية** لا تعترف بهذه المراحل ، وإنَّما تفرض نفسها في لحظة معيّنة على الأديب ، ولا تنتظر لحظة النضج التَّام . إن ذلك الأديب يُحسُّ فجأة بحاجته الملحَّة إلى نظم الشعر ، ولا ينتظر المزيد من القراءة والنضج ، وقد يتعثر في البداية ، ولكنه يواصل مسيرته ، محاولا الاستعانة على الإبداع بالقراءة ، والمعاناة اليومية ، ومحاولة التجريب الدائم ، ــ وبالنسبة لي ــ فقد اكتشفت موهبة الشعر في نفسي في نهاية المرحلة الابتدائية ، ونظمت شعراً ساذجاً ضاع كُلُّه منِّي ، وكانت أول قصيدة تنشر لي بمجلة الرسالة القديمة (**رسالة الزيَّات**) سنة

د . سعد أحمد دعبيس .. في سطور

● من مواليد محافظة البحيرة ، مدينة دمنهور ــ مصر عام ١٩٥٢م .

● تخرّج في كلية دار العلوم ، ثم نال دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين .

● كان موضوع رسالة الماجستير عن « الغزل في الشعر العربي الحديث » بامتياز .

● وموضوع رسالة الدكتوراه « الغربة في الشعر العربي الحديث » بمرتبة الشرف الأولى .

● أسهم في أمسيات الشعر والنقد الأدبي في « رابطة الأدب الحديث » و « اتحاد الكتَّاب » بالقاهرة .

● مؤلفاته المطبوعة :

١ ــ الغزل في الشعر العربي الحديث .

٢ ــ تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي .

٣ ــ حوار مع الشعر الحر .

٤ ــ التيار التراثي في الشعر العربي الحديث .

٥ ــ أغاني إنسان (ديوان شعر) .

٦ ــ اعترافات إنسان (ديوان شعر) .

● نشرت أعماله في عدد من المجلات العربية البارزة .

☆ ☆ ☆

١٩٥٠ م ، وأنا طالب **بكلية دار العلوم** ، وهي قصيدة تصور الاغتراب الروحي في المجتمع ، بعنوان « في القاع .. يا رَبّ » .

الكاتب .. والثورة

●● هل توافقون على أن الكاتب ثائر ؟ وكيف تبرر ثورته إن وُجدت ؟

● الكاتب والشاعر والفنَّان بصفة عامة يعاني من التوهّج والإشراق ، ما يقرب من الوجْدِ الصُّوفي ، إنه يعاني في لحظة الإبداع من التوتر النفسي ، والفيض العاطفي ، ما يجعل واقع المجتمع الراكد المحدود بتقاليد معيّنة ، وقيم محدودة ، عاجزاً عن إشباع إشراقاته الروحية ، والفن ينطلق من الجزئي إلى الكلي ، ومن الحيِّز المحدود ، إلى لا نهائية الكون . . ! .

ولكن . . أيُّ ثورية يؤمن بها الشاعر أو الكاتب ؟ .

في رأيي أن ثورية الشاعر المسلم أعمق هذه الثوريَّات ، لأن رسالته لا تتوقف عند طموحات الثُّوَّار الآخرين . . إنه بإيجاز يريد تغيير العالم كُلّه . . إلى عالم مخضوضر بمبادئ الحرية والإخاء والمساواة . . ! وأن الأرض للّهِ يُورثها من يشاء من عباده الصالحين . . . وخلافة الله في الأرض .

وهذه أعظم ثوريَّة تقدُّمية في العالمين : الجديد والقديم .

نداء

شعر : عارف الشيخ

لِمَن القَريض أزفّه أو أنتقي ؟ ... وَالدهرُ ليسَ بِمُنصفٍ مَن يتّقي
إني امرؤ لا أستريح لمارق ... فَعَلامَ يُسْلِمني الزمان لأمرقِ ؟
حَلّت عليَّ نوائب مَنْ لي وقد ؟ ... جار الزمان عليَّ دون ترفقِ
وَلّى الوفاء فلم نَفُز بعهوده ... إنَّ الوفاء رهينُ عَصر أحمقِ
إنَّ الحياة وقد جَرعْتُ هَوانها ... قد شيّبتْ بالهول أعلى مفْرقي
رَبّاه إنّ القَومَ في شَرق البِلا ... دِ وغَربها فِرقٌ فأنّى نلتقي ؟
قامت على بَث الخِلاف مَذاهبٌ ... مُتفرّقين اليوم شرٌّ تَفرّقِ
مَن لي وقد دارت عَليّ عواصفٌ ؟ ... عَصَفت بماضينا المجيد الأعتقِ
رُمنا الذُرَى خُضنا البحارَ بهمة ... جُزنَا القِفارَ على ظُهور الأيْنُقِ
هل يعلم الغربُ العظيم بأنّه ... لولاي عِلْمُ الغرب لم يتألّقِ ؟
فأنا الذي فَجّرتُ كلَّ صنائع ... والغرب من تلك المناهِل يَستَقي
وأنا الذي أيقظتُ كلَّ مواهبٍ ... فَعَلامَ يُدعى غيرُنا بالأسبقِ ؟
عجباً بني الإسلام أخفَق نَجْمُكم ... وغدا بعلم نَجْمُ غَرب يرتقي
إني أنا الإسلام تلك شَريعتي ... لا يَستهين بهديها إلا شَقي
ما بالكم لا تذكرون فضائلي ... إلا اليسير وفي نطاقٍ ضَيقٍ ؟
أوَ ما مَلأتُ حياتكم بعد التي ... أوَ ما بَهرتُ العالمين بمنطقي ؟
والمسك يَعبق طيبهُ وأريجُه ... ولو أنّه في المهد غَير مُفَتَّقِ
عالجتُ كلَّ عويصةٍ بسماحتي ... أنصفتُ كل مُغَرّب وَمُشرقِ
ووهبت أبناءَ الحياة سعادة ... فَعَلامَ أذهبَت الحياةُ برونَقي ؟
زَعموا بأني نَغْمَةٌ رجعيّةٌ ... ونُسبتُ زُوراً للجُمودِ المُطلَقِ
قالوا نُجدّد فلنقنن شِرعة ... فأتوا بقانون جديد أخرقِ
شتّان بين « مُنَزّل » قد أُحكِمَتْ ... آياتُه و« وساوس » المُتَحَذلِقِ
ذاكم هو القرآن ليس يناله ... زَيفُ الكَهانة أو لسانُ المُفلِقِ
القُدس أوشك أن يُطاوله العِدى ... بالهَدم واغوثاه هَل مِن مُشفِقِ ؟
وَبَنيَّ في « الأفغان » طال وقوفهم ... أفغانُ صبراً في ظِلال بنادِقِ
أنتم سُيوفُ الله في دُنيا الورَى ... إنْ جُردت فوق الفيالق تَفْرَقِ
هَل في « بَنيّ » بواسِلٌ أمثالكم ... تِلكُم أمانٍ بعدُ لم تَتَحَقّقِ

الإنسان بطبيعته فيه غريزة الانتماء والولاء ، والإسلام يركز على هذه الناحية وينميها ويؤصلها في قلب المرء . . ومصدر التشريع في الإسلام كتاب الله وسُنّة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يؤكدان على هذه الناحية ويزكيانها . ومن هنا يلمس الإنسان اهتمام الإسلام بمخاطبة العقل ، والدعوة للتبصر والسؤال عما يجهله الإنسان .

وإذا غاب هذا الوازع ، وانمحى الرشد للمرء من تيه الضلالة وهو المصدر التشريعي السماوي تاه الإنسان ، وضاع معتقده ، فأصبح كالغريق الذي تتقاذفه الأمواج يبحث عن قشة يتعلق بها ، وقشرة صغيرة يراها فيحسبها جسماً ، وعندما تمسك بها يداه تهوي به في القعر فتسبب له الغرق ومن ثم الهلاك .

من غرائب المعتقدات

بقلم : د. محمد بن سعد الشويعر

وهذا ما يحصل بالنسبة لمعتقدات كثير من شعوب الأرض ، ففي **إفريقيا** نسمع العجائب في عبادات الوثنيين ، وفي **روسيا** نلمس أن **الشيوعيين** بعدما فرضوا مذهبهم ، واعتبروا الدين أفيوناً للشعوب ، واعتبروا المادة هي كل شيء ، رجعوا رغماً عنهم إلى المعتقدات التي تاهوا عنها ، واحتارت عقولهم فيما ينتمون إليه .

وأثناء زيارتي إلى **نيبال** لفت نظري في الطرق الصحراوية ، وفي القرى كثرة : القربان ، والأبقار ، والكلاب .

وبحب الفضول طلبت من المترجم وهو مسلم من تلك الديار تفسيراً لذلك ، فقال : لا أعلم لذلك شيئاً إلا بعض المعتقدات حول **البقرة** ، ذلك أننا معاشر المسلمين ننعزل في بعض القرى عن الاختلاط بالهندوس ولا نعرف عن عاداتهم ومعتقداتهم إلا الشيء اليسير .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الجهل المتفشي عند كثير من **الهندوس** يجعلهم لا يعرفون هم أنفسهم كثيراً من أسرار المعتقدات التي وقعوا فيها ، أو سار فيها بعضهم ، لأن من كثرة المعتقدات عندهم أصبح بعضهم لا يعرف عن معتقد البعض الآخر شيئاً . ولذا **وصفت الهند بأنها ذات الـ ٤٠٠ ديانة .**

وكانت فرصة الرحلة الطويلة التي صاحبنا فيها سائق هندوسي متعلم وهو يصاحب السيّاح دائماً ويعرف بلاده كلها شبراً شبراً ، ويجيد اللغة الإنجليزية ، فرصة للدخول معه في الحديث بعد أن زادت صحبة السفر عن عشرة أيام ، نتجول خلالها في أطراف البلاد سياحة واستطلاعاً .

وقد بدأنا بسؤاله عن البقرة وقانون الجزاء لمن يقتلها أو يأكل لحمها ، فقال : إن قانون الدولة يجرم ذلك ، والجزاء هو السجن مدى الحياة لمن يعمل ذلك ، والبقرة تترك حتى تموت ولا يؤكل لحمها .

أما لو دهسها سائق في الطريق العام ، فإن الجزاء عليه سجن لمدة عام ، وغرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية نيبالية تعطى لصاحبها وللدولة ، هذا في أول مرة ثم يضاعف الجزاء إذا تكرر العمل .

عبادة البقرة والكلاب

فسألناه عن سر عبادتهم للبقرة ، فقال :

أولاً ــ إن المرأة الوديعة الهادئة الخلوقة عندنا تسمى بقرة لأنها اتصفت بصفاتها لأن البقرة طبيعتها الهدوء بعكس الثور والجاموسة ، فالبقرة لا تؤذي وكثيرة الخير ، وتدر اللبن ، وتنتج بالتوالد . ولذا تحرص النساء على الاتصاف بالوداعة وخدمة الأزواج لتتصف بهذه الصفة المحببة .

والناس لا يمنعون البقرة من أكل حوائجهم وبضائعهم ، بل يفرحون بذلك ، ويتركونها تعمل ما تشاء ، تيمناً وتبركاً حتى لو هلكوا جوعاً .

وعن سر عبادة البقرة وتعلقهم بها ، قال : إننا نعتقد بوجود مشكلات كثيرة تأتي الإنسان بعد الموت ، وإن أمامنا أنهار لا نستطيع عبورها ، فإذا وقفنا لنتجاوز للجهة الثانية ، جاءت البقرة فتعلقنا بذنبها فتخرجنا من هذه المشكلات المعترضة ، ونتجاوز معها بأمان ، ولذا نسجد لها ونحبها ، لأنها تسبح بنا إلى عالم آخر .

وحكى لنا السائق شيئاً أغرب عن معتقداتهم ، وأغرب من عبادة البقرة ، فقال : نحن نسجد مرة في السنة **للكلاب** ، وخاصة كلاب الحراسة ، ونعمل لها أطواقاً من الزهور ونعلقها في أعناقها . ولا نتعرض للكلاب بأذى .

وسر هذا الاعتقاد أن هذا الكلب هو الذي يدخلهم الجنة بعد الموت ، كما يقول السائق ، لأنه يحرسها فيعرفهم بما عملوا له في الدنيا فيجازيهم بهذا العمل بعد الموت . . لأن الجنة كما يزعمون فيها أشجار ومأكولات ، وعلى أبوابها كلاب تحرسها ، فهي لا شك ستعرفهم بعد الموت لأنهم قدموا لها هذه العبادة . فلا تنبح عليهم عند الدخول ، ولا تمنع دخول إلا من لم يعبدها .

وهذا سر عبادتها سنوياً . ولذا فإنهم يحترمون الكلب ويقدمون له المأكولات ، وهذا

غرائب من المعتقدات

من أسباب تناسلها وكثرتها في كل مكان حتى في العاصمة **«كاتمندو»** .

وهذا أيضاً دفعنا للسؤال عن أسباب كثرة **الغربان** ، وهل أسباب ذلك كثرة الجيف ، أم هناك سر آخر ؟

فقال : إن الغراب له مكانة في نفوسنا ونحترمه ، ونعبده ، فهو الذي يأتي لنا بالخبر الطيب ، ونقدم له القرابين .

ولعل تعلقهم بالغربان له علاقة بتعلق الجاهليين العرب قبل ظهور الإسلام ، بل وتعلقهم بكل شيء حتى الشجر والحجر .

دفعنا هذا الكلام للاستزادة ، خاصة وأن الطريق الطويل في حاجة إلى تزجيته وتخفيف بُعده بما تتشوق إليه النفوس ، ذلك أن كل أمر مستغرب تتطلع إليه النفوس ، وتريد المعرفة لجوانبه للفائدة من جانب ، والحمد الله وشكره على نعمة الإسلام التي لا يعدلها نعمة .

فلولا هداية الله لنا معاشر المسلمين لهذا الدين العظيم ، لتهنا في الحياة الدنيا ، كما تاهوا ، قال تعالى : **﴿ ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً ﴾** . ومن نعمته سبحانه التي لا يعدلها نعمة الهداية لمعرفة حقيقة الإسلام ، والإعانة على العمل وفق شرعه الذي شرع سبحانه ، ووفق سُنّة رسوله الكريم **صلى الله عليه وسلم** .

يتضح الأمر جلياً للمسلمين إذا رأوا أو سمعوا أمثال هذه المعتقدات التي هي أقرب للخيال منها للواقع ، وللتندر أكثر مما هي واقعة حقيقية . . نسأل الله الثبات على دينه ، والعصمة من مضلات الفتن .

لقد زادنا السائق توضيحاً عن بعض المعتقدات التي ساروا عليها في هذه البلاد ، وذلك أن بعض النسوة تحجم عن الزواج ، وتقرر الواحدة منهن التنسك والعبادة ، فتعتزل الحياة وتدخل المعبد ، ويكون لها فيه مكان خاص ، وتلبس الخشن من الثياب ، فيقصدها الناس يعبدونها ، ويهتم بها كبار القوم حتى أعلى طبقة في المجتمع يزورها ويسجد لها . وترتفع في نظرهم عن طبقة البشر إلى طبقة الألوهية حيث يعبدونها وتأخذ اسماً جديداً وتأتي إليها النساء خاصة يومياً للسجود لها والتبرك بها من أماكن بعيدة . . أما من لم يلد منهن فيطلب منها أن تمنحه الأولا .

السيخ . . وعباداتهم

دفعتنا هذه الفضوليات للاستزادة ومعرفة شيء عن **السيخ** وعباداتهم وهل يوجد في نيبال منهم أحد ، خاصة وأنه قد أتيح لنا زيارة معبد من أكبر معابدهم في **نيودلهي بالهند** ، ورأينا فيه ضخامة في البناء ، وتنظيماً ونظافة في فرشه وردهاته ، وتماسكاً فيهم من حيث التبرعات والاستضافة لكل وافد لمدة ثلاثة أيام بالمجان سكناً وأكلاً ، وترغيباً في التعريف بالدين لكل وافد إليهم دون أن يأخذوا منه أي مقابل نظير حفظ الأحذية التي لا يسمح الدخول فيها ، أو الشرح مع الدليل ، أو الأكل والسكن لمن يرغب ولو كان من غير ملّتهم .

فمعبد السيخ واسمه **«قرود وارا»** ومعنى ذلك مدخل الأستاذ الكبير . أما الكتاب الذي يقدسونه فاسمه **«قروقرند»** أي الكتاب الديني للأستاذ الكبير .

وقد رأيناهم يقدسون هذا الكتاب الذي وضع له بناية بابها من زجاج ومضاءة ، مفتوحة صفحاته ، وحوله فرقة موسيقية تضرب وأناس يرتلون منه الأناشيد ، فهذه هي العبادة . وكل من دخل يسجد أمام الكتاب . ويقدم له التحية ، وكانوا من قبل يعلقون هذا الكتاب في بيوتهم ، إلا أنهم في الآونة الأخيرة وبعد مقتل **أنديرا غاندي** ، ومشكلات السيخ الطائفية مع الهندوس أعلنوا فيما بينهم منع تعليق هذا الكتاب في البيوت ، بحجة أنه من التماثيل ، لأنه في نظرهم يشبه عبادة الأصنام .

والسيخ ، كما قال مدير العلاقات بذلك المعبد ، لا يعبدون إلا الله ولا يعبدون الأصنام ، ولا توجد التماثيل في معابدهم ، ولكن كيفية هذه العبادة غير معروفة . ولم نعرف لهم نوعاً من العبادة ولا أوقاتاً معينة للعبادة غير ما رأيناه في ذلك المعبد وسماع التراتيل على أنغام الموسيق الصاخبة .

ومن شعائر السيخ الدينية ، وهي أقرب إلى العادات منها إلى العبادات ، أنهم يتمسكون بخمسة أشياء تميز السيخ عن غيرهم ، وهي :

١ ــ عدم أخذ شيء من شعورهم في أي موضع من الجسد سواء للذكور أو للإناث ، بل يبقون كل شيء على حالته وطبيعته التي أخرجه الله عليها .

٢ ــ لبس سوار من الفضة أو مطلي بالفضة باليد ، وبعد اختراع النيكل والأستيل صاروا يكتفون بذلك لأنه أرخص ، وهي غالباً اليد اليمنى .

٣ ــ وضع المشط في الشعر وتحت العمامة ومثبتاً في شعر المرأة ، وبعضهم يكتفي بحمله معه .

٤ ــ لا بد من حمل سيف أو خنجر صغير .

٥ ــ التقيد بالعمامة الكبيرة ذات الشكل الخاص ، وتربط بقابض لشعر اللحية من العارض إلى العارض لثنيه بشكل خاص بحيث يبدو كأنه مقصوص .

ولا شك أن لكل عادة من هذه العادات رمزاً معيناً في معتقدهم ، فهم من شدة محافظتهم وتماسكهم لا يفصحون عن هذه العادات وأصلها في المعتقد .

والسيخ في الهند طبقة ثرية جداً ، وعندهم جمعيات تعاونية ، ولا يسمحون للفقير منهم بأن يتسول ، بل يؤمنون له العمل ويعاونونه .

وقد بدأوا في التقرب للمسلمين بعد الاصطدامات بينهم وبين الحكومة الهندية ، وقتل أنديرا غاندي ، حيث غضب الهندوس

عليهم وقتلوا منهم مجموعة كبيرة تقدر بأكثر من عشرة آلاف نفس في مرة واحدة .

وقد وجدنا قصيدة من أناشيدهم التي يرتلونها بالمعبد ، وفيها بيت من الشعر خلاصته أننا لا نعبد إلا الله .

ولكن فكرة التقارب مع المسلمين في الآونة الأخيرة قد تكون للاعتبار السياسي فقط ، حيث يرى بعض المسلمين في الهند أن من المعتقدات في إبقاء الشعور عند السيخ هو عهد أخذوه على أنفسهم بقتل المسلمين وإخراجهم من الهند حيث سبق أن سجل التاريخ مذابح بينهم ، وأن كل شخص لا يحلق شعره حتى يقتل مائة من المسلمين .

عقيدة الهندوس

وعن عقيدة الهندوس في نيبال في الكلب ، فإننا في إحدى الغابات بعد ما أعددنا غذاءنا والناس يتفرجون علينا ، ولا ندري هل ذلك فضولا أم تعجباً ، قد أعطيناهم ما تبقى ، فرفضوا أكله وطلبوا أن نعطيه كلباً قريباً منا ، فقدمناه له فأكله .

وكنا نظن ذلك تعففاً منهم ، أو خوفاً من أن يصيبهم ضرر من هذا الطعام وهو « الكبسة » الذي لم يتعودوا عليه .

ولكن عرفنا فيما بعد سراً آخر ، وقد يكون السبب في عزوفهم ، ذلك لأن من معتقدات الهندوس أن المسلمين خاصة وغير الهندوس عامة نجسين وأنه يحرم استعمال كل شيء لمسوه ، كما فهمنا من بعض الإخوة في الهند ونيبال . وقد كانت العادة قبل ثلاثين عاماً أن المسلم إذا لمس بضاعة التاجر أو مأكولات لدى البائع ، فإن عليه أن يشتري هذا كله لأنه لا يمكن أن يستعمله هندوسي بعد ذلك . والويل له إذا لم يدفع ثمن ذلك كله .

وفي حالة طلب المسلم ماء ليشرب فإن الهندوسي يشير إليه عن موضع الإناء فإذا شرب المسلم يؤمر برمي الإناء ولا يستعمله الهندوسي بعده أبداً .

ومنذ ثلاثين عاماً فقط صدر أمر في نيبال « قانون » من الملك بمنع ذلك ، ومعاقبة من يثير هذه العادة من جديد بالسجن . ولكن لا زال لذلك جذوراً في القرى والمناطق الريفية يحركها بعض الكهنة خفية ، ليوجدوا ثغرة بين الهندوس والمسلمين .

أما عن المعتقدات الدينية ، فذلك شيء غريب ، وعندهم من المعتقدات والعبادات ، ما لا يخطر على بال إنسان عاقل ، وكل شيء فيه قوة كالأنهار والأشجار ، وبعض الحيوانات والكائنات فهو يعبد ، ويذكرنا ما لمسناه من كثرة المعتقدات بما نقرؤه عن الوثنيات الجاهلية التي جاء رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالوحي من عند ربه ليطهر المعتقدات ، وليزيل ما وقر في النفوس من تعلق بغير الله ، ولعل ما نقرؤه عن الديانات في الهند تزيد عن (٤٠٠) معتقد ، جاءت من هذا الجانب . وإن ما لمسته في الهند ونيبال أثناء تجوالي بتلك البلاد ، لبرهان صادق على صحة ذلك القول .

وكنت قد قرأت من قبل كتابين للدكتور **الأعظمي** ، وللأستاذ **محمد المجذوب** ، عن عجائب المعتقدات في تلك الديار ، فتابعت ذلك من باب المتعة مع مساورة الشك في صحة ذلك ، لأن في الأمر أشياء قد يتصورها المرء من ضرب الخيال . ولكن بمشاهدة ذلك واقعاً ملموساً تتغير معه الصورة ، ويستيقظ الضمير الحي ليحمد الله على نعمة الإسلام ، تلك النعمة التي لا يدانيها نعمة ، قال تعالى **﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ .** (سورة الحجرات ، آية ١٧) .

ولقد عرفت عن بعض غرائب المعتقدات لدى **البوذيين** والهندوس والسيخ ، مما يقف دونه العقل حائراً ، وسوف أحاول الكتابة عما رأيت وشاهدت من تلك الأحوال ، ونحمد الله تعالى على الهداية للإسلام ، ومعرفة الحقيقة التي أنارها الإسلام بشريعته ، وأوضحتها المصادر التي لا لبس فيها ولا تشكيك ، لأنها من عند الله العزيز الحكيم ، وأبانها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث أوصى أمته بقوله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته : **« تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي أبداً ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسُنَّتي »** ، نسأل الله السلامة من الفتنة ، والاستقامة على الحق ما دمنا على هذه الحياة ، حتى نلتقي الله بعقيدة سليمة حسبما يرضيه سبحانه عنا . فإن الإنسان لا يدرك عن النعمة الكبيرة التي حبانا بها الله في العقيدة ، وفي وجود ولاة أمر يدفعوننا لذلك دفعاً لإقامتهم شرع الله ، وتنفيذ حكمه الذي هو أرأف بالمجتمعات من كل متقول ومدعي .

لا يدرك هذه النعمة إلا بعد مخالطته لأجناس لهم معتقدات ونزعات يأباها العقل السليم ، وتنفر منها الطباع الصحيحة المتبصرة ، كما أخبر الله سبحانه **﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾** (سورة الحج ، آية ٤٦) .

ومن تلك المعتقدات التي لفتت نظري عندما كنت في نيبال ، حيث معقل البوذية ، ومكان مولد **بوذا** ونشأته ، وأكبر معابد البوذيين ، فقد بتّ ليلة في فندق صغير بإحدى المناطق القريبة من الحدود الهندية ، واسترعى اهتمامي صوت دقات أجراس من الساعة ٣ ١/٢ الثالثة والنصف صباحاً وحتى طلوع الشمس ، وبدافع الفضول استوضحت عن السر ، فقيل إن بجوار الفندق معبداً من معابد البوذيين ، وإن أبرز مظهر من مظاهر العبادة هو ضرب الجرس ، فكل من أراد الذهاب لعمله في هذا الوقت المبكر مرّ بهذا الجرس الكبير في مقدمة المعبد وضرب به ثلاث مرات ، وذهب لشأنه ، فالعبادة تتمثل فقط في هذا المنحى ، وقد وقفت في الصباح عند هذا المكان أرى نماذج من هذه الطقوس ولا شيء غيرها .

ولذا كثرت الجرائم والفواحش في مجتمعات هذه معتقدات أهلها مع أنهم من أطوع الأمم استجابة للأنظمة إذا فرضت ، والسلطة إذا قويت . . والله الهادي إلى سواء السبيل .

... التحريف في بعض ...

كثيراً ما تثار مسألة اضطراب بعض أوزان الشعر المنسوب إلى الجاهلية ـ ويرى البعض في ذلك بدايات لاستعمال الإيقاع المفرد بدلا من الإيقاع التام أي حركة وسكون أو حركة فحركة فسكون. وربما ذهب البعض إلى أن الإيقاع الذي نعرفه بـ (إيقاع التفعيلة) لم يكن مستخدماً في العصور الجاهلية، وإنما كان النبر هو الأساس. وحتى تستقيم الحجة فهم يرون أن الغناء كان هو «مقود الشعر» بمعنى أن «الشعر غناء بالقوة»، ولذلك فإنه لا فرق بين الشعر العربي الكمي الخاضع لمقطعية اللغة العربية وشعر الشعوب الأخرى الكيفي المعتمد على لغات نبرية مما قال عنه ابن رشيق: «العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن، فتضع موزوناً على غير موزون»، وتكون النتيجة أن هذه الأشعار المنسوبة إلى الجاهلية لم تكن تتميز بالإيقاع الذي كان وليد التفاعيل الخليلية بل كان أقرب إلى الكلام المنغم.

إن أكبر حجة لهؤلاء هي أن الأشعار التي جاءت مضطربة الأوزان كانت هي الدليل على عدم تمييز القوم بين النغمات المختلفة وأنهم حين يريدون تسوية ذلك كانوا: «يجبرون بنغمات يستعملونها مواضع من الشعر يستوي بها الوزن». وهكذا يصبح الشاذ هو المقياس أما العام فإنه مغلوط. وهذه نتيجة غير منطقية إطلاقاً، إذ كان المفروض أن ننطلق من الكل إلى الجزء أو أن نأخذ جزءاً مماثلاً للكل ثم نقيس عليه، أما أن نلجأ إلى الشذوذ ونعممه بحيث يصبح هو القاعدة فإن هذا غير مستقيم ولا بد أنه سيواجه الفشل. إنه بالإمكان أن ندلل على أن الشذوذ كان في آماد بعيدة من عمر الشعر العربي القديم، أو أنه نشأ نتيجة أخطاء الرواية الشفوية أو أخطاء شاعر معين وهذا ليس ببعيد، ولكن أن نجعل كل الشعر الذي جاء على وزن الطويل شعراً فرضته التبعية والتقليد، وأن نجعل كل أشعار الوزن البسيط حدثت خروجاً على القاعدة، أو أن نستدل على أن الشذوذ هو الصحيح وأن الاضطراب هو الاستقامة، فهذا أمر غير صحيح إطلاقاً، ويجب ألا يتسرع الباحث ما لم يكن متملكاً الحساسية الموسيقية وتكون له دربة ودراية بفن الموسيقى، في أن يطلق الأحكام ويعمم الآراء.

لقد قيل إن الشعر في الأوزان التالية شعر مضطرب كقول **سلمي ابن ربيعة:**

إن شواء ونشوة	وخبب البازل الأمون
والبيض يرفلن كالدمى	في الريط والمذهب المصون
من لذة العيش والفتى	للدهر والدهر ذو فنون

ولكن دراسة الإيقاع تدلنا على أن هذا الوزن صحيح تام الصحة، والخطأ هو قصورنا نحن عن تفهم مبادئ الإيقاع السليمة واعتمادنا الناقص على قضية التفاعل فهذا الشعر يمكن أن يقرأ مسموعاً حسب الإيقاع التالي:

إن

ن شواء ونشو ـ و	خبب البازل الأمون وال
بيض يرفلن كالدمى ـ في الر	يط والمذهب المصون من
لذة العيش والفتى ـ لل	دهر والدهر ذو فنون وال

ومع ذلك فهو ينتمي إلى الخفيف، فإذا كان الخفيف:

فعلاتن مفاعلن فعلاتن

فهذا: **فعلاتن مفاعلن فعـ** أي ينقص المقطعين الممدودين (لاتن). ونجد أن (الشرطة) تساوي في الإيقاع (النون) في الشطر الآخر وهو ما يسمى في الموسيقى بالعنصر الساكت. ولكن المتحرك وهو (العين) قد مد كما هو الحال في (الر) و (للـ) وهذا بالطبع تحريف لمبدأ الإيقاع الأصلي. كما لاحظنا أيضا ذلك المد في نهاية الشطر الثاني من كل بيت كما يبدو التحريف في زيادة (إن) الأولى.

ولذلك تنتفي عن هذا الوزن فكرة الخلط والاضطراب ويثبت لدينا أنه جار حسب إيقاعي موسيقي لا غبار عليه ومن ذلك قول الشاعر:

إن بالشعب الذي دون سلع   لقتيلاً دمه ما يطل

أوزان الشعر القديم ..

بقلم : د. فضل بن عمار العماري

وهذا الوزن من **المديد** وهو يجري حسب الإيقاع التالي وليس فيه ما يدعو إلى القول إنه شعر مضطرب :

فعلاتن فاعلن فعلاتن

إن ملاحظة الثقل في هذا الوزن التي يقول بها العروضيون وما يستشعره القراء متأت من التقسيم العروضي السابق والتقيد بإيقاع التفعيلة من دون التقيد بإيقاع الشعر نفسه ولكي يمكن ذلك فلا بد من قراءة الشطر بكامله مع تعاقب العناصر الحقيقية والعناصر الممدودة الثقيلة فيه ويمكن رسمها بهذا الشكل :

إن بالشعب الذي دون سلْع

ـ ᴗ ᴗ ـ ᴗ ـ ᴗ ᴗ ـ ᴗ ـ ᴗ ᴗ ـ ᴗ ᴗ ـ ᴗ ᴗ ـ ᴗ ᴗ ـ

لقد تعذر استخدام الرموز الموسيقية ، فكان لا بد من استخدام هذه الطريقة بدلا من التفاعيل السابقة .

بقي شعران يتمسك بهما أولئك الباحثون ويدللون على أنهما دليل على الوضع النبري للشعر العربي . فالأول قول **المرقش الأكبر :**

لابنة عجلان إذ نحن معاً	لم يتعفين والعهد قديم
لابنة عجلان إذ نحن معاً	وأي حال على العهد تدوم
أضحت قفاراً وقد كان بها	في سالف الدهر أرباب الهجوم
بادوا وأصبحت من بعدهم	أحسبني خالداً ولا أريم
يا ابنة عجلان ما أصبرني	على خطوب كنحت بالقدوم

لقد قال العرضيون عن هذا الوزن إنه من **مجزوء البسيط :**

مستفعلن فاعلن مستفعلن

ولكن حركة البسيط في التفعيلة الأولى أساساً هي (مفاعلن) وتحرفت إلى (مستفعلن) والتفعيلة الأخرى (فعلن ـ أو ـ فاعلن) ، وهكذا الثانية (مستفعلن) والأصل فيها (مفاعلن) . وعند النظر في أبيات هذه القصيدة نجد أن مفاعلن كثيراً ما تتحول إلى (متفعلن) وهذا خرم وتشويه للإيقاع بالمرة . صحيح أننا نجد مثل ذلك في الشعر ولكن ليس صحيحاً كل ما كان في الشعر ، فقد تعرض الإيقاع في الشعر العربي إلى شيء ليس بالقليل من التحريف . والدليل على أن إيقاع هذا الشعر قد تعرض للتحريف أن غالبية أبياته تبدأ بمقطع ممدود وهذا يتعارض مع مبدأ الإيقاع العربي الذي يبدأ بالخفيف فالصواب هنا أن يبدأ بمقطع قصير خفيف مثل قوله :

كأن فاها عقار قرقف

وليلة بتها مسهرة

فعمرك الله هل تدري إذا

ولكن هذه البداية تختفي في جميع الأبيات ما عدا شطراً واحداً هو قوله :

ولم يعني على ذلك حميم

لقد قلبت هذا الشعر على إيقاع (البسيط) فوجدته لا يستقيم ، ولجأت إلى إيقاع **(الخبب)** لأنه بدئ بمقطع طويل فوجدت أنه لا يستقيم أيضاً ، ويكاد يقترب من إيقاع **المنسرح** ولكنه لم يستقم أيضاً ، فماذا يكون إذن ؟ إنه لا شك إيقاع محرف وقد تعرض نتيجة لقدمه إلى تشويه كثير وفساد . **وربما جاز أن نفترض أنه مقلوب الخفيف ،** أي إذا كان الخفيف : فعلاتن مفاعلن فعلن ، فهذا : مفاعلن فاعلاتن فعلن

أما المد في القافية (وقديم) فهو نتيجة التذييل إذ الأصل (فعلن) فذيّل المقطع الثقيل المدود بحرف ساكن مثل قول الشاعر :

بأبي أحور غنى موهنا	بغناء قصر الليل الطويل
فعلاتن فعلاتن فعلن	فعلاتن فعلاتن فعلان

وهكذا تكون القصيدة من إيقاع قديم جداً اندثر ولم يستعمله شاعر غير المرقش ، خاصة إذا علمنا أن المرقش كان شاعراً أكبر سناً من **المهلهل** الذي قيل عنه إنه أول من قصد القصد القصيد ، أي أطالها .

ولا بد أن نضع في الاعتبار ذلك التحريف الشديد في (مستفعلن) (مُتفعلن) .

أما قصيدة **عبيد بن الأبرص** التي قيل عنها إنها من **مخلع البسيط** فالحكم فيها ليس للعروضيين ولكن الحكم فيها للموسيقين حيث يقول **محمد العياش** في كتابه القيّم **«نظرية إيقاع الشعر العربي»** الذي اعتمدت عليه كثيراً في التحليل الإيقاعي هنا : «كثر فيها التحريف رغم أن قائلها من أكابر الشعراء» . كما قال : «ولا يستبعد أن يصدر الخطأ عن الشاعر ولو كان من الفحول» . بل ربما عاد ذلك إلى تحريف الرواة .

★ ★ ★

بدايات

المحـــراث

يعود استخدام المحراث إلى **العصر الحجري الحديث .** في تلك الأوقات المعنة في القدم كان المحراث أداة بسيطة ، أهم أجزائه نصل (أو دُجْر) ذو طرف حاد .

محراث **الرومان القدماء** أدخل إضافات ثلاث إلى المحراث . . إحداها تمثل محراثاً كمحراث العصر الحجري ، وكان اسمه **شغّال التربة** Aratum .

وكانت تلك الأنواع الثلاثة تستخدم في حرث أراضي **منطقة البحر المتوسط** التي تكاد تتشابه ــ في مختلف بقاعها ــ بكونها تربة خفيفة ، يسهل التعامل معها بالمحراث البسيط .

أيضاً يعود إلى الرومان اكتشاف **نصل المحراث** ، الذي يتميز بقدرته على إحداث حفائر رأسية تسهل عملية تحرك المحراث في التربة .

أما **النورمانديون** ، فقد أضافوا إلى المحراث **عجلة تقوم بدفع التربة إلى أحد الجانبين** دون ما حاجة إلى أداء ذلك باليد .

حتى حلول القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، لم تحدث إضافات جوهرية على صناعة المحراث .

الفلمنج والهولنديون أدخلوا أول تغيير جوهري تمثل في **ابتكار نصل ذي شكل مثلث** بدلا من النصل الرباعي القديم .

محراث روثرام Rokhenham **جُلب من إنجلترا إلى هولندا** عام ١٧٣٠ م . . كانت مقابضه خشبية لا تزال . أما النصل والطرف المدبب فكلاهما كان من الحديد . **ويعتبر هذا تطويراً هاماً في صناعة المحراث ، لأن المزارع كان يستخدم حصانين لجره وحرث التربة الصلبة ، محققاً به إنتاجاً يفوق جهد رجلين وستة أحصنة في مساحة مشابهة .**

بالنسبة للتطور الذي دخل على المحراث في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، فهو ينحصر في **الدُجْر** Mould-board (قطعة الحديد التي تقوم بتقليب التربة) . أصبح الدجر يقلِّب التربة في اتجاه واحد فقط . وكان هذا يعني عودة المحراث من جديد إلى خط البداية ومن ثم تتم عملية التقليب على الجانب الآخر للصف المراد حرثه ، أو أن يقوم بشق خط جديد في رحلة العودة .

أيضاً . . وفي القرن السابع عشر الميلادي ، ونتيجة للثورة الصناعية ، تمكن **جيمس سمول** ــ وهو مزارع من **بيرويكشاير** ــ من صناعة أول محراث ذي دُجْر من الحديد الزهر ، ساعد كثيراً على تحسين نوعية العمل .

في عام ١٧٨٥ م ، قام **روبرت راتروم** بتركيب توليفة من **حديد الزهر** وأتبعها ــ في عام ١٨٠٣ م ــ بتركيبة أخرى . وكان إدخال الحديد في صناعة المحراث إيذاناً ببداية عصر جديد في تلك الصناعة ، كما كان يعني العكوف على توفير قطع الغيار لذلك الجزء المعدني ، وهو ما يسمى ببزوغ عصر **الإنتاج الكمِّي** Mass Production لهذه الصناعة .

وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر الميلادي ، وفي **الولايات المتحدة الأمريكية** ، أنتج **جون دير** ــ ولأول مرة ــ محراثاً من الصلب كان له أثر كبير في استزراع **منطقة البراري** هناك .

هذا ، ومع النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي ، كانت محاولات إنتاج **المحراث العامل بالبخار** Steam Plough تجري على قدم وساق . . وهو آلة تعمل بالبخار وتسحب من ورائها محراثاً أو أكثر . وبهذا الاكتشاف أصبح بالإمكان حرث مساحة تتراوح ما بين الأربعين والخمسين هكتاراً في اليوم الواحد .

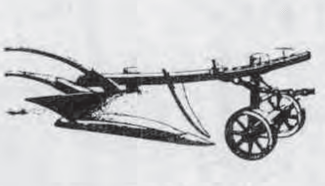
وفي عام ١٩٣٦ م ، أنتج **هاري فيرجسون** ، **الجرار الزراعي** Farm Tractor فكانت بدايات عصر الميكنة الزراعية هذا الذي نعيشه الآن .



★ محراث بدائي ★



★ الروماني ★



★ من القرن ١٦ الميلادي ★



★ من العصور الوسطى ★



★ من القرن التاسع عشر ★

من المكتبة السعودية

● الكتاب : هذه حياتي .

● المؤلف : حسن محمد كتبي .

● الناشر : دار الشروق ، جدة ، ط(٢) ١٤٠٣هـ .

السيرة فن (ذاتي) يحتاج فيه الكاتب من ذاته ، وحياته ، ماضيه وحاضره ، يكتبه بنفسه لغيره من الناس .

وفن (غيْري) يكتبه الغير عن علَم من الأعلام . هذا تحديد موجز غاية الإيجاز .

وفي الأدب العربي من السيرة الذاتية نماذج شهيرة لسنا بصدد الحديث عنها ، وإن كان هذا لا يعفينا من ذكر نموذج شهير من أدب السيرة الذاتية في السعودية وهو (أيامي) لأحمد السباعي .

أما كاتبنا حسن محمد كتبي ، فهو يقدِّم إضافة جديدة في فن السيرة الذاتية في الأدب السعودي المعاصر ، وقد صُدِّرت بمقدمة كتبها محمد أبو بكر حميِّد (ص ٩) ، كما صُدِّرت بمقدمة لعلي أحمد باكثير كتبها سنة ١٩٥٦م ، ومراسلة بين المؤلف وعبد الله بلخير حول فكرة التعريف بالأدباء السعوديين .

على أن المؤلف حريص على أن يبيِّن الهدف من كتابة قصة حياته ، يقول في التمهيد :

« إلى كل طالب في مدرسة الحياة أقدِّم قصة إنسان يصف لهم الطريق الذي مرَّ فيه ، ويصف لهم ما صادفه من حيرة واطمئنان ، وتردد وإيمان » .

ومن هذه السيرة الذاتية نقف على المراحل المهمة من حياة كاتبها ، فقد ولد في شعبان سنة ١٣٢٩هـ ، بمدينة الطائف ، ودرس في مدرسة الفلاح ، وحفظ القرآن الكريم ، ودرس علومه وما دار حوله ، وسافر إلى بومباي ، ثم عاد إلى وطنه لتكون نقطة البداية ، بداية الحياة ، وبداية الشعور بالمسؤولية -كما يعبِّر- وبداية البحث عن موطئ قدم بين الصفوف ، حيث عمل رئيساً لتحرير جريدة (صوت الحجاز) ، ثم عمل أستاذاً بالمعهد العلمي السعودي ، ويشير إلى أن من بين تلاميذه : أحمد عبد الغفور عطار ، وحسين عرب ، وحمد الجاسر ، يقول :

« ولست أنسبُ لنفسي فضل تبريزهم ، وإنما ذلك يرجع لاستعدادهم ودرسهم المتواصل ، وذكائهم ، ولكن لعلني قد أوريت قبساً في طريقهم الطويل » .

ثم عمل مديراً لمدرسة الطائف ، ثم في وزارة المالية ، ثم ذهب إلى مصر ، ثم مضى مع الحياة في دروبها .

والمؤلف ذو موهبة قصصية ، تتجلى في السرد العام لأحداث حياته ، وتتجلى ذلك في الفصل الموسوم (في غيابة السجن) ، حيث يقص فيه بطريقة قصصية مشوقة ، يفتتحه بقوله :

« رواية دامية ، محزنة ، قاسية .

من الذي ألَّفها؟ وما هي فصولها؟ لست أدري .

ومن هم أبطالها؟ لست أدري » .

ثم يمضي مع فصول حياته يقص علينا طرفاً من « أشخاص في حياتي » ، (ص ١١٣) ، بعضها في « المنزل » ، حيث والدته ، وكل من شقيقتيه ، ووالده ، وجده ، وخاله السيد علي كتبي وشقيقه سامي ، وزوجته . وبعضها في « المدرسة » ، حيث أساتذته ، يبيِّن عن ذلك عناوين موجزة موحية ، تركز خلاصة ما يريد .

حتى يصل بنا إلى خاتمة حديثه عن سيرته ، يقول :

« في هذه الحياة صفحات تمَّت وكُتبت ، وصفحات تمَّت ولم تُكتبْ أو كُتبت ولم تُستوف ، وصفحات لم تتم ، ولم تُكتبْ . فالأخيرة علمها عند ربي ، لأنها لم تزل وراء حجب الغيب ، والأولى لم يحلْ دون إملائها أي حائل ، لأنها فترة دراسة ونشأة بريئة » .

● الكتاب : وجوه كثيرة أولها مريم (مجموعة قصص) .

● المؤلف : جار الله الحميد .

● الناشر : نادي القصة السعودي ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

هذه مجموعة طيبة من





★ حسن محمد كتبي ★

القصص القصيرة ، تتضمن عشر قصص كتبت بعناية وبأسلوب يخالف به أسلوب القصة التقليدي . وتقفية على عمليات التجديد التي يصدر عنها أدباء المملكة – ولو من الناحية الشكلية – نجد قصتين تعتمد كل منهما المقاطع الطويلة ، أو فلنقل الأقسام مخالفة غيرها مما ميزته المقاطع القصيرة :

★ الأولى « أغنيات لفائزة في الصحو والمنام » ، (ص ص ٢٧ – ٤١) من ثلاثة مقاطع يغلب عليها الطابع الانفعالي الذي قد يتصاعد في بعض المواضع إلى أن يصبح شاعرياً « أنا يا فائزة لم أعد أتذكر وجهك .. البارحة أعطيتك شكلاً ، وأحببتك فيه ، تذكرت الساعدين الحاليين من الغوايش .. الشعر العربي الأسود ، وتلك الطفولة التي تتقافز بين خطوط وجهك » ، (ص ٣٧) .

★ وأما الثانية ، فالقصة التي تحمل عنوان المجموعة « وجوه كثيرة .. أولها مريم » (ص ص ٦٣ – ٧٤) ، عبارة عن أربعة مشاهد ، آخرها قصير (أقل من نصف صفحة) ، ولكنه جوهر القصة ، أو فلنقل المفتاح الذي يمكن أن يفتح لنا ما وراء المشاهد الثلاثة التي سبقته .

على أن الجديد هنا ليس في هذه البنية ظاهرياً فحسب ، وإنما كذلك في عملية السرد القافز الذي يتفق ودراما المواقف ، ثم يتسق مع ذلك القلق الذي صار يجتاح عالمنا بعد أن كنا نظن أننا بعيدون عن فوضى النوازع واضطراب الأهواء خارج حدودنا .

أي إن الإضافة الشكلية عند جار الله الحميد ، مرتبطة بمأساة حياتنا عندما نكون غرباء ، ونتصور أننا نعيش مع الآخرين .

وليكن ذلك مناط فلسفة جار الله الحميد ، وهو يحاول في كل مقطع من مقاطع قصصه – مثلاً أغنية صغيرة لعصافير النافذة الثالثة ، (ص ص ٥١) وما بعدها – أن يفضي بها ببساطة وبتلقائية يتزاحم فيها كل شيء وكل نأمة وكل خلجة « وأنا يا سيدتي بينهم مضيع » ، وينخر الذاكرة دود الأيام ، ولات فائدة في موسيق تشايكوفسكي وأصوات الكلاب ! .

وإذا كان مريضاً – وهو مريض فعلاً – ومن ثم هو يرفض كل ما تمتد إليه عيناه .. لأنها البداية ، وعن طريقها يحس كارثة الوجوه المكدسة في العيادة التي ينتظر فيها دوره كي يفحصه صديقه الطبيب .

« الطبيب صديق .. أقسم على ذلك يا سيدي ، ولكني لست منهكاً إلى درجة كي أنتظر وقتاً آخر » ، (ص ٢٨) .

لأنه يريد أن يظل مريضاً .. وهذا قدره ، وتلك أيضاً فلسفته ! .

وفي الحالين ، يستطيع أن يشكل لمقاطعه – وهي أشبه باللوحات – أطراً تتسع لمواقفه ، التي تبدو دون تأمل ، أصغر من أن يهتم بها أحد .

وإلى هذا الحد ، أو عند هذا المنعطف ، يمكن أن نقول إن شخصية المؤلف – ويسقط هو منها على بطل قصصه الكثير – معنية في المقام الأول بأن تفيد من كل الدراسات التي تنهض بتقويم واقعنا .. لا على طريقة قصاصي المرحلة التي بسط سلطانهم عليها أمثال محمد علوان ، وعبد الله السالمي ، وحسين علي حسين تلميذ يوسف إدريس – اعترف أو لم يعترف – ولكن بمقدار ما يبعده عن أسلوب إبراهيم الناصر كرأس اتجاه عام في القصة السعودية .

لست أدري هل يصح أن يوصف الوصف الذي يضعه بين علوان والناصر ؟ .

إنه غير مفرط في الذهاب إلى تلامذة ألان روب جرييه من العرب .. فهم كثر ولله الحمد ، إلا أن أغلبهم غرّب بأعماله ، وبعضهم أحالها إلى الألغاز غير آسف .. أذكر هنا – كعلامة بارزة – رقية الشبيب ! .

كذلك لم يقعد عند الحكاية – أو الحدوتة بلغة الأجداد وهي تقابل الخرافة في دراما أرسطو – ولم يتمسك بالحبكة القائمة على السرد المرتبط بحركة الساعة وتوالي الأيام .

وإنما مزج بين كل أولئك ، واصطنع اللغة المصرية المكثفة ، والرشيقة مع ذلك ، والموحية كالشعر تماماً .

هو إذن يتخلى عن التقليد ، ولم يضع في



★ جار الله الحميد ★







★ عبد الرحمن صالح العشماوي ★

التجديد .. ونجح من هذا المنطلق في أن يقدم «الموقف القصصي» تجسيداً لنموذج الإنسان .

ولقد يعن له أحياناً أن يتناول موضوعاً مستهلكاً .. الصعيدي «موافي» الذي يخلف وراء زوجه جميلة ويعمل خارج وطنه ليجمع لها النقود ، هنالك يتهم بالسرقة .. وبدلا من أن يعود إلى امرأته الجميلة يساق إلى السجن ! .

وتنتهي القصة ...

أما ما بين بدايتها ونهايتها فمشاعر الفنان الذي ينبض قلبه بمأساة الجميع .. وقد سيقت تلك المشاعر في القالب القديم الجديد ، وبالشاعرية التي تنجح تماماً في إبراز صورة المطحون المغلوب على أمره :

«كان موافي واقفاً بالباب يحمل الشنطة والبساط ، ويعد نقوده .. ثم ذهب مع الرجل الذي أطل من النافذة إلى المخفر .... وفي الصعيد خبطت امرأة جميلة على صدرها قائلة : تحت أي سقف تغمس لقمتك الآن يا حبيبي ؟ » ، ص (١٩) .

وبعد ، فنحن لم نتحدث عن أهم خصيصة في أعمال جار الله الحميد .

لم نتحدث عن السياق الفني المحكم مع أنه تفوّقه في المجموعة .. ويعني هذا السياق رفض الحميد الزوائد التي ينخدع بها القصاص ، فيكثر منها لتبدو قصته في آخر الأمر مصابة بالسرطان والعياذ بالله .

● الكتاب : حوار فوق شراع الزمن . (شعر) .

● المؤلف : عبدالرحمن صالح العشماوي .

●الناشر : مكتبة الأديب الرياض . ط (١) ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

يقدم الشاعر عبد الرحمن العشماوي في هذا الكتاب خمس عشرة قصيدة خليلية . نصيب البحر المتقارب منها ست قصائد . وكلها تحوي تاريخ نظمها ، ما بين سنة ١٣٩٧هـ ، وسنة ١٤٠١هـ ، ما عدا واحدة ـ حديث القمر ـ كان قد نشرها بديوانه الأول (إلى أمتي) ، وكانت بتاريخ ١٣٩٦/٦/١٢هـ ، «ولكنها لم تنشر كاملة ، وذلك لأن بعض القصاصات كانت قد فقدت» كما نوه الشاعر بذلك .

ويبدو أن الشاعر العشماوي ـ كما رأينا في شعره السابق ، وفي هذا الشعر ـ قد وطّن نفسه على حوار الآخرين والأشياء .. فأصبحت تلك المحاورات عناوين دواوينه أو قصائده ، ومن ثم أصبحت معلماً من معالم شخصيته الشعرية ، ومن خلالها يفيض فكراً وعاطفة .

وإن الشاعر ـ كما عرفناه دائماً ـ لا تفارقه تعاليم ومناهج الإسلام ، وقيم وأحداث التاريخ .. فيظل في دعاء مع الله ، ومناجاة مع أمته وأمجادها ، ومع التاريخ وقصصه القديمة .

ففي (إلهي) يترجم شخصية العبد المسلم الضعيف بذنوبه أمام الله ، القوي باتباع نهجه المستقيم ومنهجه العادل . وفي (حوار فوق شراع الزمن) تتبدى قوة الشاعر وهو يمتطي متن سفينة الزمن ، التي تمخر عباب الأيام ، وخضم التاريخ ، لترسو به في أحضان أمجاد أمته .. وبين أحضان أمته الإسلامية ينعم بدفئها وحديثها ، ويتعرف منها على مواطن داء الحاضر ودوائه . وفي (الصحوة الكبرى) فخر ذاتي ، يستحيل إلى فخر اجتماعي .. وما مصدر فخر واعتزاز الشاعر إلا دينه وعقيدته .. وبهما نحس بزهو العشماوي وتفاؤله وأمله في الغد المشرق .. وتتجلى هذه السمة في قصيدته (تاريخ عشق) :

أنا ـ لو تعلمين ـ تاريخ عشق نبتت في مشاعري أمجادي
وإذا هزت الخطوب ضميري فيقيني في النائبات جوادي
أمتطي ذلك الجواد إلى دنيا ك في همة وفي استعداد

مسلم ، هـل عـرفت وصـفاً جيـلاً
مثـل وصـفي على مـدى الآمـاد ؟
مسلم ، هـل وعيـت معنى الـتزامي
بحنيفيـتي ، ومعـنى اعتقـادي ؟
مسـلم ، رمـزه السـلام ، ولـكن
هـو للخـائنين سـيف حصـاد

وفي (من وحي الأخدود) توظيف واضح للتاريخ القديم وبعثه ، وتوظيف آخر للتاريخ الإسلامي وفجره الأول . .

وذلك عبر لمحات قصصية ، تلخص بعض الدروس والمواعظ. وتبدو كذلك هذه الملامح القصصية في شعر العشماوي ، وبخاصة في قصيدته (مطلع قرن ، وصحوة أمة) ، التي يعايش فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته في بدء البعثة وعقبها . وتستغرقه تلك الأيام ، ويجسدها (صحوة كبرى) في هذه الأيام ، كأمل وتفاؤل بالنصر :

بني أمـتي إنـا لـنرقب صـحوة
نزيح بهـا ظلماً ، ونبـني لنـا قـدرا

وقد بدت لنا في هذا الديوان ـ رغم أصالة العشماوي وشاعريته الفذة ـ بعض الهنات الفنية والنحوية ، كبعض المطالع (ص ٤٨) ، و الأبيات النثرية (ص ٣٦) ، وتعثر بعض الألفاظ التي تشكل نشازاً في حروفها وجرسها ، وعدم حذف ياء الاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر في قصيدته الدالية (تاريخ عشق) . ففي قصيدته ، (أنشودة السهد) ، خانته الشاعرية ، وحجبت عنه تدفقه الوجداني ، وانسيابه الرومانسي . . لا سيما أن الشاعر في الليل ومع القمر ، وكان لحديث الليل أن يأخذ مساراً ينسجم مع الهدوء والرقة والصفاء والسكون والظلام . . وتلبس ألفاظه ثوباً شفافاً ، وتكسب حروفها جرساً موسيقياً خفيفاً . . ولكنها بدت متعثرة الجرس ، وصعبة النطق ، إذ كثرت فيها (الثاءات ، والظاءات) ، حتى نشبت كالشوكة في الحلق .

وربما كان مرد ذلك إلى الحالة النفسية التي كان عليها الشاعر في « الفيلبين ـ مدينة كوتاباتو » مكان نظم القصيدة . . وما كان يعانيه من قلق وسهد وأرق وسمت شاعريته بتلك الصورة المتكلفة الناشزة . أو حب الشاعر إلى نظم الشعر في سائر الأوقات ، بدون تريث ، وتحين لساعات المخاض ، والولادة الشعرية .

● الكتاب : تداعيات العبث في الفكر والأدب .

● المؤلف : محمد عبد الله العوين .

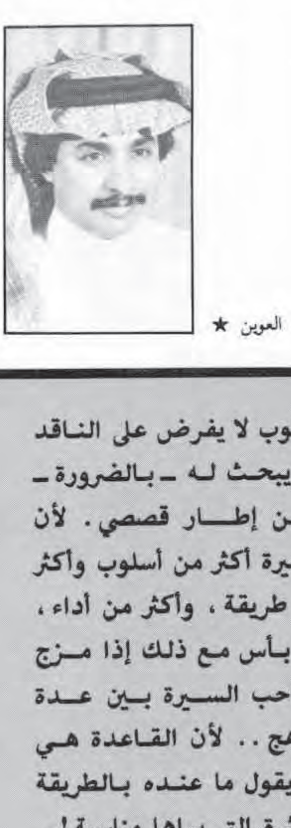
● الناشر : المؤلف نفسه ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

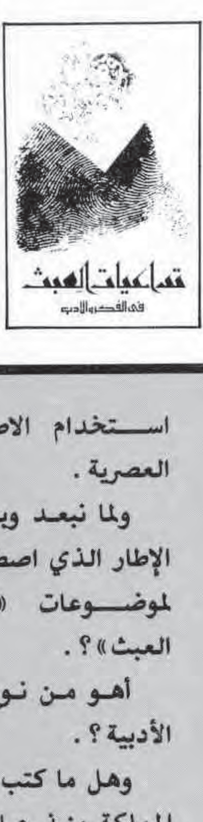
الكتاب أنيق وفيه كثير من الرشاقة والطلاقة ، وقد صدره لصاحبه كاتب واسع الثقافة ، ومتدفق البيان طلق اللسان .

وأما محتويات الكتاب فنحو خمسين موضوعاً وزعت في شبه فصول هي على التعاقب : مواقف (٢١ ـ ١٥٢) بين الكلمة والإبداع (١٥٣ ـ ٢١٦) بوح الداخل (٢١٧ ـ ٢٤٨) نقد (٢٤٩ ـ ٣٢٦) العبث (٣٢٧ ـ ٣٦١) .

وكتاب كهذا لا شك يغري بالقراءة ، ويبعث على المتعة . وتتفاوت الإفادة فيه بين التوفيق في العرض والتحليل والتقويم في جانب ، والميل والهوس والبعد عن الجادة العلمية في جانب آخر .

وأنا شخصياً أخالف محمد عبد الله العوين ، ومقدم الكتاب في أمور ، إلا أنني لا أزعم أني المصيب أو ـ على الأقل ـ أختار الأفضل أو الشائع . فليس في الأدب أو الفن بعامة حد فاصل بين الخطأ والصواب ، أو تخوم معينة لما هو مقبول ، وبخاصة بعد أن وصلنا الآن في العلم ـ وليس في الفن وحده ـ إلى أنه لا شيء حقيقياً أمامنا إلا بمقدار ما نسعى إليه من فهم ، وأن قوانين العلم





★ محمد عبد الله العوين ★

نفسها ـ كقانون النسبية مثلاً ـ لم يعد له ما ألصق به من يقينية مؤكدة.

والعوين إذا قرر أن للدكتور محمد رجب البيومي، ديواناً يتفتق إنسانية وحناناً في زوجه الراحلة ـ طيب الله ثراها ـ يشوش على محصلة معارفه الشعرية، أو يشككنا في قيمتها بما في ذلك الديوان من نثريات بالغة التسطح. وإن أخذه بعمل له سماه للأسف الشديد قصة قصيرة لينقدها نقده للقصص الكلاسيكي (هكذا!!) ظلم بيّن للدكتور البيومي مثلما هو ظلم له.

وهذا الظلم المشترك بين المتلقي والمعطي يتجلى في وقفة العوين مع كتاب الدكتور شوقي ضيف «معي»، (ص ٢٦٩)، وتساءل: أهو ـ أي الدكتور ضيف ـ كاتب قصة أم بحاثة دارس؟، ولا نظن أن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف حاول أن يكون في «معي» قاصاً بالمعنى الذي يقربه من إبراهيم الناصر مثلاً أو سهيل إدريس.

وكتابته صفحات من حياته في «معي» مصطنعاً أي أسلوب لا يفرض على الناقد أن يبحث له ـ بالضرورة ـ عن إطار قصصي. لأن للسيرة أكثر من أسلوب وأكثر من طريقة، وأكثر من أداء، ولا بأس مع ذلك إذا مزج صاحب السيرة بين عدة مناهج.. لأن القاعدة هي أن يقول ما عنده بالطريقة المؤثرة التي يراها مناسبة!.

ورأي العوين في أحمد شوقي وحافظ إبراهيم (ص ص ٥٤ ـ ٥٩)، مما لا بد أن يراجع فيه نفسه على أساس طبيعة الشعر وتميز لغته.

وأما رأيه في الالتزام ـ وقد جدَّ أبو عبد الرحمن الظاهري في شجبه ـ فن الدارج المستهلك غير المسدد. وبكل تواضع أطالب بإلصاقه بالسياسة فيما قرره الوجوديون شجباً لمواضعات المادية الجدلية وخروجاً عليهم في ثورة حضارية هائلة فصلت بين الالتزام والإلزام. ونحن إذا توسعنا في مفهوم الالتزام فاقتحمنا به مجالات المسؤوليتين الاجتماعية والفنية، اختلط الحابل بالنابل، وصرنا في حاجة إلى مُنَظِّر واع يعيدنا إلى الجادة التي ضيعناها بفوضى استخدام الاصطلاحات العصرية.

ولما نبعد وبين أيدينا الإطار الذي اصطنعه الكاتب لموضوعات «تداعيات العبث»؟.

أهو من نوع المقالات الأدبية؟.

وهل ما كتب في صحافة المملكة منذ عام ١٣٤٣ هـ، بَدْءً بأم القرى، وما دبجته أقلام محمد حسن عواد ومحمد حسين زيدان وحمد الجاسر من المقالات الأدبية حقيقة؟.

الإجابة في الحالتين بالسلب، شاء العوين وغيره أم لم يشاءوا.. لأن المقالة الأدبية ـ حتى لو لم تعرض للأدب ـ هي بإيجاز إبداع لغوي شاعري من أجل طرح فكرة غير ملزمة.. كالقصيدة الغنائية تماماً، إلا أنها تفتقد الوزن، أو فلنقل: هي همسة رقيقة في أذن القارئ لا يجبره الكاتب بها على التسليم بشيء ما.

إفضاء عفوي لمعلومة عن موقف معيش، أو ربما عن قضية تعليمية أو وطنية أو اقتصادية.. من غير حواش، ولا اعتماد وثائق ولا إحصاءات مسجلة!.

وأما ما كتبه السادة المذكورون ـ ولا يزال بعضهم يكتبه ـ فهو المقال الصحافي، والمقال الموضوعي (العلمي) الذي يطمح إلى إقناع القراء ثم إلى تثقيفهم. وسادة المقال الأدبي عندنا قلة، وربما نستطيع بقدر من المجاوزة أن نذكر منهم ـ في المملكة ـ الكاتب عبد الله الجفري!.

وليعذرنا العوين عن هذا الاستطراد...

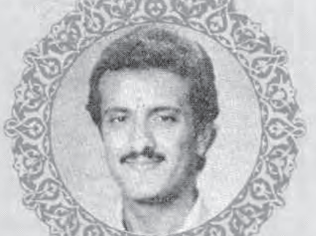
ومع ذلك فنحن نراه قضية أساسية في طرح الكتاب، وهو لا يلغي قط الجهد الهائل الذي بذله الكاتب ليجعل «عبثه» مفيداً.. حتى وهو بين أيدي المتطفلين على حرمة الكلمة وعصابات الأدب وصبيان الصحافة، وأما حديثه عن الرواية (ص ١١٩ ـ ١٣٩)، والنقد الأكاديمي (ص ١٥٩ ـ ١٦٢)، وتداعيات علي فودة، وحدود قصيدة الرثاء (ص ٢٨٥ ـ ٢٩٥) فجميل وبعيد عن الهوى وقيود الصداقة، بل هو في نظري ينم على تفكير واضح واستعداد أصيل للتأثير في الآخرين، وبسهولة يضع

أيدينا على مواضع السوس الذي ينخر في عظامنا .

فعن المجيد من شعراء التفعيلة عن نزار «تشبه القصيدة ـ عندهم ـ القصيدة كما يشبه الشاعر الشاعر» يعلق هو : هؤلاء الشعراء المتشابهون هم من نودُ أن نلقيهم ببطاقاتهم الشعرية وكلماتهم المومياء وألحانهم النشاز على قارعة الطريق ! (ص ٢٨) .

ويعرب عن قلقه إزاء تغميض القاصين ـ بعد الشعراء ـ وعن أمله أن يتمسك المتأدبون بحقيقة أن يظل للأدب مصطلحه داخلاً في دائرة الثقافة (ص ٨٠) ، ويرى ألا يحاسب الفنان بمنظار أهل الفقة ، وإنما ينقد بمقاييس الفن ، ويكون النظر إلى التزام الشاعر بالأخلاق والقيم جزءً من النقد وليس كل النقد (ص ١٠٦) .

ويقول غير ذلك مما هو ضروري أن يظل ذخيرة للأديب ولقرائه ، ثم لمن يطمع في أن يقول الكلمة الصادقة والمؤثرة بين شداة العصر وأساته .



★ سمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ★

وكان الحلم في أمس سرابا

شعر: بهاء الدين محمود عبد الحميد

(القصيدة مهداة إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود بوصفه أول رائد فضاء عربي مسلم باشتراكه ضمن طاقم رحلة المكوك الفضائي الأميركي ديسكفري في يوم ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٨٥م) .

ركبت المجدَ واجتزت السحابا ... وصِرْتَ بأمَّةِ العُرْب الشهابا
أ(سلطان) ، أفَخْرَ العرب طرًّا ... وخَير العُرْب للعلم انتسابا
رَقَيْت لأمجد الغايات فينا ... فلا نَصَباً شكوت ولا عتابا
طَرَقْت العِلْمَ والإيمان باباً ... فأصبح صوت أمتنا مُجَابا
شبابٌ يبتغي نَيْلَ الأماني ... فتَخِذَ العِلْمَ بالدنيا ركابا
أتى بالحُلْم ينبوعاً لِصَادٍ ... وكان الحُلْمُ في أمْس سَرابا
(وما نَيْلُ المطالب بالتمنِّي) ... (ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا)[1]
فَتيهي أمة القرآن إنَّا ... نبارِكُ خَيْرَ أمَّتنا شَبابا
فبور الأرض في الإسلام تَزهو ... وتُزهرُ بعد ما كانت يَبابا
لِنُدركَ ركْبَ علم قد ضللنا ... ونَرجعُ بعد ما كنَّا غيابا
وأيام على الإسلام تأتي ... بنور العلم قد تمحو الضبابا
بني الإسلام فاتحدوا فإنَّا ... من التشتيت أغرينا الذئابا
فهذي قُدسُنا في الأسر تبكي ... ومَفْرقُها من الأحزان شابا
وكوني أمة القرآن صفًّا ... كفانا في تَفرُّقنا عقابا
وفي التاريخ أنباءُ وذكرى ... وبعد اليوم ليت لنا مآبا

(١) من قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي «سلوا قلبي» .

من الهجرة إلى الحبشة



بقلم: محمود شاكر

لقد اهتم المسلمون كثيراً بكتابة سيرة نبيّهم الكريم، صلى الله عليه وسلم، وعملوا على دراستها، ووضعوا المصنّفات العديدة فيها والبحوث، لأنها الأسوة الحسنة لهم، وفيها المنهج العملي لحياتهم، ومع هذا فإن كثيراً من أحداثها لم تُحلّل بعد التحليل الكافي، ولم تُؤخذ منها العبر والمواعظ على كثرتها، ولعلّ منها موضوع هجرة صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الحبشة، فإنّه رغم ما فيها من دروس، لم تنلها العناية من البحث حسب ما اطلعت عليه، أو حسب ما وقع تحت يدي، وربّما أفتح الباب هنا ببعض ملاحظات تكون فاتحة خير في بحوث تتناول هذا الموضوع وتتعمق فيه.

فلما رأى رسول الله، **صلى الله عليه وسلم**، ما يُصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ثم من عمّه أبي طالب، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام[(١)].

من أهداف الهجرة إلى الحبشة

ربما أراد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يخرج بالدعوة من مجتمع مكّة الضيّق إلى مجال دولي باصطلاحنا الحديث أو ينتهي من بقاء الدعوة في نطاق محدود داخل حدود مكّة إلى نطاق أرحب ومجال أوسع، أو يتخلّص ممّا فرضه عليه المجتمع الجاهلي في مكّة في حصر الدعوة وعدم انطلاقها وانتشارها بين الناس. وإذا كان ذلك يقتضي الانطلاق إلى مجال الجزيرة العربية أو بين القبائل العربية المتنقلة في أرجائها وعلى أطراف الشام والعراق غير أن هذا يتيسّر من ناحية ثانية وهي أثناء قدوم وفود القبائل إلى مكّة في المواسم وأثناء التجارة فلا بدّ أن يسمعوا بنبأ الدعوة وخبر الإسلام وبعثة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقصة عتو قريش وتعنّتها وعذاب أبنائها الذين أسلموا، وطغيانها على عبيدها والمستضعفين منها الذين تبعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الدعوة لم تكن لتنحصر في بقعة من الأرض، أو في مساحة من العالم، وإنّما تنتقل إلى المكان الذي يتوفّر فيه العمل والمناخ الملائم، وتنطلق منه، ولعلّ الهجرة الأولى كانت إلى أرض الحبشة، التي لا يسكنها العرب حتى لا يخيَّل لبعض الناس أن الدعوة يجب أن تنطلق من الأرض التي انطلقت منها أول مرة، وهي أرض العرب، وإنّما حيثما تتهيأ الظروف وتُساعد العوامل يجب أن ينطلق المسلمون[(٢)]. وحتى لا يظن أحد من الناس أن الدعوة الإسلامية خاصة بالعرب دون سائر البشر.

ويجب أن تتجمّع جهود المسلمين في منطقة واحدة للاندفاع منها فإذا ما تهيّأت الأسباب انطلقت نحو هدفها تُطبّق منهجها، فالرسول، **صلى الله عليه وسلم**، لم يسمح للمسلمين أن ينتشروا في أرض الله الواسعة ويتفرّقوا كيف يشاءون، يحاول كل منهم أن يجد المأوى يتخلّص فيه من أذى قريش واضطهادها وإنما سمح لهم ـ أو أشار عليهم ـ أن يُهاجروا إلى أرض واحدة يعيشون فيها حياة واحدة مجتمعين، فيها من معاني الإسلام ممّا تلقوه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في مكة يُساعد كل أخاه على حياة الغربة والتمسك بمبادئ الإسلام والعمل به[(٣)].

وربّما أراد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هز المجتمع الجاهليّ

المكيّ هزّة عنيفة من نوع خاص علّه يرجع عن غيّه أو يثوب إلى رشده إذا وجد أبناءه وفلذات أكباده يتركونه لمخالفتهم في العقيدة . وصحيح أن الجاهليين كانوا يُعذّبون من أسلم من أبنائهم وأقاربهم ويحبسونهم ، ولكنّ العذاب والسجن شيء والمغادرة من غير رجعة شيء آخر . قد يضرب الرجل ولده ويقسو عليه ولكنه لا يحتمل أبداً أن يرى غيره يضرب ابنه ، وقد يسجن المرء فلذة كبده ويغيب عن وجهه مدة برأيه ، غير أنه لا يطيق أن يفارقه فراقاً دائماً ، فربّما تأخذ العاطفة هؤلاء الجاهليين عندما يرون أبناءهم يهمّون بالهجرة فيتركون ما اعتادوا عليه من عذاب الذين أسلموا ، وقد تصل العاطفة إلى أكثر من هذا فتحمل بعضهم إلى الإسلام ، ويكون الأبناء قد أنقذوا آباءهم من النار .

ورُبّما كانت هذه التجربة درساً للمؤمنين يشعرون فيها أن الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، فقد وافقوا على ترك الآباء وترك الأمهات والأهل جميعاً في سبيل تنفيذ ما أشار إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وغادروا الديار ، ومواطن الأحبّة ، ومراتع الصبا في سبيل الله . وعافوا النعيم وبهجة الدنيا ، وما اعتادوا عليه من بذخ وإنفاق وفضّلوا الخشونة وحياة التقشف في سبيل عقيدتهم ، وشعروا أنهم فئة واحدة من دون الناس تجمعهم العقيدة ، ويختلفون عن بقية مجتمعهم ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ما داموا على عقيدة أخرى .

لم يطلب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين أن يخرجوا سرًّا حتى يشعر الآباء بما هم قادمين عليه علّهم يُراجعون حساباتهم السابقة ، وتتحرّك عواطف الأبوة عندهم وهو من أهداف هذه التجربة .

عن **ليلى بنت عبد الله بنت أبي حثمة** زوج **عامر بن ربيعة** حليف آل الخطاب ، قالت : والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل **عمر بن الخطاب** حتى وقف عليّ وهو على شِركه ــ قالت : وكنّا نلقى منه البلاء أذىً لنا وشدّة علينا ــ قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجاً . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقّة لم أكن أراها ، ثم انصرف ، وقد أحزنه ــ فيما أرى ــ خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفاً ورقّته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فلا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : يأساً منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام[٤] . فلو أمرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكتمان الخبر لما كان الخروج بهذا الوضوح الذي رأيناه ، ولما اعترفت به ليلى بصراحة ، فما كان لمؤمن أن يخالف أوامر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يطلب منهم السرية في التجهز والخروج بالخفاء ثم ينطقون به صراحة ، ويُعلنونه بوضوح . ثم كان التأثُّر لخروج هؤلاء المسلمين حتى من أشدّ الناس عليهم أمثال عمر بن الخطاب ، وهو بعدئذ ليس على درجة من القرابة منهم تجعله كذلك ، وكل ما هنالك أنهم كانوا حلفاء لآله ، فكيف بالذين يخرج أبناؤهم أو آباؤهم أو إخوانهم !! وربما كان هذا سبباً في إسلام عمر رضي الله عنه ، والله أعلم .

لم يخرج إلى الحبشة إلا من كان من الأحرار لأن العبد لا يأبه به أحد حسب الأعراف الجاهلية التي كانت قائمة يومذاك ، وحتى لا يُقال : إنهم أبقوا من سادتهم وفرّوا ، ولم يكن على أحد منهم دين كي لا يُقال : لم يقدروا على تسديد ديونهم ففرُّوا بها أو أخذوا أموال غيرهم وانطلقوا بها ، كما لم يكن أحد منهم عليه دم ، قتل وهرب ، وهذا ما حدث فعلاً عندما أرسلت قريش وراءهم **عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو ابن العاص بن وائل السلمي** . وفي لفظ أن جعفراً قال **للنجاشي** : سلهما أعبيد نحن أم أحرار ؟ فإن كنّا عبيداً أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم ، فقال عمرو : بل أحرار ، فقال جعفر : سلهما هل أهرقنا دماءً بغير حق فيقتص منا ؟ هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه ؟ فقال عمرو : لا ، فقال النجاشي لعمرو وعمارة[٥] : هل لكما عليهم دين ؟ قالا : لا ، قال : انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً[٦] .

تحقيق مرامي الهجرة

لقد نجحت الهجرة إلى الحبشة في مُهمّتها الإعلامية إذ نقلت أنباء ما يجري في مكّة إلى خارج مكّة ، بل إلى خارج نطاق الجزيرة العربية ، وأهم ذلك قريشاً أيّما همّ حتى أرسلت وفداً منها إلى الحبشة لِرَدّ هؤلاء المهاجرين إلى ديارهم كي يكتموا نبأهم في داخل بلدهم بالذات ، وتعمل قريش من جهتها على خنقه ، وحمل الوفد الهدايا إلى النجاشي صاحب الحبشة ، ونجح المسلمون مرة أخرى في جعل الصراع القائم في مكّة ينتقل إلى خارجها بل إلى خارج نطاق القبائل العربية فدار في الحبشة في قصر الحكم بالذات ونجح المسلمون ثالثة في الصراع إذ كسبوا موقف النجاشي إلى جانبهم وردّوا الوفد خائباً مُهاناً يجرّ ذيول الفشل يعود بهداياه وقد رُدّت إليه ، وربما كان من الصعب جدًّا على النفس ردّ الهدايا بعد قبولها وخاصة إن كانت من كبير إلى كبير .

ونجحت الهجرة إلى الحبشة في نقل أفكارها ونشر إسلامها إلى خارج حدود ديار أتباعها بل إلى الحكّام والكبار وأعداد من رعاياهم ، وربما نلاحظ في الحوار والجدال الذي دار بين المسلمين ووفد قريش أمام النجاشي وبطارقته . عن **أم سلمة**[٧] ، **بنت أبي أمية بن المغيرة** زوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم[٨] ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا

بها خير جارٍ النجاشي ، أمنّا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلْدَين ، وأن يُهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[٩] ، فجمعوا له أدَماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدّما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يُسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم ، قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دارٍ ، عند خير جارٍ ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلّما النجاشي ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى[١٠] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يُسلّمهم إلينا ولا يُكلّمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عيناً[١١] ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلّماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته حوله : صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يُكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلمه **جعفر بن أبي طالب** ، رضوان الله عليه ، فقال له : أيّها الملك ، كنّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ؛ فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت : فعدّد عليه أمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نُشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليَّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من «**كهيعص**» . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به **عيسى** ليخرج من مشكاة واحدة ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أن **عيسى بن مريم عبد** . قالت : ثم غدا عليه من الغد . فقال له : أيُّها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : **ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه** ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى **مريم العذراء البتول** . قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم **شيوم**[١٢] بأرضي ، من سبّكم غرم ، ثم قال : من سبّكم غرم ، ثم قال : من سبّكم غرم . ما أحبّ أن لي ديراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم . ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليَّ ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار[١٣] .

وهكذا انتقلت أفكار المسلمين إلى المجتمع الحبشي إذ سمع البطارقة والحضور ما تـمّ وتساءل الناس عما جرى لهؤلاء الذين دعاهم الملك ؟ وما هي مهمة وفد مكـّة ؟ ونقل البطارقة ومن حضر المناقشة للشعب عما حدث ، فتأثّر بعضهم فغدوا يُكرمون المسلمين ، وأُعجبوا بما سمعوا ، وأصبحوا يلتقون بصحابة رسول الله ، **صلى الله عليه وسلم** ، ويسألونهم عن رسولهم ، وعن عقيدتهم وعن آرائهم وأفكارهم ، فتأثروا بها ، وأسلم بعضهم ، وأيّد النجاشي بما تصرّف وأصبح من أنصاره وأعوانه . وفي الوقت نفسه فقد تعصّب بعضهم الآخر لعقيدته ، وأنكر على الملك سلوكه ، وكره المسلمين ، وناصبهم العداء ، وكاد لهم ، ورتّب المعارضة ضدّ النجاشي وقام عليه يكيد له . وتتابع أم سلمة ، رضي الله عنها ، حديثها ، قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة يُنازعه في ملكه . قالت : فوالله ما علمتنا حزنا حزناً قطّ كان أشد علينا من حزن حزناه عند ذلك تخوّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النجاشي يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، مَن رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سنّا . قالت : فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والتمكين له في بلاده . قالت : فوالله إنّا لعلى ذلك مُتوقّعون لما هو كائن ، إذ طلع **الزبير** وهو يسعى ، فلمع[١٤] بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قطّ مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك عدوّه ، ومكّن له في بلاده . قالت : واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنّا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكّة[١٥] .

عودة بعض المهاجرين

ما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليُشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ثم يتركهم بلا تعهد في تلك البلاد النائية عن موطنهم البعيدة عنه ، المنقطعة عن مكان نزول الوحي والتوجيه ، وإنما كان دائم السؤال عنهم ، وعن أخبارهم ، وصلة بعضهم مع بعض ، وعبادتهم ، وسلوكهم ، يرسل إليهم التوجيه والتعليمات ، ويتلقى منهم الأخبار عنهم . وربما رأى أن يستقدم عدداً إلى مكة ليعلم ما حل بهم ، وبإخوانهم ، وما وجدوه من صعوبات ، وخاصة بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على النجاشي ، وفي الوقت نفسه يتلقون ما جاء به الوحي ، وما آل إليه وضع المسلمين في مكـّة ، إضافة إلى دراسة واقعية من خلال تعاملهم مع المجتمع الجاهلي في مكة ، وهل أثّرت غربتهم على علاقتهم مع ذويهم من آباء وأبناء وأمهات وإخوة وقرابة ؟ وهل ضعفوا أمام تلك الغربة ، أم زادهم ذلك تمسُّكاً بعقيدتهم ، وثباتاً على مبدئهم ؟ وظنوا بهذا الاستقدام أن الأمر قد سُوّيَ بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين قومه من قريش .

لقد كان خروج المهاجرين إلى الحبشة في أول هجرة لهم في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة وعادوا إلى مكة في شهر شوال ، أي لم يمكث هناك من رجع أكثر من أربعة أشهر .

رجع ثلاثة وثلاثون مسلماً من أرض الحبشة إلى مكـّة فلما وصلوا إليها علموا أن ما ظنّوه من إسلام قريش كان وهماً ، ولم يستطع أحد منهم دخول بلده إلا بجوار أو مستخفياً ، إذ كان قد اشتدّ أذى قريش على من أسلم وزاد على ما عرفوه ، وأن قريشاً قد قاطعت **بني هاشم وبني المطلب** وألجأتهم إلى **شعب أبي طالب** . لقد دخل **عثمان بن مظعون** ، رضي الله عنه ، بجوار من الوليد بن المغيرة . لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : إن غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا **أبا عبد شمس** ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لِمَ يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ، قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية . فانطلقا فخرجا حتى آتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ عليَّ جواري ، قال : صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصرف عثمان ، **ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب** في مجلس من قريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل .

قال عثمان : صدقت . قال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل .

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول ، قال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يُؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال

رجل من القوم : إن هذا سفيه من سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا فلا تجدنّ في نفسك من قوله ؛ فردّ عليه عثمان حتى شرى[١٦] أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها[١٧] ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنيّة ، لقد كنت في ذمّة منيعة ، فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعُد إلى جوارك ؛ فقال : لا[١٨] .

ودخل أبو سلمة بجوار خاله أبي طالب .

الهجرة الثانية إلى الحبشة

وكان ممن رجع من الحبشة من المسلمين إلى مكّة قد أقام بها حتى هاجر إلى **المدينة** فحضر المشاهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من حُبس حتى فاتته المشاهد الأولى ، ومنهم من مات بمكّة ، ومنهم قد عاد إلى الحبشة وهم الذين لم يستطيعوا دخول مكّة لا جواراً ولا خفية إذ اتفقوا ورجعوا بعد أن رأوا ما تقوم به قريش من أذى من أسلم ، ومقاطعة بني هاشم وبني المطلب وحصرهم في شعب أبي طالب . فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة ، حيث بقوا هناك ، وذلك بعد استشارة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قوة ثبات المهاجرين إلى الحبشة على إيمانهم من الذين تمكّنوا من دخول مكّة سواء أكان دخولهم في جوار أحد مثل عثمان بن مظعون وأبي سلمة أم خفية مثل مصعب بن عمير الذي كان فتى مكّة شباباً وجمالا وسبيباً ، وكان أبواه يُحبّانه ، وكانت أمّه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه ، وكان أعطر أهل مكّة ، يلبس الحضرميّ من النعال ، فكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمّة ولا أرق حُلّة ولا أنعم نعمة من **مصعب بن عمير** ، فبلغه أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى الإسلام في **دار الأرقم بن أبي الأرقم** فدخل عليه فأسلم وصدّق به وخرج وكتم إسلامه خوفاً من أمّه وقومه ، فكان يختلف إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سرًّا فبصُر به **عثمان بن طلحة** يُصلّي فأخبر أمّه فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغيّر الحال قد حرج[١٩] ، فكفّت أمّه عنه من العذل[٢٠] ، بعد أن رأت ثباته على ما هو عليه وعدم إمكانية ترك إسلامه ، ومحبته الشديدة لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

لما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثبات هؤلاء على إيمانهم ، وقوتهم في ذلك ، واستشاره من لم يستطع الدخول إلى مكة في العودة إلى الحبشة ، وافق على ذلك ، فعادوا ولحق بهم من اشتدّت عليه الحال وزاد أذى قريش عليه ، وربّما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن تكون الحبشة داراً يأوي إليها من خشي الفتنة ، ويتحوّل إليها من أُخرج من دياره ، ويرتحل إليها المسلمون إذا اضطروا إلى ذلك . وعاش المسلمون عند النجاشي حياة أمن وعبادة دون كيد لهم .

وهاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة وانتقل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأقام دولة الإسلام هناك ، وبدأت تنتقل جماعة إثر جماعة من الحبشة إلى المدينة وخاصة بعد **غزوة بدر** ، إذ شعروا أن دولة الإسلام قد رسخت أقدامها ، وشعر المسلمون في المدينة أنهم بحاجة إلى بعض إخوانهم ليزيد عددهم ، لأنهم سيواجهون قريشاً الأكثر عدداً ، وليس قريش فقط ، وإنما القبائل الأخرى التي أصبحت تتربص بالمدينة الدوائر ، ولكن بقي عدد من المسلمين في الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وربّما خاف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من نازلة تحلّ بالمدينة ، سواء أكانت من قبل قريش أم من قبل الأعراب أم غيرهم ، لذا استبقى عدداً من المسلمين في الحبشة ينشرون إسلامهم ، ويتصلون بأهلها ، وتكون بذلك قاعدة انطلاق وقاعدة احتياط إذا ما داهم المدينة خطر .

ويبدو أن قريشاً لم تنس المهاجرين إلى الحبشة ، فعندما هُزمت في بدر أرادت أن تثأر منهم ، وظنّت أن موقف النجاشي ربّما تغيّر فأرسلت وفداً إليه يضم عمرو بن العاص **وعمارة بن الوليد بن المغيرة** غير أن هذين الرجلين قد اختلفا في الطريق ومكر أحدهما بالآخر ، فأوذي عمارة ابن الوليد من قبل النجاشي فهام على وجهه في الجبال ، ورجع عمرو بن العاص وحده ، وفشل الوفد في مهمته فشلاً واضحاً ، وانتهى كيد قريش لمسلمي الحبشة مؤقتاً ـ على ما يبدو ـ .

الخلاف بين النجاشي والأحباش

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن أثر المسلمين في الحبشة كان واضحاً ، وهذا ما أثار حفيظة النصارى المتعصبين لعقيدتهم من غير عقل ، والحاقدين على غيرهم من دون فكر ، فجمعوا جمعهم وأتوا صفًّا واحداً ، وقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيّأ لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا ، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفّوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؛ قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول ابن الله ؛ فقال النجاشي : ووضع يده على

صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم ، لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعني ما كتب ، فرضوا وانصرفوا عنه [٢١] . ليس من المعقول أن يكون النجاشي وحده في الميدان وقد صفّوا له ، وإنما يجب أن يكون معه جمع وإن كانوا دون أعدائه بكثير ، ومن غير المعقول أيضاً أن يمكث عدد من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مدة تزيد على أربعة عشر عاماً دون أن يتركوا أثراً أو أن يكون لهم صحب ، ولكن ــ مع الأسف ــ لم يُبحث هذا الموضوع ، ولم تتحدث عنه كتب السير والتاريخ .

كتاب النبي إلى النجاشي

وعندما أرسل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الكتب إلى الملوك والأمراء بعث **عمرو بن أميّة الضمري** ، رضي الله عنه ، إلى النجاشي ، وبعث معه كتاباً فيه : « **بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سلم أنت** [٢٢] **. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول** [٢٣] **الطيبة الحصينة . فحملت بعيسى ، حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده . . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى** » . فلما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه ، ونزل عن سريره فجلس على الأرض ، ثم أسلم ، ودعا بحق من عاج ، وجعل فيه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم .

وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن أميّة الضمري إلى النجاشي فكان أوّل رسول ، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ، وفي الآخر يأمره أن يزوّجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، فأخذ الكتابين وقبّلهما ووضعهما على رأسه وعينيه ، ونزل عن سريره تواضعاً ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق .

وكتب النجاشي إليه صلى الله عليه وسلم : أي جواب الكتاب : **بسم الله الرحمن الراحيم . إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من النجاشي أصحمة ، السلام عليك يا نبيّ الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام . أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فوربّ السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعث به إلينا . وقد قرّبنا ابن عمك وأصحابه ، يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم ، فأشهد أنك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صادقاً مصدقاً ، وقد بايعت ابن عمك . أي جعفر بن أبي طالب ، وأسلمت على يده لله ربّ العالمين** . وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « **اتركوا الحبشة ما تركوكم** » .

وذكر أن عمرو بن أميّة الضمري رضي الله عنه ، قال للنجاشي ، أي عند إعطائه الكتاب : يا أصحمة إن عليّ القول وعليك الاستماع ، إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك ؛ لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه ، ولم نخفظك على شر قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم ، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يُردّ ، وقاض لا يجور ، في ذلك موقع الخير وإصابة الفضل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأمّي صلى الله عليه وسلم كاليهود في عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وقد فرّق النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، رسله إلى الناس ، فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر . فقال النجاشي : أشهد بالله إنه للنبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة **موسى عليه الصلاة والسلام** براكب الحمار كبشارة **عيسى عليه الصلاة والسلام** براكب الجمل ، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر ، زاد بعضهم : ولكن أعواني من الحبشة قليل ، فانظرني حتى أكثر الأعوان وأُليّن القلوب [٢٤] .

إسلام عمرو بن العاص عند النجاشي

قال عمرو بن العاص : لما انصرفنا مع الأحزاب عن **الخندق** جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعوني مني ، فقلت لهم : والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا مُنكراً ، وإني قد رأيت أمراً ما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي ؛ قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحبّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَم . فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أُميّة الضمري ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أميّة الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ،

فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال : قلت : نعم أيُّها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجباه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيّها الملك ، إني قد رأيت رجلاً قد خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطينه لأقتله ، فإنَّه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ، ضربة ظننت أنه قد كسّره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرَقاً منه ، ثم قلت له : أيّها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله »! . . قال : قلت : أيُّها الملك ، أكذاك هو؟ قال : ويحك يا عمرو ، أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ؛ قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأسلم ، فلقيت **خالد بن الوليد** ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكّة ، فقلت : أين يا أبا سليمان؟ قال : والله لقد استقام المنسم[٢٥] ، وإن الرجل لنبيّ ، أذهب والله فأُسلم ، فحتى متى »! . . قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ، **صلى الله عليه وسلم** ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أُبايعك على أن يُغفر لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « فإن الإسلام يجبّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبّ ما كان قبلها » ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت[٢٦] .

كان أمر المسلمين قد قوي بعد **صلح الحديبية** ، ووقفت دولتهم على أرجلها ، وثبتت أقدامها ، وأصبحت قاعدة انطلاق للدعوة ، ولا ضرورة لقاعدة بديلة ، وعلى المسلمين في الحبشة أو في أيّة بقعة أُخرى أن يأتو إلى المدينة ليتلقوا من النبع الأصلي تعاليم دينهم ، ويُهيِّئوا أنفسهم التهيئة الكاملة للعمل على نشر الإسلام بعدئذ ، لذا فقد أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن أُميّة الضمريّ أن يطلب من النجاشي إرسال من عنده من المسلمين ، وقد فعل ، فجهّز لهم النجاشي سفينتين وحملهم بهما إلى ساحل الحجاز مقابل المدينة فقدم بهم جعفر على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بخيبر بعد الحديبية في مطلع السنة السابعة للهجرة ، وكان عددهم ستة عشر رجلاً ، وامرأتين ، وخمسة أولاد . وقد توفي عدد من المهاجرين في الحبشة ، كما أن عدداً آخر كان قد انتقل إلى المدينة قبل بدر وشهدها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعدداً آخر انتقل بعد بدر .

أما النجاشي فقد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ، ونعاه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم توفي ، وصلى عليه بالمدينة عند عودته من غزوة تبوك[٢٧] .

ومع موت النجاشي ماتت المعلومات عن الحبشة ، وما ترك من أثر بعد أن أسلم ، وما خلّفه صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن قضوا هناك ما يزيد على أربعة عشر عاماً متفاعلين مع المجتمع . وربما يتساءل المرء هل ذاب من تأثر بالإسلام في المجتمع الحبشي مع الزمن بعد أن جاء حُكّام غير مسلمين اضطهدوا أنصار الإسلام فاضطر المسلمون إلى الاختفاء وكتم إسلامهم حتى زال كل أثر لهم مع الأيام أم بقي الأثر وقصّرنا نحن في البحث عنه والتعرّف عليه؟ نرجو من الله أن يُهَيِّئَ من يبحث هذا الموضوع .

الهوامش

(١) سيرة ابن هشام ، ج ٣٤٤/١ .
(٢) التاريخ الإسلامي ــ محمود شاكر ــ ، ج ٩٩/٢ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سيرة ابن هشام ، ج ٣٦٧/١ .
(٥) عند علي بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية ، المتوفى ١٠٤٤هـ .
(٦) السيرة الحلبية ، ج ٣٢/٢ .
(٧) أم سلمة تدعى هند .
(٨) كانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برة ، وابن عمه زوجه هند . توفي بعد غزوة أحد ، وخلفه على زوجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً .
(٩) الأدم : الجلود .
(١٠) لجا وأتى ليلاً .
(١١) أعلى بهم عيناً . أبصر بهم وادرى .
(١٢) شيوم : آمنون .
(١٣) سيرة ابن هشام ، ج ٣٥٨/١ ــ ٣٦٢ .
(١٤) لم : حرك .
(١٥) سيرة ابن هشام ، ج ٣٦٢/١ .
(١٦) شرى : زاد وعظم .
(١٧) خضرها : جعلها خضراء من أثر الضرب .
(١٨) سيرة ابن هشام ، ج ١٠/٢ .
(١٩) حرج : خشن وغلظ .
(٢٠) طبقات ابن سعد ، ج ١١٦/٣ .
(٢١) سيرة ابن هشام ، ج ٣٦٥/١ .
(٢٢) أنت سالم .
(٢٣) البتول : العفيفة التي لا رغبة لها في الرجال ، ولا في الدنيا وزينتها .
(٢٤) السيرة الحلبية ، ج ٢٩٣/٣ ــ ٢٩٤ .
(٢٥) استقام المنسم : تبين الطريق ووضح .
(٢٦) سيرة ابن هشام ، ج ٢٨٩/٣ ــ ٢٩٠ .
(٢٧) عن ابن حزم أن النجاشي الذي أرسل إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو ابن أمية الضمري ، والذي بعث بالمهاجرين إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يسلم ، وهو غير النجاشي الذي أسلم وصلى عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفي صحيح مسلم ما يوافق ذلك .

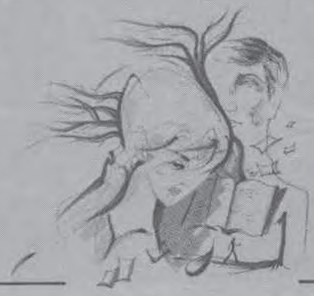
أيام وأحلام

شعر: د. محمد عبد المنعم خفاجي

مضت السنين ومرَّت الأيامُ ... مرَّت كأن طيوفها أحلامُ
عشرون، لا بل أربعون تتابعت ... أنا والهوى وصدى الرُّؤى أوهامُ
وسمعتُ صوتاً ما أعزَّ صداه في ... أذني، وعاد وعادت الأيَّامُ
وكأنَّ كلَّ جوارحي النَّشْوى تحدِّ ... ثني بما صنعتْ بنا الأعوامُ
أو أنتَ يا أملَ الحياة، ومن به ... طربت بسحر حديثه الأنغامُ؟
وأنا الذي ذرع السنين على المنى ... وبروحه الهيمانةِ الإلهامُ؟
شفتاهُ تهزجُ بالحياة وقلبه ... فيه من اللهب الرهيب ضرامُ
أأنا الذي طوت السنين شبابَهُ ... عصفتْ به وبحلْمهِ الآلامُ
بين الجوانح سحر صوت هامس ... وعلى الشفاهِ من الحديث سلامُ
وطوى الكلامَ وعطرُهُ في خافقي ... عبقٌ، كما تطوي الندى الأكمامُ
وذكرتُ أيامي التي سلفت، وأحـ ... ـلامي التي عصفت بها الأيامُ

• • •

خبَّأتُ طيفك في حنايا أضلعي ... وكتمتُ ذكرى الأمس في همساتي
حدَّثتني فحسبتُ أنِّي حالمٌ ... في غفوة مسحورة بسُبَاتِ
أوشكْتُ من فرحي أكذبُ مسمعي ... وملأتُ بالأمل السني حياتي
ما كنتُ أحسبُ قبلَ يجمعنا الضُّحى ... أن المنى منِّي على خُطُواتِ
وسعدتُ حين سمعت همسكِ والضُّحى ... متبسِّم فرحان من بسماتي
وتضوأتْ سحراً فقلتُ مناجياً ... شمس الضحى أو كوكبُ الظلماتِ
يا نجمتي في الأفق، أنتِ على الشَّجا ... وعلى النوى، أنتِ المنى وحياتي
ولأنتِ ضوءُ الشمس في ظلماتي ... ولأنتِ فجر النور في ليلاتي



حارَ البيانُ وضاعَ منّي والتْوى ... وتلعثمتْ من نشوةٍ كلماتي
يا نجمتي لا تبعدي إن فرَّقَتْ ... أحلامنا أيدي الزمان العاتي

• • •

عصفَ الظلام بكل أحلامي ، وما ... أبقى على أملي وحلو رجائي
يا أيها البدر الذي وشَّى الدجى ... بالسحر ، بالأضواء ، بالأنداءِ
أسماءُ يا أختَ الكواكبِ والسَّنَى ... أو ترجعُ الأيامُ يا أسمائي
لكأنما جمع الزمان فكنتِ أنـ ... ـت ضياءه في الليلة الظلماءِ
ما كان أسعدني زمان أطيرُ من ... روضٍ إلى روضٍ وكوثر ماءِ

• • •

ونشيديَ العذبُ الجميلُ مَن التي ... كانت على ليل الشجون ضيائي
كانت مناايَ وطيفَ أفراحي ... وكلُّ سعادتي في وحدتي ودعائي
وكتمتُ في صدري أناشيد الهوى ... أملي أمام مواكبي وورائي
يا يوم ودَّعتُ المنى ونصصتُ في الـ ... ـتيه المُهَوِّم والظلام ركابي
ونظرتُ ، والدمعُ الهتون يلُفُّني ... بسحابة الهامي ، إلى الأحبابِ
ووقفتُ في الأعرافِ أبكي جنَّتي ... ودَّعْتُها وأنا على الأبوابِ
أجنيتَ من دنياكَ إلا علقماً ... وسُقِيتَ من دنياكَ غيرَ الصَّابِ ؟
تقتاتُ من روحي ومن زهر الصبى ... ورحيقه الفوَّاح عطرَ شبابي
وأعيشُ وسط ضبابها وجهامها ... وتضيق في أسبابها أسبابي
سأظل أمسح بالدموع معازفي ... شوقاً إلى الأحباب والأترابِ

المستقبل .. في الأدب الروائي العالمي

بقلم : د. نبيل راغب

المستقبل : ذلك المجهول

كان المستقبل المجهول دائماً مثيراً للمخاوف منذ أن بدأ الإنسان حياته على هذه الأرض . ولم تكن كذلك نظرة الإنسان إلى ماضيه ، لأن الماضي وقعت أحداثه وتكشفت ، فلا غرابة أن كان الماضي موضع أمن وطمأنينة ، ومن هنا أيضاً كان حنين الإنسان إليه كلما اجتاحته مخاوف المستقبل . فهو يرى في ذكريات الماضي والأحاسيس التي يثيرها ملجأ من نذر الشر التي قد يجلبها المستقبل معه . وهذا يفسر لنا كثرة الداعين إلى العودة إلى الماضي ، بدل المغامرة في عالم مجهول العواقب . ولكم اشتدت رغبة الإنسان في كشف الغطاء عن مستقبله ، ولم يكن بين يديه علم يركن إليه ، فلجأ إلى **حاسب النجوم ، وقارئ الكف ، وضارب الرمل ، وفاتح الودع** وغير هؤلاء من الدجالين والمشعوذين . من هنا كان الدور الريادي الذي قام به الأدب الإنساني في محاولته استلهام ملامح المستقبل من خلال القدرة على التخيل والاستنباط ، مستخدماً منهجاً منطقياً وعلمياً إلى حد كبير ، بدليل أن بعض الأدباء ــ من أمثال الفرنسي **جول فيرن** والإنجليزي **هـ . ج . ويلمز** ــ قد بلغ من دقة الحساب حداً يلفت النظر في عملية وصول الإنسان إلى القمر ، وحدد لذلك تاريخاً كاد أن يكون هو التاريخ الذي حدث فيه هذا الوصول . وكان منهم من توقع انهيار الاقتصاد البريطاني وانحلال الإمبراطورية البريطانية ، وحدد لهذا كله تواريخ توشك أن تطابق ما حدث بالفعل .

الأدب الكلاسيكي

وفي الأدب الكلاسيكي القديم قامت **العرافات** بدور حيوي في عملية التطلع إلى المستقبل وخاصة بالنسبة للأبطال الملحميين والتراجيديين . وعند أديب كبير مثل **شكسبير** كانت العرافات في تطلعها إلى المستقبل تجسد الطموح الحقيقي الذي ينهش البطل من داخله ، ويدفعه دفعاً إلى مصيره المحتوم . فلم تكن العرافات في مسرحية **« ماكبث »** مثلاً سوى تجسيداً لما يعتمل داخل **ماكبث** وما ينوي تنفيذه بالفعل . ومن هنا كان التطلع إلى المستقبل مجرد حيلة درامية يبلور بها الكاتب شخصية بطله . أما في معظم الملاحم والمآسي المشهورة فكان العرافون يلعبون دوراً خطيراً في نوعية القرار الذي يمكن أن يتخذه البطل ، ويؤثر ــ ليس على مستقبله هو فحسب ــ بل على مصير أمته كلها .

ومن أشهر الروايات الرائدة في مجال معالجة المستقبل رواية **« النظر إلى الخلف من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٨٨٧ م »** للروائي الأمريكي **إدوارد بيلامي** الذي قدم فيها خطة أو برنامجاً محدداً من أجل تحسين الواقع عن طريق استشراف آفاق المستقبل . فقد كتبها عام ١٨٨٨ م ، وكانت عينه على عام ٢٠٠٠ ، وفيها يحكي قصة شاب من بوسطن استيقظ ذات صباح فوجد نفسه في يوتوبيا مستقبلية أو عالم مثالي لا يمت إلى عالم الواقع بصلة . والرواية كلها سرد لهذا العالم الوردي الجميل ، وتسير أحداثها من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٨٨٧ م ، أي في اتجاه مضاد لتيار الزمن ونجحت في وقتها نجاحاً باهراً وما زالت تقرأ حتى الآن ونحن نقترب من عام ٢٠٠٠ . وقد حاول عشرات من الروائيين تقليد **بيلامي** في إبداع يوتوبيا في رواياتهم ، ولكن رواية **بيلامي** ظلت الرائدة في مجالها لدرجة أنها كانت السبب في تأسيس الحزب القومي الأمريكي الذي تبنى مبادئ **بيلامي** التي ترفض قيام المجتمع الجديد بأسلوب **كارل ماركس** . وقد قال الناقد **هيوود براون** في مقدمته لطبعة **« النظر إلى الخلف »** التي صدرت عام ١٩١٧ م ، إن **بيلامي** نادى بضرورة قيام المجتمع التعاوني ولكن على الطريقة الأمريكية البحتة التي لا يمكن أن تتجاهل الكيان الفردي للإنسان .

كان الصدق الفني رائداً **لبيلامي** سواء في كتاباته أو تصرفاته . فقد كان يعتبر المستقبل أمانة بين يدي الأديب الذي يجب أن يجعل من أدبه مرآة لهذا المستقبل . فعلى الرغم من أن دور النشر حاولت إغراقه بالأموال حتى يتغاضى عن مبادئه فإنه ظل حريصاً عليها ، وخاض حملات صحفية عنيفة على مدى عشر سنوات

> «« قام الأدب الإنساني بدور ريادي في محاولته استلهام ملامح المستقبل من خلال القدرة على التخيل والاستنباط ، مستخدماً منهجاً علمياً ومنطقياً إلى حد كبير .



من أجل نشر أفكاره . وفي عام ١٨٩٧ م ، كتب دراسته النظرية عن مفهوم « **المساواة** » عنده وألحقها بروايته وتضمنت نقداً اقتصادياً جريئاً للنظام الاجتماعي القائم على حساب الأرباح بصرف النظر عن الاعتبارات الإنسانية . وقد أثرت آراء **بيلامي** على كثير من المفكرين الذين أتوا من بعده ، ووضعها في الاعتبار معظم المشرعين الاقتصاديين . أدى هذا بدوره إلى أن كثيراً من توقعات **بيلامي** قد تحققت ، مما يؤكد دور الأديب في تشكيل ملامح المستقبل .

ومن الواضح أن المضمون المستقبلي عند **بيلامي** قد طغى تماماً على الشكل الفني في رواياته ، فلم يلتفت إليه النقّاد . لكن هذا لا يعني أنها كانت خالية من الجوانب الجمالية . فقد نجح **بيلامي** في إيجاد جو مميّز لروايته استطاع به أن يحتوي وجدان القارئ وعقله .

وعلى الرغم من أن الخيال البحت كان المادة الخام التي امتق منها مضمونه ، فإن الرواية كانت زاخرة بالإسقاطات على الحياة المعاصرة مما جعلها مزيجاً من المثالية والواقعية في الوقت نفسه ، مما منحها خصوبة فكرية وفنية حافظت على حيويتها حتى الآن . من هنا كانت المكانة التي يتمتع بها **إدوارد بيلامي** سواء في مجال الرواية أو في ميدان الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

مشروع مستقبلي

وحدث في العشرينات من هذا القرن ، أن اضطلع ناشر إنجليزي بمشروع طموح ونافع ، وهو أن طلب من مائة عالم وباحث وأديب ، أن يتعاونوا على إخراج عدة كتب ـ **كل في فرع تخصصه** ـ تصور ما سوف تكون عليه حياة الناس بصفة عامة ، وفي إنجلترا بصفة خاصة ، بعد خمسين عاماً من ذلك التاريخ . وكان يعتقد أن تقديم هذه الصورة المستقبلية تتيح لكل من يهمه أمر أن يتدبره قبل وقوعه ، وكان المفروض أن يدخل هؤلاء المؤلفون في حسابهم ما عساه أن ينشأ خلال تلك الفترة من عوامل تؤثر في تشكيل الصورة المراد تصويرها . وبعد مرور خمسين عاماً على صدور هذه المجموعة المثيرة من الكتب ، كتب كاتب منهم في عام ١٩٧٤ م ، تحليلاً لما احتوت عليه تلك المؤلفات المستقبلية ، واكتشف من مقارنة صدق البحوث النظرية بالواقع الفعلي ، قدراً مثيراً من التطابق لم يكن أحد من هؤلاء العلماء والأدباء أنفسهم أن يتوقعه .

ويبدو أن الروائي الإنجليزي **أولدس هكسلي** حين رسم صورة المستقبل فيما بعد ١٩٨٠ م ، في روايته « **عالم جريء طريف** » ، كان قد استوحى تلك المؤلفات ، وتأثر بوجهة نظرها التي رأى منها مصير الإنسان ، في ظروف الحياة الجديدة المتوقعة ، كيف ينتظر له أن يكون . والغريب أن الأحداث التي تنبأ **هكسلي** بوقوعها عندما كتب روايته في عام ١٩٣٢ م ، وقعت بالفعل في عام ١٩٧٤ م ، عندما تم تكوين جنين آدمي خارج رحم الأم . ففي هذه الرواية يصور لنا هكسلي عالماً يسوده ما يسميه المفكرون « **التناسل العلمي** » ، وأحياناً يسمونه « **الهندسة الوراثية** » ، وهي الإنتاج طبقاً لتصميم مسبق . فنجد الإنسان ينقسم إلى فصائل أ ، ب ، جـ ، د ، كل منها تنقسم إلى رتب ، أما الحب فممنوع ، ويسمح بالعلاقة بين الرجل والمرأة بشرط ، فالإنجاب لا يكون إلا طبقاً « **للخطة** » .

وفي آخر رواية كتبها هكسلي بعنوان « **الجزيرة** » تخيل عالماً مستقبلياً يعيش في إحدى جزر **المحيط الهادي** ، كما تصور أن الوسائل التكنولوجية نفسها التي جعلت من « **العالم الجريء الطريف** » جحيماً ، يمكنها أن تجعل من « **الجزيرة** » نعيماً إذا اختلف الهدف الذي من أجله تستخدم هذه الوسائل . فالجزيرة عالم جديد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فيها يعيش الناس في سعادة كاملة ، لا فقر ولا جنون ولا حروب ولا تعسف ولا ظلم . إنهم جميعاً ينعمون برؤية صور خيالية تفوق الحقيقة . لكن النعيم ، ينقلب إلى جحيم ، عندما يأتي

« وسواء كان الأديب متفائلاً أو متشائماً في تصوره لمستقبل البشرية ، فإن ما يهمنا هنا صدقه الفني وحرصه على تقديم مرآة للناس حتى يروا مصيرهم المحتمل على حقيقته .

صحفي إليها ويكتشفها ، ويقدمها للعالم . فقد تسبب هذا الصحفي في دمار هذه الجنة الصغيرة وذلك بانضمامها إلى العالم المرعب الذي نعيش فيه اليوم . وهكذا طمست ملامح هذه الصورة المشرقة التي كان من الممكن أن تحدد معالم مستقبل أفضل للبشرية جمعاء .

هناك أيضاً رواية رائدة أخرى للروائي الإنجليزي **جورج أورويل** كتبها في عام **١٩٤٩** م ، وصور فيها مستقبلاً مرعباً للبشرية إذا سارت الأمور على ما هي عليه . عنوان الرواية « **١٩٨٤** » وبطلها يدعى **ونستون سميث** الذي يعمل في « **قسم التسجيلات بوزارة الحقيقة** » . وفي طريقه إلى عمله كان يرى في كل ركن على طول الطريق صورة لامعة لوجه مغناطيسي ، كتب تحتها التعليق التالي : « **الأخ الأكبر يراقبك** » . وكانت هناك وزارات أخرى هي وزارة السلام (**المختصة بالحرب ــ هكذا كان التفكير المزدوج**) ، ووزارة الحب (**المختصة بحفظ القانون والنظام**) ، ووزارة الوفرة (**المختصة بالاقتصاد**) . وكان **سميث** يعمل في أجهزة محو أو تحريف الماضي . وكانت شاشات التلفزيون تسجل كل كلمة وكل حركة لكل مواطن تقريباً .

وكانت هناك « **دقيقتان للكره** » كل يوم ، حيث تصرخ الجماهير موجهة اللعنات والسباب إلى صور المسجونين المتهمين بمعاداة النظام . وكان الأطفال يدربون على الوشاية بآبائهم لأي أعمال أو كلمات غير سليمة ، ثم ينضمون إلى فرق الجواسيس عندما يبلغون السادسة من العمر . وحتى اللغة لم تسلم من التحريف والمحو . فقد كان لسميث رفيق يدعى **سيم** وهو عالم في فقه اللغة ، يعمل في الطبقة السابعة عشرة لقاموس اللغة الجديدة ، وقد خاف **سميث** على صديقه لأنه كان ذكياً حكيماً أكثر مما ينبغي . وكانت اللغة الجديدة التي سوف تصبح إجبارية في عام ٢٠٥٠ م ، تهدف إلى محو الكلمات ، وإنقاص مجال الفكر . فقد كانت كلمة « **سيئ** » في اللغة القديمة تعني « **ليس حسناً** » في اللغة الجديدة ، وأصبحت « **حسن جداً** » تساوي « **حسن فوق**

المستقبل .. في الأدب الروائي العالمي

العادة » . وهكذا عندما يحل عام ٢٠٥٠ م ، يكون أدب الماضي قد « **ترجم** » إلى اللغة الجديدة ، وبذلك يختفي الأدب القديم تماماً لاختلاف الدلالات والألفاظ في وقت واحد . وكان « **التبخير** » عقاب كل من تسول له نفسه مقاومة هذا الاتجاه الجارف ، أي أن يتحول إلى بخار ويتلاشى تماماً .

وكانت مشكلة **سميث** أن متاعبه الخاصة كانت تقلقه إلى حد بعيد . لقد تذكر زوجته ، **كاثرين** المتزمتة الباردة التي اختفت منذ زمن طويل وربما تكون قد بخرت مثل والديه . وذات يوم لمح **سميث** الفتاة ذات الشعر الفاحم التي تعمل في « **قسم القصص الخيالية** » وهي تقترب منه ، فزاد خوفه منها . كانت ذراعها ملفوفة بعصابة مدلاة من عنقها . ثم تعثرت الفتاة وسقطت على الأرض ، وبينما كان يساعدها على النهوض دفعت بورقة في يده ثم اختفت . لقد أخر فتح الورقة وقراءتها خوفاً من أن تكون للرسالة علاقة « **بشرطة الفكر** » ، وأخيراً قرأ الكلمة الوحيدة التي حوتها الرسالة : أحبك . انهال عليه سيل من المشاعر : البهجة ، الخوف من الحب ذاته ومن البوليس ، الفضول الجنسي فيما يختص بالفتاة ، والحمى خوفاً من فقدانها .

وأخيراً استطاع أن يجلس معها بطريقة خفية خشية أن تشك السلطات ، وتبادلا بعض الأسرار ، وأعطته تعليمات مفصلة عن كيفية الوصول إلى شجرة معينة في حقل منعزل حيث تمت اللقاءات . وتوثقت العلاقة بين **سميث وجوليا** ــ إذ إنها باحت له باسمها ــ وأدركت أنه أحد « **اللامنتمين** » وأنه ضدهم . وكم كان سعيداً بمقتها للحزب ! وكم كانت ذكية لأنها تحيا هذه الحياة المزدوجة . وتتابعت اللقاءات ، وحافظا الاثنان على القواعد البسيطة للحزب ، حتى يتمكنا من انتهاك القواعد الصارمة سراً . فالحزب لا يمكن الفكاك منه ، كما أنهما لم يعرفا عالم ما قبل الحزب . وكانت **جوليا** تتحدث إلى **سميث** بكل حبها الجارف للحياة ، على الرغم من أنها تنبأت بأن « **بوليس الفكر** » سوف يبخرها يوماً ما .

وبالفعل يتم القبض عليهما . ويسجن **سميث** في وزارة الحب ، في زنزانة عالية ، خالية من النوافذ ، مكتظة بالمسجونين . وكان المجرمون العاديون يتمتعون ببعض الحرية في الحركة ، لكن « **السياسيين** » مثل **سميث** كانوا يعاملون كما لو كانوا نفاية . وبعد مراحل التعذيب الرهيب الذي مرّ به **سميث** بدأ يعترف تدريجياً بجرائم وهمية لم يرتكبها . ثم تم تدريبه تحت التعذيب على مسخ الحقيقة أولاً ، ثم على تصديق أكاذيبه ثانية ، كما تعلم تشويه ذكرياته الخاصة . وعندما بلغ التعذيب درجة لا تحتمل صرخ : « **عذبوا جوليا . لا تعذبوني ! لست أعبأ بما تفعلون بها** » . وبعد أن أفرج عنه جلس في مقهى حيث ظهرت **جوليا** ، واعترف كلاهما بأنه خان الآخر . وانطفأت الشعلة المتقدة داخلهما لكنهما اتفقا على أن يتقابلا مرة أخرى .

وفجأة دوى صوت النفير معلناً أنباء « **النصر** » ، أعظم نصر في التاريخ البشري . وشعر **سميث** بالفرح وهو جالس في حلمه السعيد ، فقد تمكن أخيراً من تحقيق النصر على ذاته عندما أدرك مدى حبه العميق « **للأخ الأكبر** » . وتنتهي الرواية بهذه اللمسة المأسوية التي تكمل صورة المستقبل المرعب للبشرية .

وسواء كان الأديب متفائلاً أو متشائماً في تصوره لمستقبل البشرية ، فإن ما يهمنا هنا صدقه الفني وحرصه على تقديم مرآة للناس حتى يروا مصيرهم المحتمل على حقيقته .

الاتجاه السلوكي في علم النفس

بقلم : د. محمد مصطفى زيدان

أثرت الظروف والعوامل الاجتماعية والثقافية المختلفة في نشأة وتطوير المذهب السلوكي الذي يتميز باتجاهين أساسيين هما :

(١) الاتجاه الميكانيكي العلمي .

(٢) الاتجاه لجعل الحيوان مجالا للدراسة والتجريب ، وذلك لفهم سلوك الإنسان .

ونتوقع بطبيعة الحال أن يمر المذهب السلوكي في مراحل مختلفة من حيث مدى شموليته عن الاتجاهات العقلية في التفسير ، ومدى اعتماده على التفسير الآلي أو الميكانيكي . ونستطيع أن نتتبع في هذه الحركة مراحل ثلاث واضحة المعالم :

● **المرحلة الأولى :** تتميز بالتذبذب بين الاتجاهات العقلية والغريزية القديمة ، والاتجاهات المادية . وتتضح هذه المرحلة بشكل خاص في **نظرية «ثورنديك»** وهو ، وإن لم يكن سلوكياً بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ ، فقد كان مع ذلك من أوائل من نادوا بهذا الاتجاه . ثم إن نظريته تقوم على أساس تحليل السلوك إلى مثيرات واستجابات (م ــ س) وهو الطابع المميز للمدارس السلوكية ، بالإضافة إلى أنه أكد ــ وخاصة في المراحل الأخيرة لنظريته ــ أن تفسيراته كلها تقوم على أساس مادي فسيولوجي .

● **المرحلة الثانية :** ترتبط باسم «**واطسون**» وهي تمثل ثورة قوية على كل التفسيرات الغيبية والغريزية ، وتحاول التحرر التام من كل المفاهيم المشتقة من تلك التفسيرات مثل الشعور والإدراك ، والإرادة والتفكير وغيرها .

● **المرحلة الثالثة :** هي مرحلة تقبح المذهب السلوكي ومحاولته معالجة بعض تلك المفهومات التي سبقت الإشارة إليها . وهذه المرحلة ترتبط باسم «**هل**» بصفة خاصة .

ثورنديك

نجد أنه نَظَرَ إلى سلوك الكائن الحي نظرة تذبذب بين الاتجاه النفسي العقلي ، والاتجاه الآلي ، **واعتبر الكائن الحي آلة تخضع لمثيرات فردية منعزلة ،** من البيئة الخارجية ، تتلاعب بالكائن الحي وتضعه تحت رحمتها ، ولا يستطيع إزاءها إلا أن يستجيب استجابات آلية تتحول باستمرار إلى عادات تساعده على التكيف للحياة بصفة عامة .

ومن الناحية المنهجية ، نقول إن ثورنديك وضع الكائن الحي في موقف لا يسمح له إلا باستجابات عشوائية ، **وجعل إمكانية ظهور عنصر الإدراك مستحيلاً ..** واستنتج أن السلوك هو نتيجة تكوين عادات آلية ، أي أنه وضع في التجربة الظروف التي تؤدي إلى النتائج التي أراد الحصول عليها .

ومع كل هذا فإننا **لا نستطيع أن نذكر أن «ثورنديك» أسهم إسهاماً فعلياً في أن جعل علم النفس علماً تجريبياً ، وفي استخدامه للحيوان في البحث والتجريب لإلقاء الضوء على الإنسان ، ثم إنه برغم اعتماده على الغيبيات إلى درجة ما ، خاصة في بداية حياته العلمية فإن نظريته تعتبر من أولى النظريات التي نحت بالدراسة السيكولوجية نحواً علمياً خلصته من كثير من الاتجاهات الميتافيزيقية ، ودفعت كثيرين على إثره للسير في هذا الاتجاه المثمر .**

واطسون

نجد أن واطسون كان من أكثر المتحمسين للاتجاه السلوكي الآلي في مطلع القرن الحالي . وقد هاجم النظريات العقلية ، ونظريات الغرائز بعنف ، لاعتباره أنها تقوم على مفهومات ميتافيزيقية أو غيبية لا تتمشى مع الاتجاه العلمي (أي الاتجاه

الميكانيكي) . وقد قامت بينه وبين « **مكدوجل** » محاورة مشهورة في هذا الموضوع لها قيمتها التاريخية ، وقد ظهرت في كتيب بعنوان : The Battle of Behaviorism أي (المذهب السلوكي) ، وقد أكد واطسون ضرورة حذف المفاهيم التي تتضمن معاني غيبية مثل الشعور والإدراك والمعرفة والتفكير إلى غير ذلك . وأكد هذا التفسير العلمي للسلوك (يقصد الميكانيكي) ، ينبغي أن يقتصر على دراسة الظواهر الخارجية ، أي الظواهر الملموسة ، أي الظواهر الحركية للسلوك .

وفسر **التفكير** بأنه **سلسلة من العادات نقطة البداية فيها مثير خارجي يؤدي إلى استجابة الكائن له ، وهذه الاستجابة تكون ذاتها بمثابة مثير داخلي يؤدي إلى استجابة الكائن له ، وهذه الاستجابة تكون ذاتها بمثابة مثير داخلي يؤدي إلى استجابة أخرى ، وهكذا تستمر عملية التفكير** . ومعنى هذا أن **التعلم** عند واطسون عبارة عن تلوين عادات آلية نتيجة تغيرات فسيولوجية تفسر تفسيراً ميكانيكياً بحتاً . ولحرصه على استبعاد كل المفاهيم الغيبية والميتافيزيقية من نظريته استبعد **قانون الأثر** (عند ثورنديك) من نظريته لما يتضمنه من معان نفسية (الارتياح وعدمه) ، واقتصر في تفسير لتكوين العادة على تبادل المثير ، ومعنى هذا أنه إذا اقترن مثير ما بمثير آخر يستدعي استجابة معينة مرات متكررة اكتسب هذا المثير نفس الصفة بشرط التقارب الزمني بين المثيرين . ويرى « **أن السلوك مجموعة من العادات ، والعادة مجموعة من الأفعال المنعكسة الشرطية** » .

ومعنى هذا أن نظرية واطسون تقتصر في تفسيرها لتكوين العادة على عاملين هما : الحداثة أو « التقارب الزمني » والتكرار .

وتتكون العادات على هذا النحو ، وينمو السلوك بتكوين سلاسل متصلة من العادات ، وتصبح تلك العادات أنماطاً سلوكية تساعد الكائن على مواجهة مواقف الحياة ، أو على التكيف من البيئة (ويبدو هنا تأثره **بنظرية دارون**) ، ويصبح السلوك الاجتماعي بهذا الشكل عبارة عن سلاسل من العادات الميكانيكية المرتبطة بمثيرات من البيئات الاجتماعية . واللغة وهي من أهم معالم السلوك الاجتماعي تفسر بنفس الأسلوب .

الاتجاه السلوكي في علم النفس

ولما اطلع واطسون على اكتشاف « **بافلوف** » و « **بتشريف** » (وكانا من علماء الفسيولوجي في روسيا) لظاهرة **الاقتران الشرطي** تحمس لها تحمساً كبيراً ، وجعل الاقتران الشرطي محور نظريته الذي يفسر به تكوين كافة العادات السلوكية .

ومن أهم معالم القوة في نظرية واطسون أنها نظرية متفائلة إلى أبعد الحدود (بما يتمشى مع بساطتها) ، فقد أعلن واطسون بأنه قادر إذا أتيحت له فرص التحكم في البيئة أن ينشئ أطفالا كما يهوى . هذا بشرط أن يكونوا أصحاء أصلاً . ويتضح من هذا اهتمامه الهائل بأثر الظروف البيئية لخدمة الأهداف الإنسانية . ومن وجهة النظر هذه لم يكن واطسون باحثاً نفسياً فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك فيلسوفاً ومصلحاً اجتماعياً .

ويوجه إلى نظرية واطسون كثير من أوجه النقد ، من أهمها :

(١) إغفاله لعنصر الإدراك ، كما هو الحال بالنسبة لثورنديك .

(٢) أنكر أهمية قانون الأثر على الإطلاق ، رغم أن التجارب بينت أن الكائن الحي يتعلم نتيجة للثواب بدرجة أكبر على أقل تقدير . (ولا يوجد مبرر يدعو إلى استبعاد هذا القانون) .

(٣) حاول أن يتعرف على مراكز المثيرات والاستجابات في الجهاز العصبي المركزي بإجراء عدد من هذه البحوث انتهت إلى رفض نظرية واطسون حيث أظهرت هذه البحوث عدم صحة الفرض القائل إن هناك تقابلاً تاماً ، أو كاملاً بين المثيرات من جهة ، والاستجابات من جهة أخرى ، وقد أظهرت تلك البحوث في واقع الأمر أن المخ يعمل كوحدة دينامية ، وأن فصل جزء معين من القشرة يؤدي إلى إضعاف قدرة الحيوان على التعلم ، ويؤدي إلى إطفاء العادات التي تعلمها فعلاً ، ولكن لا يؤدي إلى استحالة تعلمها بعد ذلك من جديد .

السلوكية الإجرائية عند (سكنر)

يمكن القول إن السلوكية الإجرائية عند « **سكنر** » امتداد حديث لعلم نفس « المثير ـ الاستجابة » الذي توصل إليه ثورنديك ، وواطسن ، وهو يفترض ـ كما افترض ثورنديك وواطسون ـ أن الإنسان حيادي وسلبي ، وأن السلوك برمته يمكن وصفه بألفاظ موضوعية ، وهو في دراسته للإنسان والحيوان تجزئي ترابطي ، ويعتبر أن علم النفس هو علم السلوك .

يعتقد سكنر أن جميع أنواع السلوك الإنساني تقريباً تحتاج للتعزيز الاشتراطي . والتعزيز الاشتراطي يحسن كفاية (فاعلية) السلوك ، ونحن نتعلم من خلال المحافظة على توازننا : المشي ، والألعاب الرياضية ، وتناول الأدوات ، أي أننا نؤدي مجموعة من الحركات أدت إلى التعزيز ، ويزداد احتمال تكرارنا لنفس الحركات .

ولكي تدعم أو تعزز شكل معين من أشكال السلوك ، ازدادت فرص هذا السلوك للتكرار . وعمل علماء النفس هو التوصل إلى فهم أفضل للظروف التي يعمل في ظلها التعزيز بكفاءة .

يرى سكنر أن متغيرات علم النفس شأنها شأن متغيرات أي علم آخر ينبغي أن توصف بألفاظ فيزيقية . **فالمتغير التابع** في موقف هو سلوك الفرد ، ويتألف **المتغير المستقل** من الظروف الخارجية التي يعتبر السلوك وظيفة لها ، أي أن السلوك ما هو إلا إجراء يعتمد على البيئة بحيث يؤدي إلى النتائج .

والمثير ذو الدلالة في التعلم الإجرائي هو ذلك المثير الذي يلي الاستجابة مباشرة ، وأي تغيير أو تعديل في البيئة مثير ، والسلوك الإجرائي هو ذلك السلوك الذي يجري على البيئة لتحقيق نتائج معينة .

وللتمييز بين التشريط البافلوفي والتشريط الإجرائي :

★ **أولا :** الاستجابات الشرطية الكلاسيكية استجابات منتزعة ، والاستجابات المنتزعة ثابتة نسبياً ومنعكسة مثل إفراز اللعاب أو ضيق حدقة العين ، أو ثني الأطراف وسحبها نتيجة للصدمة الكهربائية .

أما الاستجابات المتعلمة في الاشتراط الإجرائي فهي استجابات صادرة عن الحيوان أو الإنسان ،

وهي **استجابات متغايرة** مثل الجري والمشي ، والتقاط الحب والضغط على رافعة ، ولا علاقة لها بالمثير غير الشرطي قبل حدوث عملية التعلم ، وهذه الأفعال تؤثر في البيئة وتجري عليها ، ولذلك يطلق عليها سلوك إجرائي .

★ **ثانياً : في الاشتراط البافلوفي** نجد أن المثير الشرطي مثير معين محدد مثل صوت الجرس يعرضه المجرب أو يحدثه على نحو منقطع لفترة قصيرة مرتبطاً أو مصاحباً للمثير غير الشرطي . أما في **الاشتراط الإجرائي** ، فالمثير الشرطي هو الموقف ــ على سبيل المثال صندوق به رافعة ــ وهذا الموقف ماثل ومستمر خلال فترة التعلم ، والحرية متاحة للحيوان لكي يصدر استجاباته في أي وقت .

★ **ثالثاً : في الاشتراط البافلوفي** يصاحب المثير غير الشرطي المثير الشرطي بغض النظر عما يفعله الحيوان ، أي أن التعزيز لا يتوقف على فعل معين ، أما في **الاشتراط الإجرائي** فإن التعزيز يتوقف على ما يفعله الحيوان لأن ما يفعله أداة للحصول على التعزيز .

★ **رابعاً :** بينما نجد التعزيز في **الاشتراط البافلوفي** هو مصاحبة المثير الشرطي للمثير الطبيعي ، فإننا نجد أنه في **الاشتراط الإجرائي** مثيراً كالطعام أو الماء الذي يشبع الدافع ، وقد يكون شيئاً يهتم به الفرد يلعب به أو يشاهده .

وبصفة عامة يمكن القول إن التعزيز في **الاشتراط الإجرائي** هو أي مثير أو موقف يقوي الاستجابة التي تسبقه .

اتجاهات السلوكية الحديثة

كان لاتجاهات واطسن وغيره من السلوكيين القدامى تأثيراتها في النظريات السلوكية الحديثة ، التي عملت داخل الإطار العام لاتجاهات السلوكية الأولى ، وإن لم يكتف بها بل طورتها لتصبح نظريات كاملة لتفسير السلوك ، ولعل أوضح النظريات السلوكية الحديثة وأدقها صياغة هي **نظرية كلارك هل** ، الذي اعتمد على أفكار واطسن ، ونتائج تجارب ثورنديك وبافلوف في بناء نظريته ، واستخدم لهذه الغاية منهجاً استدلالياً مبنياً على عدد من المسلمات الأولية سار بها خطوة خطوة منذ بدء ظهور المثير حتى حدوث الاستجابة .

واعتمد في نظريته على نفس التعبيرات السلوكية ، فاستخدم تعبير (مثير ــ استجابة) كوحدة لتفسير السلوك ، وإن اختلف في استخدامه عن السلوكيين الأوائل .

فقد كانت اتجاهات السلوكية الأولى غامضة في تعريفاتها واستعمالاتها لكل من تعبيري المثير والاستجابة . فكان تعبير **« مثير »** يطلق على حالات كثيرة تمتد من تغيرات الطاقة الفيزيائية التي تقع على مستقبل مفرد ، إلى التأثير الذي يستدعي سلوكاً اجتماعياً معقداً ، بينما يعني تعبير **« استجابة »** أي شيء من عمل خلية عضوية واحدة إلى اسم مجموعة من نتائج لا نهاية لها لمدى واسع من متابعات حركية وقد تنبه « هل » لهذا ، ولذلك نجده حذراً في استخدامه لهذين التعبيرين ، ونجده دائماً يحدد مدى وطبيعة المشاكل التي يتعرض لها .

وعلاوة على ذلك كانت السلوكية الأولى غير واضحة في بيان العلاقة بين المثير والاستجابة . وهل المقصود أن المثير يؤدي إلى الاستجابة مباشرة ، أم أن هناك عمليات متوسطة بينهما .

أما « هل » فقد أوضح العلاقة بين المثير والاستجابة بالتفصيل ، وفرق من هذه الناحية بين ثلاثة أنواع من المتغيرات :

(١) المتغيرات المستقلة : وهي الخاصة بالمثير ، وتشتمل على الحوادث أو المواقف الموجودة في البيئة الطبيعية ، التي تؤثر في الكائن الحي ، وتدفعه للاستجابة .

(٢) المتغيرات المتوسطة : وهي التي تتضمن العمليات التي تتوسط المثيرات (المتغيرات المستقلة) من جهة ، والاستجابات (المتغيرات التابعة) من جهة أخرى ، وتعمل على ربط هذين الجزءين .

(٣) المتغيرات التابعة : وهي الخاصة بالاستجابة الناتجة التي يعملها الكائن الحي في البيئة الخارجية نتيجة تأثير المتغيرات المستقلة (المثيرات) ، وتوضح صفاتها .

وقد أوضحت نظرية « هل » عمل هذه الأنواع من المتغيرات بالتفصيل ، وعملت على نمو القوانين التي تربط بينها والتي تربطها بالبيئة الخارجية ، مستنداً إلى نتائج الوقائع التجريبية والاستدلالات الرياضية . . وبهذا شملت نظريته كافة أجزاء السلوك ، وأعطت تفسيراً لما يحدث من لحظة حدوث المثير إلى استدعاء الاستجابة .

التشريط البافلوفي

اهتمام السلوكية بالفعل المنعكس الشرطي

ظهرت الموضوعية الروسية التي بدأت بكشف الفعل المنعكس الشرطي على يدي **بافلوف ، وبختريف** ، فكان عوناً للسلوكيين ، وأساساً لتجاربهم وتفسيراتهم بعد ذلك .

فحتى ظهور هذا الكشف كانت وحدة السلوك عندهم هي (المثير ــ استجابة) . وأبسط صورها هو **الفعل المنعكس** ، وهو حركة بسيطة غير مكتسبة تحدث من الفرد بطريقة طبيعية وليس لإرادته دخل في حدوثها ، مثل ضرب اليد إذا لسعت ، أو دمع العين إذا دخل فيها جسم غريب . . . إلخ .

هذا الفعل المنعكس هو أبسط صورة من صور الاستجابة لمثير . والفعل المتكامل هو مجموعة أفعال منعكسة مرتبطة بعضها ببعض .

هكذا كانت نظرة السلوكيين إلى سلوك الكائنات الحية أول الأمر . فهم يعتبرونه حاصل جمع مجموعة من العادات ، والعادات حاصل جمع أفعال منعكسة ، تماماً كما هو الشأن في بناء المنزل أو الآلة التي تتركب من مجموعة من القطع ، والقطع من مجموعة من الأجزاء الأصغر . . . وهكذا .

وهذه النظرة إلى الإنسان أو الكائن الحي بصفة عامة ، تعد نظرة ميكانيكية آلية . ووجهة نظر **السلوكيين** في هذا تشبه وجهة نظر **الارتباطيين** القدامى إلى حد كبير . والفرق بينهم هو أنهم استبدلوا العبارة القديمة **« ترابط الأفكار »** بترابط المثير والاستجابة . وقد أعطت تجارب علم نفس الحيوان ، وخاصة تجارب ثورنديك ، دليلاً تجريبياً على إمكانية تفسير سلوك الكائنات الحية على أساس (المثير ــ استجابة) ، وتقوية الرابطة بينهما بتكرار المحاولات بالشكل الذي سبق توضيحه ، إلى أن اكتشف الفعل المنعكس الشرطي فساعد على تدعيم هذا الأساس وأعطاه بعداً جديداً .

الاتجاه السلوكي في علم النفس

ونلتفت الآن إلى الفعل المنعكس الشرطي ، لنرى **كيف ساعد اكتشافه على تدعيم وجهة نظر السلوكيين ؟** دائرة في تجاربهم وتفسيراتهم .

فكان مجال أبحاث بافلوف أساساً هو دراسة فسيولوجيا الجهاز الهضمي عند الطلاب ، ونال شهرة واسعة في هذا الميدان . ولكن بالرغم من هذه الشهرة الواسعة في مجال الفسيولوجي ، إلا أن أعظم اكتشافاته وهو الفعل المنعكس الشرطي يتصل أكثر بدراسة السلوك .

فقد لاحظ بافلوف أثناء إجراء تجاربه على الكلاب أن المثير الذي يصاحب تقديم الطعام كرؤية الوعاء الذي يوضع فيه الطعام أو صوت هذا الوعاء ، أو حتى وقع أقدام حامل الطعام ، تحدث إسالة اللعاب . . فإذا كان الطعام في الفم يعتبر من غير شك مثيراً طبيعياً لسيل اللعاب بفعل منعكس فمن الصعب أن تكون رؤية وعاء الطعام أو خطوات حامله مثيراً طبيعياً لهذه الاستجابة .

أثارت هذه الظاهرة بافلوف فأجرى عدداً من التجارب ، أثبتت إمكانية ارتباط استجابة ما بمثير غير مثيرها الأصلي إذا تكرر تقديم هذا المثير الجديد مع المثير الأصلي عدداً من المرات .

وفي إحدى هذه التجارب كان يسمع الكلب صوت جرس ، وبعد ثوان قليلة يقدم له الطعام فيسيل لعاب الكلب . وكرر هذا الموقف عدداً من المرات بالنسبة لنفس الكلب ، بحيث كان سماع صوت الجرس يتبعه دائماً تقديم الطعام وتحدث استجابة إسالة اللعاب . بعد ذلك قدم بافلوف مثير صوت الجرس وحده ولم يقدم الطعام ، فوجد أن لعاب الكلب يسيل بالرغم من ذلك . واستنتج بافلوف من ذلك ، أنه إذا شرطت استجابة معينة بمثير يصاحب مثيرها الأصلي ، وتكررت هذه العملية عدة مرات ، ثم أزلنا المثير الأصلي وقدمنا المثير المصاحب وحده ، فإن الاستجابة المعينة تحدث . وأطلق على الاستجابة التي تحدث تحت هذه الظروف اسم « **الاستجابة الشرطية** » .

أسس التعلم وخصائصه عند الشرطيين

(١) الاقتران الزمني : إذا قدم مثير ما ، واقترن معه مثير أو مثيرات أخرى تؤدي إلى استجابات فطرية ، فإن المثير الأول (غير الطبيعي) يصبح قادراً على إحداث استجابة مشابهة ، ويسمى مثيراً شرطياً ، ويلاحظ أنه لا بد للتعلم الشرطي من الاقتران الزمني . وعادة يكون المثير الشرطي قبل المثير غير الشرطي ببضع ثوان .

(٢) الانطفاء Extinction : أي استجابة شرطية ، تذوي وتنتهي إذا لم تعزز من آن لآخر . ففي تجارب بافلوف لوحظ أنه بعد استمرار تقديم المثير الشرطي بمفرده عدة مرات لم يستجب الكلب بإفراز اللعاب .

(٢) التعزيز Reinforcement : لا بد من تقديم المثير غير الشرطي من آن لآخر لتعزيز العلاقة الشرطية ، وإلا انتهى الأمر بالانطفاء . وقد أخذ كثير من العلماء بمبدأ التعزيز ، وبنوا عليه نظرياتهم أو أجزاء منها مثل (هل ، سكنر وموور) .

الاسترجاع التلقائي Spontaneous Recovery :

إن الانطفاء لا يعني انتهاء العلاقة الشرطية تماماً إذ يحدث أحياناً إن تعود الاستجابة الشرطية مرة أخرى ، بدون تعزيز ، وهذا ما يسمى **بظاهرة الاسترجاع التلقائي .**

أثر الدوافع

لقد كان من العوامل الهامة في نجاح تجارب بافلوف ، قوة الدافع الأولى ، وهو **دافع الجوع .** ولا شك أن صوت الجرس قد جذب انتباه الكلب ، وربما إذا كان صوت الجرس مزعجاً ، ومثيراً للخوف لما حدثت ارتباط . ففي إحدى التجارب ، كان يقدم لقط جائع الطعام ، وقبله مباشرة يعطى صدمة كهربائية . **فهل ينتظر من هذا القط أن يسيل لعابه ، ويسر لحدوث الصدمة لأنه سيشبع جوعه بعد ذلك ؟** بالطبع لا ، بل بالعكس كان القط بعد بضع صدمات ، يتجنب الطعام .

الظواهر النفسية التي تسهم في تفسير الأفعال المنعكسة الشرطية عند بافلوف

لقد وجد المشتغلون بعلم النفس في تجارب (بافلوف) وغيره من العلماء ، مادة خصبة لتصوراتهم ، وقالوا : إن فهمنا للفعل المنعكس الشرطي ، لا يستقيم دون استعانة ببعض الظواهر النفسية . وعندما سأل (بافلوف) زملاءه النفسيين أي نوع من التصورات يستخدمون في تفسير أفعاله المنعكسة الشرطية اقترحوا (**الرغبة desire**) و (**التوقع expectation**) و (**الخيبة disappointment**) .

ولا شك أن في استطاعتنا تتبع تلك الظواهر النفسية الثلاث : الرغبة ، التوقع ، الخيبة في تجارب (بافلوف) السابقة . فقد يكون طبيعياً مثلاً ، أن تلعب الدوافع أو الميول أو الرغبة دوراً هاماً في إحداث التعلم الشرطي . فقد لوحظ أن الكلب الشبعان أقل استجابة للموقف من الكلب الجائع ، فعدم إشباع دافع الجوع من شأنه أن يجعل الحيوان في نشاط مستمر . ولم تكن ظاهرة (**التوقع**) أقل وضوحاً من (**الرغبة**) في تجارب (بافلوف) ، حيث لوحظ أن سيلان اللعاب عند الكلب لم يكن قاصراً عند تقديم الطعام له ، بل حدث كذلك عند رؤيته للشخص الذي كان يقدم له الطعام ، وحتى عند سماع وقع أقدامه في حجرة مجاورة . وهذا بلا شك معناه ، أن الكلب أدرك العلاقة بين الطعام والشخص الذي يقدم له الطعام ويعتبر هذا نوعاً من التعلم ، يظهر أثر الإدراك فيه ، إذ ينتقل الموقف من حالة التخصص إلى حالة التعميم .

وأعني بها **الخيبة** ، فيمكن ملاحظتها فيما أوردناه من حقائق ونحن نستعرض مسألة انعدام أثر الاستجابة الشرطية ، حيث إن المثير الصناعي يصبح قادراً على إحداث الاستجابة المنعكسة ، إذا قوي أو اتبع بالمثير الطبيعي عدة مرات .

أما إذا قدم المثير الشرطي ، دون أن يقويه المثير الطبيعي ، ويشد من أزره ، فإن الاستجابة تتعرض في هذه الحالة للزوال السريع . ولا شك أن هذه الظاهرة تدل بدورها على أن هناك إدراكاً يتخلل عملية التعلم السابقة .

رحلة في كتاب



تأليف: جاك روفاي و جون سورينيا
ترجمة عن الفرنسية: راضية عبدالرحمن عبيد

الأوبئة في تاريخ البشرية

يقع هذا الكتاب في (٢٨٤ صفحة) وهو من تأليف طبيبين جامعيين هما: «جاك روفاي» و«جون بارك سورينيا» حاولا فيه الاعتماد على علم الحيوان والتاريخ في الإجابة عن الأسئلة التالية:

★ لماذا تسبّب بعض الجراثيم أمراضاً معدية في جسم الإنسان؟

★ لماذا اختفت ـ تقريباً ـ معظم أمراض الماضي المعدية مثل الطاعون والجدري؟

★ هل بإمكان هذه الأمراض أن تعود ثانية وهل يخشى من ظهور أوبئة جديدة؟

«وجاك روفاي» أحد مؤلفّي الكتاب معروف من خلال مؤلفاته البارزة مثل: «**من البيولوجيا إلى الثقافة**» (١٩٧٧ م) و«**دراسة الحيّ**» (١٩٨١ م).

والكتاب الذي نعرضه يركّز على أكبر النظريّات حول تطوّر النّوع، والانتقاء الطبيعيّ ويلحّ على ظاهرة تعدد الأشكال الوراثية. فكل الأنواع مختلفة وراثياً، إذ رغم التشابه الكبير بين الأشخاص فإنّ ذلك لا يعني أنّ لهم الرصيد الوراثي نفسه فكلّ مجموعة بشريّة تملك ظروفها البيئيّة وتتغيّر الأمراض بحسب الظروف التي تنمو فيها.

ولم يعد هناك مجال لاعتبار المرض في مفهومه المجرّد، إذ إنّ كلّ فيروس له تاريخه، والمرض هو قبل كلّ شيء سلوك متلقّي الطعم تجاه دخيل، إضافة إلى تاريخ الأوبئة الكبيرة «كالجذام في العصور الوسطى» و«الطاعون في القرن الرابع عشر الميلادي» و«الزهري في عصر النهضة» و«السلّ» في العهد الصناعي الأوروبي الخ...

فبعض هذه الأمراض قد أودت بحياة شعوب بأسرها وأحدثت تغييراً ديمغرافياً يضاهي ما تستطيع أن تفعله اليوم كارثة نوويّة لهذا فإنّ فهم تكيُّف المجموعات البشريّة مع العدوى في العالم عبر السّنين له فائدته الكبيرة في حاضرنا.

ولقد سعى الإنسان ـ أينا كان ـ إلى مكافحة المرض بتغيير بيئته وباكتشاف الأدوية الشافية. وقد ذكر المؤلفان أنّ التطوّر الكبير الذي تحقّق ـ من تطعيمات وطبّ وقائيّ ـ لا ينبغي له أن ينسينا أنّ ما بقي إنجازه كثير لأننا لا نعرف تطوّرات المناعة. فالطبّ لا زال يتكهّن بكثير من هذه الأدواء. وبفضل معرفة رصيدنا الوراثيّ يمكن تحديد مسبق لنقط ضعف كل شخص وعوامل تعرُّضه للخطر.

وفي هذا المجال ينبغي لطبّ المستقبل أن يستعين بالعلوم الإنسانية في تنظيم وسط أقل عدائية ويكون منسجماً مع قدراتنا الجسميّة ومتطلباتنا الذهنية. ولقد اختفت آفات الماضي الكبرى مثل الجدري ولكن لا ننسى أنّ الإنسان يظلّ هشاً للغاية.

اختفاء أمراض الماضي

ولئن كان أوّل تطعيم ضدّ الجدريّ هو انتصار التجريبيّة ولئن لم يكتشف تفسيره البيولوجي إلا بعد مائة عام فهذا لا ينقص شيئاً من قيمة مكتشفه **جانير** janner.

ولدينا اليوم تطعيمات ضدّ عدد كبير من الأمراض المعدية مثل الجدري والتيفوئيد والطاعون والسلّ والحمّى الصفراء والدفتريا والسعال الديكي والكوليرا والحميراء والشلل والكباد (التهاب الكبد) والقائمة لم تقفل بعد....

ونعلم أنّ شعباً ما لا يحتاج إلى أن يطعّم بأجمعه لمنع انتشار وباء ما، فمثلاً بالنسبة إلى الجدري نسلّم بأنّ انتشاره يتوقّف إذا كان ٤٠٪ من السكان غير متقبّلين للمرض ولا يمكنه أن ينتشر إذا وصلت هذه النسبة إلى ٦٠٪.

وبهذه المناسبة فإنَّ **الكثافة السكانية اللازمة لا تكفي لانتشار عدوى مباشرة وناجعة ومع هذا فإن كلَّ المشاكل لم تحلّ بعد إذ ليس لدى كل الأشخاص مناعة بمجرّد التلقيح ولكي نحصل على ٦٠٪ من المحصنين ضدّ المرض فلا بدَّ من تطعيم ٨٠٪ أو ٩٠٪ في الأقلّ.**

ومن المعروف أنَّ التطعيمات باهظة الثمن إذ لا بدَّ من تخزينها في ظروف حراريّة معيّنة كما أنَّ حملات التّلقيح الجماعي تقرر عادة على عجل أمام تهديد ملحّ، وتفتقر عادة البلدان في طريق النمو إلى الرّجال والمواد والمال، لتنفيذ هذا العمل المنقذ بدون تأخير، ونحن لا نملك الآن تطعيمات ضدّ كل الأمراض، وهذا يعني أنه ليس باستطاعتنا مكافحة البرزويّات.

ونبدو قريبين من بلوغ الهدف في ميدان **الملاريا والبلهارسيا** ولكنّ التشخيص غير أكيد دائماً وتشير أعمال التركيب إلى أنَّ تطعيماً ضدّ **الحمّى البرادائية** يمكن أن يصبح صالحاً للاستعمال في أجل قريب وهكذا نقضي على مرض يصيب الكثير من الناس وقد يؤدي أحياناً إلى الموت ومدة المناعة الممنوحة تتغير حسب المادة، وخاصّة حسب الأشخاص لأسباب لا نزال نجهلها.

ففي الخمسينات وبينما كان وباء **الشلل** يسبّب عشرات الآلاف من الموتى والمعوقين في الولايات المتحدة وشمال أوروبا فإنَّ تطعيمين ضدّ المرض قد ظهرا، ويشرب الأوّل بفيروس مخفّف أمّا الثاني فيشرب بفيروس ميّت يحقن وكان الاثنان ناجعين في البلدان المتقدّمة في حين أنَّ هذين التطعيمين لهما ـ دون سبب معروف ـ تأثير مختلف اليوم في البلدان النامية حيث استفحلت تلك المشكلة وقد قمنا مؤخراً بنفس الملاحظة في بعض المجموعات **بالهند الجنوبية** حيث يسبّب تطعيم «ب س ج bcg» (ضدّ الدرن) ردود فعل مناعيّة أضعف بكثير ممّا يحدثه في الشعوب المجاورة وبإمكان مواقف من هذا النوع أن تشكك في النّجاح الذي يبدو نهائياً.

فالشرط إذن مزدوج والحال أنَّ جسمنا كما هو الحال بالنسبة إلى كلّ الحيوانات يؤوي في الجلد أجهزة التنفُّس والهضم والتبوّل وكذلك الأنواع التي تعيش فيه ضيوفاً مسالمة أو حتى ضروريّة مثل البكتيريا التي تحقّق في الجهاز الهضمي التحوّلات الكيماويّة التي تستحيل بدون هذه البكتيريات، إنها ليست طفيليات حقيقيّة ولكنّها رواشن، كل هذه الأنواع: الإنسان والبكتيريا والفيروسات تعيش في توازن وفي تجاوب غير أنَّ هذا التوازن يختل عند أدنى تغير.. فمثلاً عند اجتياز الحدود، يغير السائح غذاءه: إنَّ خبز مدينة «كلونيا» ليس له نفس رشيمات خبز باريس وهذا من شأنه إحداث اضطرابات هضميّة تعرف خطأ بالتسمُّم وتتوقّف بمجرّد أن تتّخذ رواشن الجهاز الهضمي توازناً جديداً، إن مشكل التعايش ليس نوعياً فحسب بل كميّ أيضاً يتعلّق بعدد الدُخلاء، كل واحد منّا يحمل في أمعائه عصيّات كلونيّة وجراثيم عنبيّة فإن كان الماء في مدينة ما (حتى وإن كان معدنياً حاراً) يحوي كثيراً من العصيّات الكلونيّة فإنه يسبّب وباء.

وإن كانت المثلجات التي تباع في مدرسة أو على شاطئ تؤوي كثيراً من الجراثيم العنبيّة staphylocoques فإنَّ كلَّ المجموعة تصاب.

إنَّ تقبل الدُخلاء هو رهن مناعة الجسم ومبحث رواشنه مثلما هو تقريباً في مدننا الكبيرة حيث يصبح التوازن الاجتماعي مهدداً عندما يتعدّى عدد المهاجرين حداً معقولا.

وفي حالات أخرى، فإنَّ الجرثومة الموجودة في توازن جيّد مع الجسم البشريّ يمكن أن تصبح ـ دون سبب معروف ـ باعثة للمرض.

إن الحياة في الطبيعة هي حلقات غذائية واسعة حيث تتطفل الأنواع بعضها على بعض.

ومن حسن الحظّ أنَّ أقلية فقط من بين العدد الهائل للجراثيم التي تصيب الحيوانات الوحشيّة أو الأليفة تعدّ خطرة على الإنسان فالطاعون البقريّ والطاعون الطيريّ مثلاً لا يهددانا.

وعندما لا يتوفر شرط بيئوي للجرثوم فإنه إمّا يتحوّل أو يتوقف عن الإيذاء أو يموت، ولعل هذا ممّا يفسِّر انقراض بعض الأمراض مثل الجدري الذي أحدث دماراً في تاريخ البشريّة وتقدَّر ضحاياه (مثل الطاعون) بمئات الملايين وانقراضه من على وجه البسيطة هو نتيجة التطعيمات الجماعيّة وقد سجلت آخر حالة له في **الصومال** سنة ١٩٧٧ م، وتمنح **منظمة الصحّة العالميّة** اليوم جائزة كبيرة لمن يعلن عن الحالة المؤكدة القادمة ومن الأخبار المفرحة أنَّ التطعيم لم يعد ضرورياً خاصة إذا علمنا أنه قد يصاحب أحياناً حوادث خطرة، والعاملون في المختبرات الثلاثة والعشرين التي تعدّ التطعيم لا ينبغي أن يلقحوا، والفيروس نفسه لا يوجد ولا يزرع ـ نظرياً على الأقلّ ـ إلا في مختبرين معتمدين ولكنّ اطمئنان المسؤولين على الصحّة العامّة ليس مطلقاً، وفطنة البيولوجيين تحتدّ وكلهم يمارسون مراقبة وبائية يقظة، وتوجد نوعيات عديدة من الفيروسات القريبة من فيروس الجدري وقد تمَّ

عزل أصناف عديدة غير خطرة ــ من حسن الحظّ ــ على الإنسان ، ولدينا الأدلة المصوليّة .

إن العديد من الأفارقة قد أصيبوا ــ دون علم ــ بڤيروس **جدري القرد** الذي لا يحدث أيّ اضطراب على النوع البشريّ ، لكننا لا نعرف بالضبط كيف تتحرّك هذه الڤيروسات في الطبيعة ولا نعرف موقعها البيئوي التّميزي كذلك ولا صلة قرابتها ، ولم يعد الإنسان الآن يصاب بهذا المرض ولم يتوصّل إلى هذه النتيجة إلا بعد قرنين من الزمن .

ومن سوء الحظّ أنّ هذه الميزة لڤيروس خاصّ بالإنسان ولا يعيش إلا عليه هي فريدة . ومن هنا نفهم ضرورة التيقّظ ولا بد من توفّر شرط ثالث بالنسبة إلى كثير من الأمراض وهي دخول الجرثوم من جسم الإنسان .

وبالاعتماد على ملاحظات تجريبيّة تمكن الإنسان من اتخاذ الإجراءات الناجعة لمنع العدوى في زمن كانت فيه **البكتيريا العضويّة** غير معروفة ومفاهيم العدوى في موضع جدال ، فعزل المصابين بالطاعون تمنع إصابة المسالمين ، وجرّ المياه الصّالحة للشرب تمنع مزج إصابة المياه الغذائية ، والمياه الملوثة كانت وراء انخفاض عدوى الحمّى والكوليرا .

كما أنقص هدم الأكواخ في المدن الكبيرة الاختلاط ومن ثمّ نسبة الإصابة بمرض السلّ والأمثلة من هذا النوع عديدة : نظافة المنزل وسهولة تنظيف الملابس والمبيدات الجديدة وكلّها تكافح بقوّة الجيوش الناقلة للعدوى كالبراغيث والبقّ والقمل والقراد وبالتّالي فهي تكافح الطاعون والحمّى الصفراء والكوليرا والحمّى الراجعة .

تحتاج كثير من الميكروبات إلى حشرات ناقلة لتعيش وتنتقل وحين نعجز عن مكافحة جرثوم غير معروف فنحن نتوجّه إلى ناقله الذي ليس دوماً معروفاً هو الآخر وحين يكون معروفاً فهو ليس دوماً في متناولنا وفي هذا الميدان بالذات لا يزال الدرب أمامنا طويلاً .

أوبئة جديدة

ولئن اختفت في عالمنا الدائب الصّيرورة والزّوال بعض الأمراض فإنّ هذا يحدو بنا إلى وضع فرضية ظهور أمراض أخرى غير معروفة لدينا اليوم عند توفّر الشروط الثلاثة ، ولو افترضنا أنّ الإنسان لا يتغير وكذلك نوعيّة تطعيماته فإنّ التغيير قد يحدث في الجراثيم وأسباب ودواعي انتقالها وهذه الفرضية تطابق دون شك التغيير الكبير في ڤيروسات الزكام التي تتحوّل دوماً ، ونحن لا نعرف كيف تكون البنية الڤيروسية للزكام القادم ، فإن كانت بعض الڤيروسات ستظهر فإنّ أخرى موجودة بالفعل مع جهلنا أو عدم معرفتنا بدقة لأضرارها . ومنذ سنوات اعتبرت **الحميراء** مرضاً هيّناً وغالباً ما يصيب الصغار ولكن اكتشف منذ بضعة عقود فقط أنّ الڤيروس إذا أصاب امرأة حاملاً في الشهور الثلاثة الأولى فإنه مسؤول عن تشوّه الجنين ، والحال أنّ الحميراء بإمكانها أن تسبّب طفحاً جلديّا خفياً لا تتبيّن الأمّ له أيّة علامة ، إننا نجهل عدد الجراثيم التي تدخل جسمنا في كلّ لحظة فيكون لها آثار نافعة أحياناً وضارّة أحياناً أخرى .

كما أننا نجهل النتائج الآجلة لأمراض تبدو هينة فمعظم المصابين **باليرقان** يشفون تماماً بدون مضاعفات ولكن أصبحنا نعلم أنّ البعض يصاب بعد بضع سنوات أو عقود بسرطان الكبد ، وهكذا نظمت حملة تطعيم ضدّ هذا الكباد ذي الڤيروس « ب » .

كما أنّ بعض أنواع **السرطان** يمكن أن تكون من أصل مُعدٍ مثل ڤيروس « آبشتين بار Epstein Barr الذي وصف أولا في **إفريقيا الشرقية** حيث أدى إلى سرطانات عظميّة وبدأ يظهر شيئاً فشيئاً في **أوروبا** .

ويغلب على الظن أن بعض أنواع السرطان المنتشرة في مناطق الصين مثل سرطان المريء وسرطان الكبد يمكن أن يكون سببها خميرة تعفن الطعام أو قل ڤيروساً .

إذن فالأمراض التي لا نعتبرها اليوم من أصل مُعدٍ لعلّها كذلك ولأننا نجهل حتميّة بعض الأمراض المستوطنة فلعلّها ستصبح في يوم ما وبائية ، ومن الخطأ أن نظنّ أننا ــ بحكم تطوّر العلم وخاصّة الطبّ ــ نستطيع التحكم في البيئة المحيطة بنا .

والخلاصة أنّ الإنسان لا بد له من تجدد تكيفه ومواجهته للوسط الذي يعيش فيه ، فعليه إذن اختراع أسلحة جديدة ضد الأعداء الجدد .

مجلّة « اقرأ » الفرنسيّة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م

أبواب .. للريح .. والشمس

تأليف : عبدالله عبدالرحمن جفري
عرض : د . سلوى علي سليم



★ عبد الله عبد الرحمن جفري ★

أبـواب للـريح والشـمس كتـاب خادع .. تشعر وأنت تتصفحه أنه مجرد مقالات تم تجميعها في كتاب .. ولـكنك عندما تقرأه تدرك أنك كنت ساذجاً .. فـأنت أمـام كاتـب متمـرِّد ، واسـع الاطلاع ، والمتمردون في عـالمنا العربـي نوعان :

● متمردون أيـديولوجيون يملـكون مقـدرة عالية في صياغة المفاهيم والجمل المتعـارضة ، ولا تملك إزاءهـم سـوى الإحسـاس بـالحسرة عليهم لأنهم لا يعرفون مـاذا يقـولون ، ولـذلك لا يفهمهم أحد ، ولهؤلاء يرجع الفضل في حالة اللافهم ، واللاوعي ، واللاثقافة ، التي تسيطر الآن على العقلية العربية المأزومة !!



★ مصطفى صادق الرافعي ★



★ ألبير كـامي ★

● متمردون مستنيرون مهمـومون بقضـايا أمتهم ، يعبرون عن موروثات حضارية ، أصولية وعصرية ، يتعـاملون مـع مختلف الثقـافات مـن موقف ثابت ، ومتـطور أيضـاً في محـاولة دؤوبـة لإثراء الحياة مـن حـولهم ، بغـير سـفسطة ولا تعالُـم ، يعينهم في ذلك ثقـافتهم المتنوّعة ، وبناءهم الإنساني المتماسك ، وغير المنبهر بكل ما هـو حديث وأجنبي !! على الـرغم مـن استغراقهم في تفهّـم وجهات النـظر الثقـافية والأدبية والفنية في عالمهم .

ومؤلف « أبواب للريح والشمس » ينتمي إلى فصيل المتمردين المستنيرين في عالمنا العربي ، هم وإن كانوا قلة ، فإنهم يمثلون ضمير أمتهم التي تتحدد قسماته عبر الزمن القادم .

الكتاب . . صورة قلمية ، وسياحة فكرية عبر ثقافات مختلفة ، متنوعة المواقف والأهداف وأدوات التعبير ، ومع ذلك فإن استخلاص المواقف الأساسية ، والمنطلقات الفكرية لهؤلاء جميعاً ، سواءاً كانوا أوروبيين أو أميريكيين ، ينم عن عقلية نقدية واعدة ، تقرأ وتستوعب وتنصهر في داخلها كل المعاني والقيم المتعارضة ، لتقدم لنا في النهاية رأياً يمكن الاعتزاز به ، والتعويل عليه .

لقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول :

الأول : الحب في عادية الأشياء ، والثاني : الميلاد والرحيل ، والثالث : أصوات الأيام .

ما الذي يحدث الآن ؟

سؤال يطرحه المؤلف فيقول : « إن الذين باستطاعتهم الرد على هذا السؤال هم الذين يخترعون الأسلحة المدمرة ، والذين ملأوا حياتنا التي كانت بسيطة بكميات هائلة من « الأزارير » التي يتحكم فيها إصبع واحد ، وهم هؤلاء الذين يخترعون الجديد للقضاء على الإنسان ، أكثر من اختراعهم للجديد الذين يدّعون أنه يوفر الراحة والرفاهية للإنسان » .

ولكن هذه الحياة التي تتحكم فيها التقنية العالية المتصلة بالأزرار أو الأزارير كما يقول ، تفتقد إلى دفء العاطفة والحب ، هذا الحب الذي جعل **مصطفى صادق الرافعي** لا يكتب حرفاً واحداً لمدة عام ، وعندما أرسلت إليه الأديبة **مي زيادة** رسالة في سطر واحد ، تقول له فيها : « **افتقدناك . . فهلا رجعت لتروي ظمأ هذا القرطاس ؟** » وعاد الرافعي بسبب كلمات مي القليلة إلى الكتابة ، فكتب مؤلفاً كاملاً أسماه « **أوراق الورد** » .

أما **أريك سيجال** الذي كتب روايته الشهيرة عن الحب في زمن افتقد الناس فيه هذا الحب ، فقد كانت مفاجئة للجميع ، وكانت سبباً في شهرة سيجال الذي قتلته الشهرة لأنهم حملوه فجأة ، وطافوا به العالم وهو في مكانه ، وطافوا به أذهان الناس وأعينهم وانبهارهم ، لأنه قدم شيئاً غير منتظر وغريب ، ولا يحدث اليوم بهذا العنف ، لأن الحب لم يعد هو الرابط الوثيق الذي لا ينفصم ، إنه شيء يتعاطاه الشباب ثم يعود إلى الأرصفة ، واللافتات والليل ، والصراخ والمسدس .

أما **ألبير كامي** ، فإنه زخم هائل من المعاناة ، والقلق ، والخوف والحب و « الاحتماء » ، ولكن فلسفته قامت على مبدأ الإدراك ــ « **هل أنت سعيد حقاً ، أم أنها انتعاشة التعاسة . . لا أعرف ماذا يمكن أن أتمنى أكثر من هذا الحضور المستمر للنفس مع النفس !؟ ما أريده الآن ليس السعادة ، بل الإدراك !!** » .

وينتقل بنا الكتاب بعد ذلك إلى آراء ومواقف **وليم فوكنر** الأميريكي **وهفمان** الإيطالي وآرائهما في الحب والحزن . . ثم الشاعر العربي **إبراهيم ناجي** الذي يقول :

« أي سر فيك إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري »

وفي رؤية نقدية واضحة يقدم لنا المؤلف آراء ومواقف **كولن ولسون** ، وفلسفة اللامنتمي :

ــ « **الحقيقة بسيطة ، وهي أن القوة كانت العنف الطاغي للتاريخ** » .

ــ « وليس الحذر إلا وسيلة فاشلة يتحصن خلفها الضعفاء » .

إن بطل رواية « **طقوس في الظلام** » لكولن ولسون هو نموذج إنسان القرن العشرين الميلادي ، الذي تعذبه نفسه قبل أن يعذبه غيره ، تعذبه وحدته كما تعذبه معرفة الناس . . عانى من بعد المرأة ، وقاسى من لقائها بعد ما عرفها !!

ثم **فراسوا مورياك ، وجان كرواك** أديب الغضب الأميريكي الذي أشعل مفاهيم الشباب في الولايات المتحدة ، ثم **فرانسوا ساجان** في « مرحباً أيها الحزن » ، و « ابتسامة ما » ، ثم الكاتب المسرحي الفرنسي « **هنري دي مونترلان** » في كتابه « مالاتستا » الذي قال فيه عبارته الشهيرة : « إن عدم الاستقرار وعدم الثبات هما الحياة نفسها » ، وأرسل دعوته التي تتلخص في العودة إلى الإنسان ، وقوله : « **إنني أفزع من الناس الذين تتملكهم الثقة ، لأننا نعاني من مآزق الضعف العاطفي ، لأننا تثقفنا بعطاء العصر المضطرب** » .

ثم **لويس أراجون** الذي يقترب في أشعاره المتدفقة بالحب لمحبوبته **إلزا** من العواطف المشبوبة في رواية وأشعار مجنون ليلى ، وهو الذي قارن بين مجموعة **شعراء التروبادور** في فرنسا أثناء القرون الوسطى



★ لويس أراجون ★



★ أمل دنقل ★

وبين الشعراء العرب ، وقال : « شدتني إلى أشعارهم ما وجدته من قرابة روحية وشبه في المحتوى » .

وبعد هذه السياحة النقدية للأدباء العالميين الذين نالوا شهرة غير منكورة يصل بنا **الأستاذ عبد الله عبد الرحمن جفري** إلى موقف يريد أن يحدده لنفسه بعد أن استعرض الآخرين متذوقاً وناقداً في البحث عن قضيته .

فيقول : « أبحث عن قضية تستقطب أوجاع ، وأوهام ، وانخذال وتعثر إنسان هذا العصر ، أبحث .. لمن يدل هذا الإنسان المطحون بين رحى الحروب الصغيرة ، والاعتداءات التعسفية ، والمد التبعي ، هذا الذي يركز على سطحية المجتمع العربي ، ويعمل هدماً في أعماق نفسية الإنسان ، وفي جذور التراث واللغة !

إنه هذا المد الخطير .. الذي يستخدم الانبهار اللفظي ويتسلل عبر تسليات عاطفية .. تسدد إلى ضمير الإنسان وإيمانه وملامح انتمائه !

ما هي القضية بالنسبة للإنسان العربي والمسلم ، وبالنسبة للإنسان الحضاري الذي تكثفت الصراعات في داخله ، وبالنسبة للموجه بالكتابة وبالرأي ؟

هل القضية هي الأرض ؟

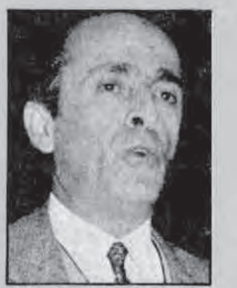
هل القضية .. هي العقيدة والزيغ الفكري ؟

هل القضية .. هي الضعف من داخل الإنسان ؟

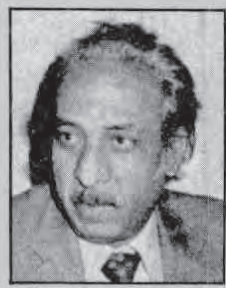
هل القضية .. هي التفكك والمحاور السياسية ؟

هل القضية .. هي طعن المبادئ والفضائح الأخلاقية واضطراب الضمائر ؟

إن الأرض تُنتهك وتُسلب ، ولأن الإنسان يتعذب في سجون ومطاردات الاستعماريين والغزاة ، ولأن العقيدة تواجه جولة



★ خليل حاوي ★



★ صلاح عبد الصبور ★

جديدة من أرباب الصليبية بأيدي عملاء لها وبتخريب من الضائعين والمتخبطين في قلق روحي بالغ النشوة ، ولأن القيم ذاتها ، أصبحت معرضة للمتظاهرين فوق الأرصفة ، ممن يسوقهم الخداع ، وتضخيم المعاناة إلى أبعد من صور التغلب عليها ، فلا بد أن تحدث البراكين من داخل النفس ، ويحترق العقل وتتضخم العواطف .

وهناك عوامل أخرى غير مباشرة .. تنميها الصهيونية والشيوعية والاستعمار وتجار السلاح ، للقضاء على يقين الإنسان واستقراره المؤقت ، فشوهت الكثير من القيم ، واعتمدت على الفلسفات وعلى الرؤية الصحيحة .. لأن الإنسان يسقط في ممارسة الاحتياجات اليومية والمصلحية !

● ● ●

ويتساءل المؤلف : كم عدد الكتب الجديدة التي تصدر كل شهر من داخل الدول العربية التي كانت مصدر إشعاع فكري ، وملتقى مدارس أدبية حديثة ، ومنابر للرأي والإبداع ومنتجعاً لحرية الرأي .. الإجابة هي : « إن العدد في الليمون » وأصبحت الكتب والمواهب يخضعان للنظام السياسي الذي أحال الأديب والمفكر في تلك الدول إلى عجينة من صلصال يشكلها حسب أيديولوجيته ، أو على الأقل حسب أهوائه !! فكيف يمكن البحث عن قضية في زمن عربي رديء كممت الأيديولوجيات السياسية فيه أفواه الباحثين عن الخلاص العربي ؟

وفي هذا الإطار سقط أدباء ، وتنكروا لتاريخهم الأدبي ، مثلما فعل **توفيق الحكيم** في « عودة الروح » ، ورحل آخرون مثل **أمل دنقل** : لقد بدأ أمل دنقل رحيله منذ أن أصبح كل شيء في الكلمة العربية يغرق ويموت ! كان أمل يُغازل الرحيل ، فيراه انتقالا من دنيا تضيق بالأحرار وبالشرفاء وبالوطن ، لتتسع بالعبيد وبالمستعمرين وبالأقوياء المتسلطين على مقدرات الأمم .

وقد أشار الكتاب إلى أهم قصائد أمل دنقل « لا تصالح » التي وصفها الجفري بأنها كانت صوت الكلمة العربية النقي والمراهن عن العصافير والمطر والعشب :

« لا تصالح
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
النجوم لميقاتها .. والطيور لأصواتها
والقتيل لطفلته الناظرة !
كل شيء تحطم في لحظة عابرة ! »

ـ « والذي اغتالني : مرض لص
سرق الأرض من بين عيني
والصمت يطلق ضحكته الساخرة ! »

لم يفرض الزمن العربي الرديء الانتحار على أمل دنقل ، كما فعل **خليل حاوي** الذي أطلق الرصاص على نفسه ، لأن الموت ذاته هو الذي أطلق عليه الرصاص ، فانتحر بالموت في كثافة مشاعر القهر والأسى والغربة !

وقبله أقدم **صلاح عبد الصبور** على الانتحار بالموت في كثافة مشاعر القهر والغربة والأسى أيضاً .. فهنيئاً له بالموت الذي يُحييه ، لأنه كان يعيش في الحياة التي تقتله !

ومن أمل دنقل ينقلنا المؤلف إلى **محمود**

درويش الذي يعتبر ضمن جيل قوي وصامد من شعراء الأرض المحتلة ، والذي يشعر قارئه بلمسات الحزن العميق من خلال صرخات القيد ، وتنهدات عشقه لأرضه ، ونداءاته إلى حبيبته المجهولة ، المعذبة !

« لأجل ضفة أمشي
فلا تحزن على قدمي من الأشواك
إن خطاي مثل الشمس
لا تقوى بدون دمي !
تعالوا يا رفاق القيد والأحزان
كي نمشي ..
لأجل ضفة نمشي .. فلن نقهر
ولن نخسر
سوى النعش !! »

ثم قوله :

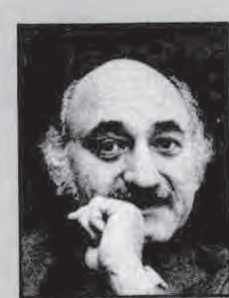
ـ « لو أني
أفارق شوك مسالكنا الصاعدة
لقلت : ادفنوني حالا ..
أنا توأم القمة الماردة !! »

ومن محمود درويش إلى الشاعر العربي العراقي ـ **بلند الحيدري** ـ الذي يقول عنه الأستاذ جفري : « إن في شعر بلند الحيدري مرارة داكنة ، والتجارب العديدة التي عبرت به .. صاغت منه صانع كلمة ، وفنان ألم ، وشاعراً لم تستنفده تجاربه ، ومعاناته ، ومعايشته ، وإنما كل ذلك جعل منه الشاعر « الذي تحلم به بغداد » .

يقول بلند الحيدري :

ـ « أريد أن أغور في شوارع مزدحمة ..
حكاية أو غنوة أو ملحمة ..
أريد أن أسأل من يحلم : عن أحلامه ..
أريد أن أسأل من يألم : عن آلامه
أريد أن أوقظ دنيا مظلمة .
أهتز مصباحاً هنا .. هناك


★ محمود درويش ★


★ بلند حيدري ★

ملء نوره مني ..
تنير ربوة ، ومنحنى .. » !

ومن بلند الحيدري إلى الأديبة العربية السورية « **كوليت سهيل خوري** » وروايتها « **كيان** » التي تعد تصويراً دقيقاً لواقع العالم العربي ، حيث كتبت فيها قومها .. قضيتهم ، آلامهم ، انفعالهم المخنوق بذهولهم !

وإذا كانت كوليت قد أصرّت على أن تكون قصتها « أسطورة » فإن الأستاذ جفري يرفض ذلك ، ويقول : « إننا كمنتمين إلى هذا المحيط الإنساني ، نرفض أن تكون هذه الرواية أسطورة ، لأننا نسعى ما أمكن إلى تقليص معايبنا ، وتذويب أخطائنا ، واستشراف آفاق تنتعش بها أمانينا كأمة لها تاريخ مضيء بلا شك ، وكأمة أحلى ما فينا هي أمانينا ، وطموحنا ! لنتخلص من كبوة الأمة !! » .

ومن الأديبة السورية كوليت سهيل خوري يبحر الأستاذ جفري في أشعار **نزار قباني** التي تتموّج بالحب حيث يقول عنه : « هو ذلك المنشد الذي ارتفع مواله في غربة العصر ، وتغريب الإنسان ، فكأنه يبحث عن الحب ، ولكن الحب لا يضيع منا ، وإن كان ضياعنا هو بحثاً عن الحب ! » .

وقد قسّم المؤلف تجربة نزار قباني الشعرية إلى ثلاث مراحل : الأولى : دخوله بالشعر إلى مخدع نوم الأنثى أو مخدع الحب ! والثانية : دخوله بالشعر إلى مخدع السياسة العربية ، والثالثة : دخوله بالشعر إلى مخدع الخوف العربي .

ومن نزار قباني إلى الشاعر **أدونيس** الذي أفرط في استخدام الأسطورة والرمز ، هذا الرمز الذي تبلور في ذات « أدونيس » فأصبح لغة تخاطب يرتقي بها الشاعر ، ويقدّ من الرمز جوانبه اللينة لينحت شكلاً حلم به وفتنه ، وصاغت معطياته كل اندهاشات الذهن وتأمل الروح ، إن ادونيس يغتسل في نهر الكلام ليموت كل يوم .. يموت لحظة ، يطعم الجوع المستعر فيه ! ولكنه في كل ذلك كان أيضاً يطعن اللغة العربية ، كتراث ، وكقيمة من أجل الابتكار الأبكم !! ومع هذا فإنه يقدم واقعه ، واقع الإنسان العربي اليوم في هذه الصورة :

« جاءني .. مددت له حبي
رغيفاً ، وورقاً ، وسريراً
وفتحت الأبواب للريح والشمس
وشاركته العشاء الأخير» !

ومن أدونيس إلى الأديب العربي السعودي **أحمد السباعي** وكتابه « **أيامي** » . يقول المؤلف عن الأديب العربي السعودي أحمد السباعي :

« من خلال مجموعاته القصصية وأدبه عامة ، تكتشف أن أحمد السباعي هو مصدر حريص ومبدع ، التقط عشرات « البوزات » لفترة أصيلة من تاريخ مجتمعنا ، وتكتشف أن طريقة « أحمد السباعي » في الكتابة تتسم بصدق النقل ، ورقة الملامح وهو « شعبي » استطاع أن يجعل قارئه يرى ويلمس أبرز ما كان يعتمد وتتصف به « جوانية » ابن البلد ، وأي خالة وأم وفتاة في تلك الفترة .. واستطاع أن يصور أحلامها ويفضحها ، وهي تلبس « المحرمة

والمدورة » وغطاء الوجه الـذي « يكعبل » ! . . وفي نفس الوقت تهمس بحب : (تعال يا رفيق روحي . . ليتك تسمعني) . . فكأنني أقرأ دقة في تسجيل ملامح مجتمعنا القديم بـالبراعة الـتي اتصف بها (**نجيب محفوظ**) وهو يرسم بالكلمة صورة المجتمع القديم !

وتأتي خـاتمة الـكتاب « أبـواب للـريح والشمس » بمرثية قلمية صاغها الكاتب للشاعر العربي السعودي الـكبير **حمـزة شـحاته** . . فيقول :

يا سيد الكلمة المنفية إلى الأرض ، كانت فرصتك أن تكون شاعراً ، فتملكت الفرصة لتجعلنـا بهـا جيـلاً كبر بـأمانيه . . مشى بالبداية . . حمل فـوق كتفـه طـريقه وسـار إلى المستقبل !

أتيت من خارج الزمن . . تموت في داخل الـزمن !

قدم صوتك إلينا بإحساسك . . يدخل بطء الزمن المحمول على حياة قلقة مسرعة الوقفة !

أنت الشاعر الذي استوطن الغرابة بسبب الغربة ، وزرع فيها حدائق زمن لم يأت !!

كنت تغتسـل في نهـر الـكلمات تمـوت كل يوم . . تموت لتـطعم الجـوع المستمر فيـك ، وقلت أثناء هذا الشريط الطويل :

كم سرينـا على سناها حيـارى
نركب الوعر ، والعواصف خـرقا
وانتشينا بها خيـالا مـن الـراحة
أحـتى مهـداً وأنضر أفقـــا
فـإذا نحـن في كفــاح مـرير
بين سار على الـكلال ، وملـق !

ويورد الأستاذ جفـري رأيـاً قـاله ذات مـرة الشاعر الرقيق الأمير **عبد الله الفيصـل** حينما سألوه عـن الشـعر في بـلادنا (السـعودية) ، فأجاب قائلاً :


★ أحمد السباعي ★


★ حمزة شحاته ★

●● حمزة شحاته ، ثم حمزة شـحاته ، ثم حمزة شحاته ، ثم حسين سرحان !!

وبعد . . قلنا منذ البـداية إن مـؤلف هـذا الكتاب ينتمي إلى فصيل المتمردين المستنيرين في الـوطن العربي ، وهـو وإن كان ينتمـي إلى المملكة العربية السعودية وطنـاً ، فـإنه مهمـوم بمستقبل أمته العـربية . . وهمـوم عـالمه الـذي تشكل أمته جزءاً هاماً منه . . فقد قـدم لنـا في كتابه أديبين سعوديين ، ولـكنه قـدم لنـا أيضـاً أدباء وشـعراء وروائيـين مـن مصر العـربية ، والعربية السورية ، والعربية العـراقية ، والعـربية الفلسطينية ، والعربية اللبنانية . . . إلى آخره . . وإن كنا نأخذ عليه أنه وقد اهتم بـأدباء العـرب والعالم لم يضـع في اعتبـاره أدبـاء المغـرب العربي ، ففيهم شعراء وأدباء وفنانين وروائيـين يشاركون أدبـاء المشرق العربي همـومهم بـواقع ومستقبل أمتهم .

يقـول المؤلف في (صـفحة ٥٦) مـن الكتاب :

« كنت إنساناً أتوق إلى تفسير حيرتي ، وإلى التقاط عشقي مـن سـأمي ، وتخليص حبي مـن الملي ، وإنقاذ الملي من التنـازلات الـتي فـرضها منطق التعايش ، والرضوخ لضرورة لا نعـرفها ، ولا نفهمها ، ونحني لهـا الهـامة امتثالا ، لأنهـا وليـدة زمـن « الـلا شيء » وليـد الـ « كل شيء عادي » . . » . وقـد كشـفت هـذه الـكلمات ـ على الرغم من أنها جـاءت في إطار سـيناريو علاقة خاصة بينه وبين أحـد أصـدقائه ـ لتعبر عن شخصيته وتمرده وخوفه أيضاً . . من الرتابة والترحال عبر مدن واسعة الحيلة ، وعـبر حـدود العالم المسـوّرة بـالغضب والـرفض ، وبـالسأم والحيرة !

ومـؤلف « أبـواب للـريح والشـمس » ، بالإضافة إلى أنه متمـرد مستنير ، فهـو أيضـاً متمكن من أدوات تعبيره الخـاصة ، فهـو يقـدم صوره القلمية عبر صفحات الكتاب بلغة رقيقـة وجذابة ، وجذلة الأسلوب أيضا . . يحدثك عن خوفه ، وعن ضـيقه وغضبـه ، وعـن حبـه ، وضعفه وأحزانه ، ولـكنه لم يحدثنا أبـداً عـن أفراحه وابتساماته ، ويبدو أنه لم يجد في تـرحاله عبر الحدود والأزمنة ما يجعله سـعيداً . . ونـأمل أن يحدثنا في كتبه القادمة عن مزيد مـن الأدبـاء السعوديين ، وأدباء المغـرب العربـي ، ويـا ليتـه يتبنـى دعـوة تـأسيس ونشر ببلـوجرافيا عـربية تحتوي على أسمـاء وإنتـاج الأدبـاء والفنـانين والمثقفـين العـرب مـن المشرق إلى المغـرب العربـي ، لـكي تـكون في متنـاول البـاحثين العرب ، عندما يحاولون دراسة الآداب والفنـون العـربية ، وأثـرها في تنـوير العقـل العربـي . . واتجاهات وانتماءات هذه الآداب والفنون .

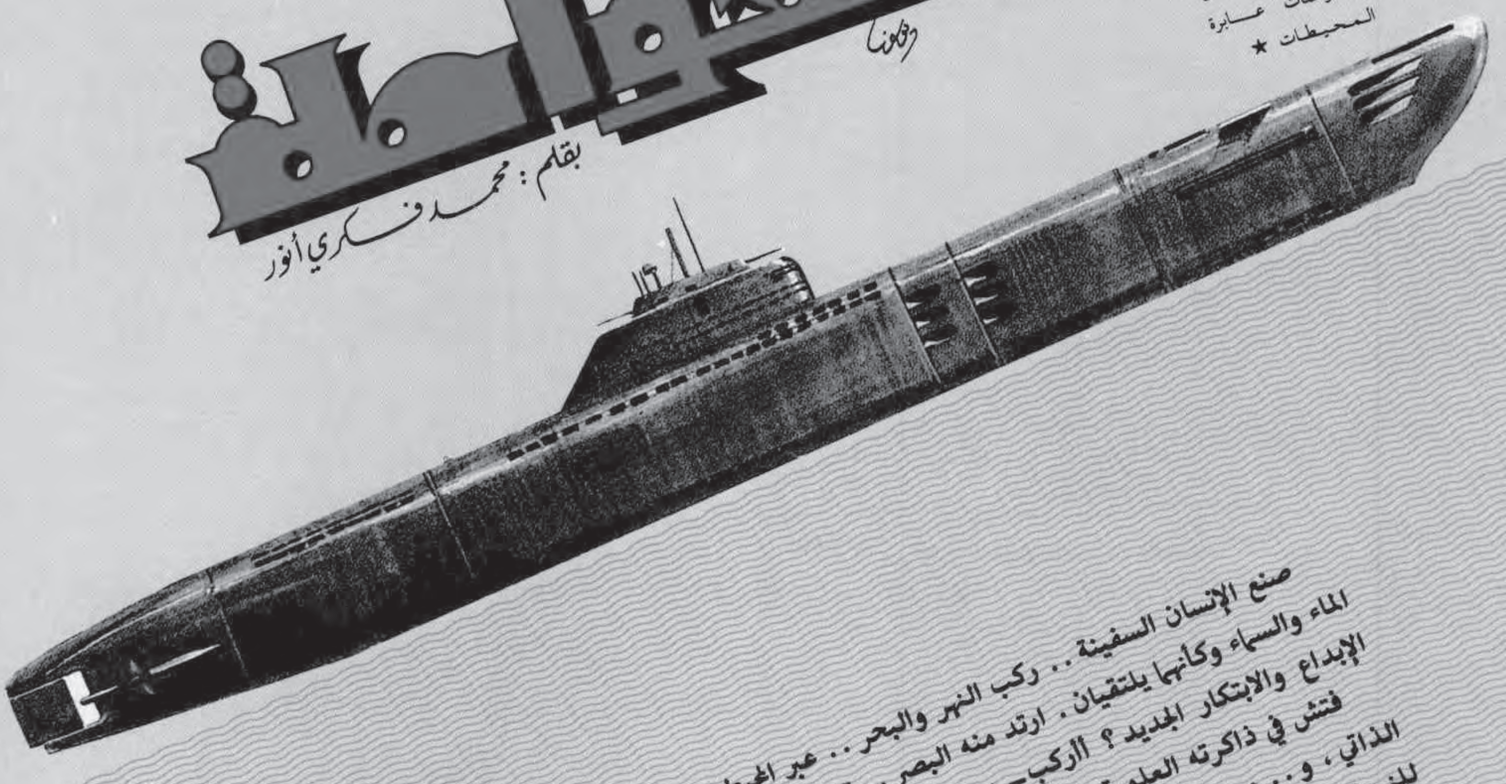
ويبقى « أبـواب للـريح والشـمس » ، دعوة لفتح النوافذ والأبواب المغلقة في أكثر من قـطر عربـي أمـام غـيره مـن أقـطار الـوطن العربـي ، وأمـام آداب وثقافات وفنـون العـالم ، حـتى تصـبح حياتنا اليومية أقل قسوة مما هـي عليه الآن ، عنـدما تـكون الآداب والفنـــون أحد ينابيع تقدمها .

موضوع خاص

الغواصة

بقلم : محمد فكري أنور

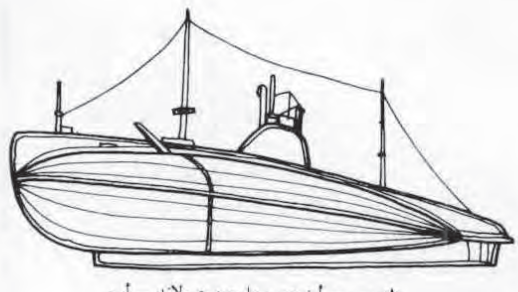
★ أدميرال دونيتز : آخر طراز من الغواصات عابرة المحيطات ★



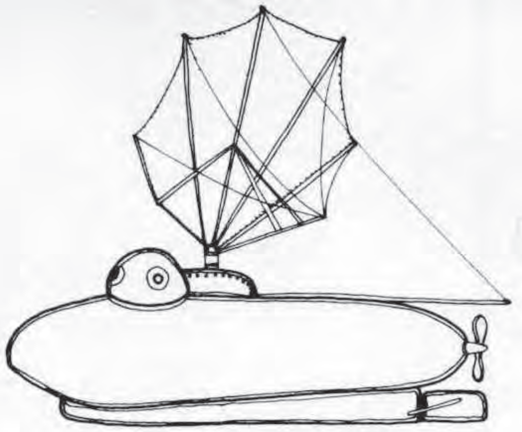
صنع الإنسان السفينة .. ركب النهر والبحر .. عبر المحيط .. مد بصره إلى الأفق البعيد .. عند نقطة اللانهاية يبدو الماء والسماء وكأنهما يلتقيان . ارتد منه البصر .. تطلع إلى أعلى ، إلى الفضاء وتساءل : أيكون الفضاء – بعد الماء – ساحة الإبداع والابتكار الجديد ؟ أأركب – بعد الماء – الفضاء ؟

فتش في ذاكرته العلمية .. حك رأسه باحثاً عن أفكار الطاقة المحركة ، والسرعة ، ومقاومة الجاذبية الأرضية ، والدفع الذاتي ، و .. و .. إلى آخر مايتطلبه ركوب الفضاء من علوم وأفكار وإمكانات ، فوجد أن الحصيلة المتاحة غير كافية للنهوض بمتطلبات الابتكار في هذا المجال .

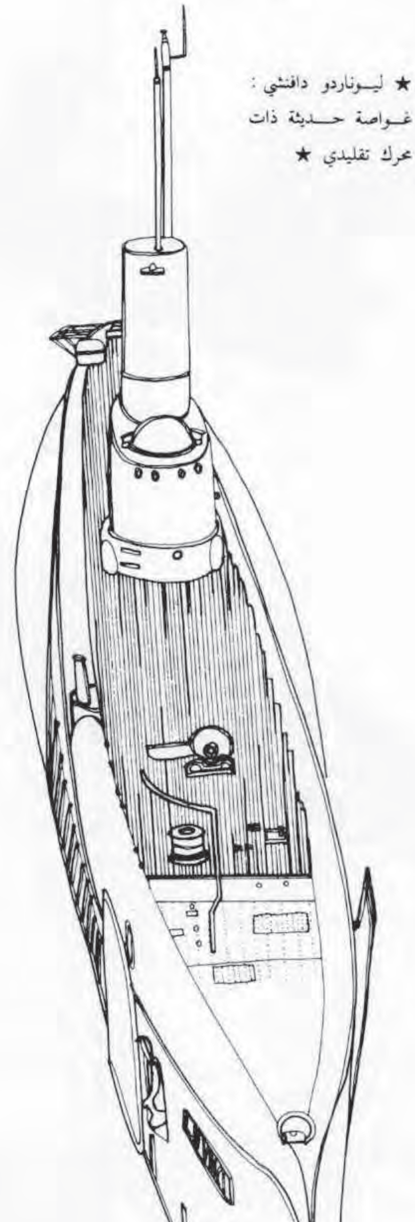
ثم هبط بنظره إلى الماء ، ونفذ بخياله إلى الأعماق متسائلاً : أيكون لي أن أخترق الماء ، إلى الأعماق ، غائصاً في مركبة ؟



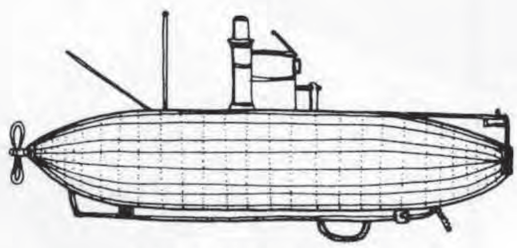
★ بي ـ أ : صممها جيه هولاند ـ أبو الغواصة الحديثة ـ بناها عام ١٩٠٧م ، وزنها ١٤٧ طناً وسرعتها ٨,٥ عقد ★



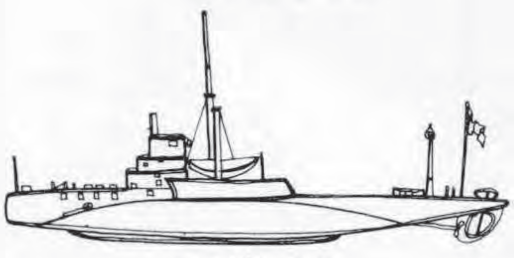
★ نوتيلوس : بناها روبرت فلتون في عام ١٨٠١م ، كانت مزودة بشراع إضافي للإبحار فوق سطح الماء ★



★ ليوناردو دافنشي : غواصة حديثة ذات محرك تقليدي ★



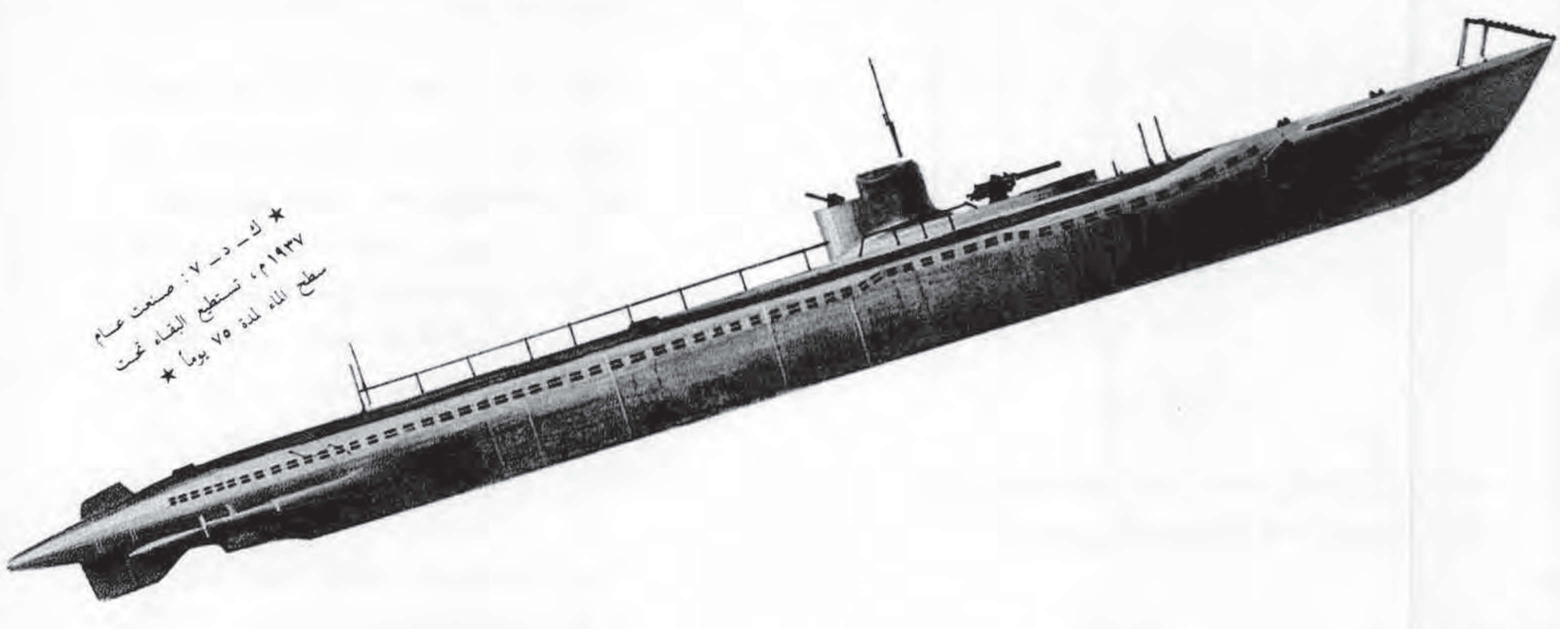
★ أرجونوت : غواصة أمريكية طراز عام ١٨٩٨ م ، كانت مزودة بعجلات تسير بها على قاع المحيط ★



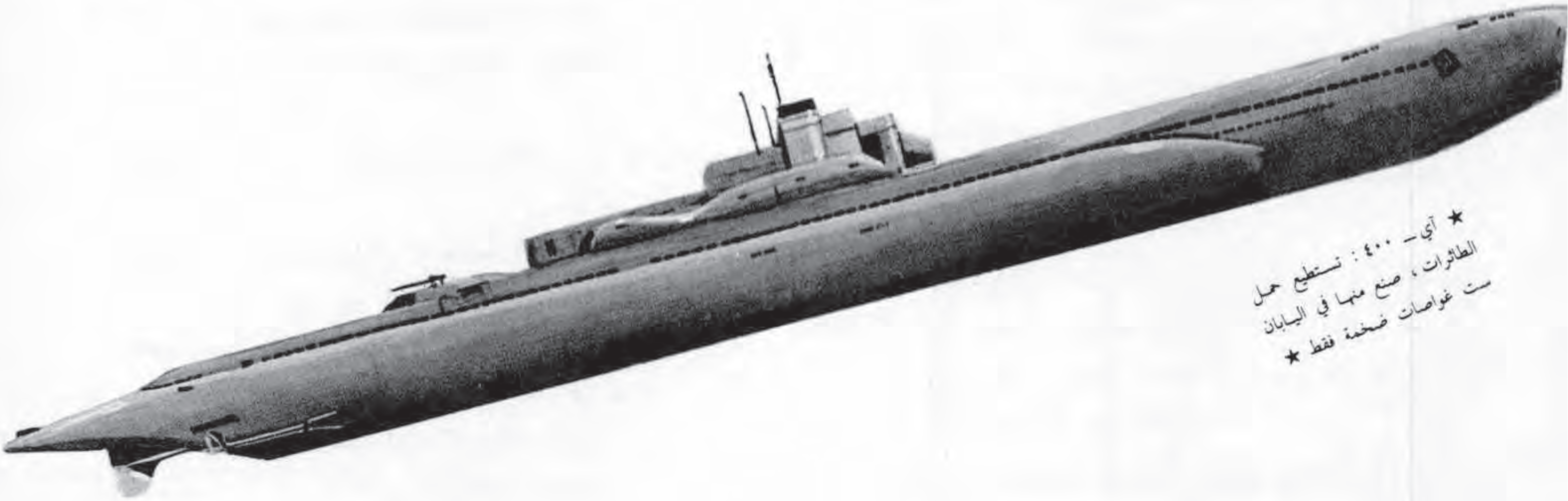
★ دلفينو : أول غواصة إيطالية بمحرك « فيات » طراز عام ١٩٠٣م ★

ومرة أخرى تفحّص زاده العلمي . . أعاد ترتيب أفكاره عن الغوص ، وكثافة المعادن ، وتفريغ الماء في الماء ، وضغط الماء ، والطفو ، و . . و . . إلخ ، فاكتشف أن احتياجاته للغوص تحت سطح الماء هي أقل كلفة وجهداً من احتياجاته للانطلاق في الفضاء الفسيح ، فكانت محاولاته لصنع مركبة الغوص : **الغواصة .**

في الإغريق القديمة اكتشف « **أرشميدس** » قوانين الأجسام الطافية ، أو قوانين الطفو . وهي ذات القوانين التي استوعبها الإنسان من قبل أن يشرع في بناء مركبة الغوص . . أي **الغواصة** . ذلك أنه **لكي يغوص جسم ما في الماء ، فلا بد أن يكون وزن هذا الجسم أكثر ثقلاً من وزن الماء الذي يطرده من الإناء كلما غاص في الماء .** وأيضاً ، **لكي يطفو هذا الجسم من أعماق الماء إلى سطحه ، فلا بد أن يصبح وزنه أخف من وزن الماء الذي يحل محله طوال حركته من العمق إلى السطح .**



★ ك ــ د ــ ٧ : صنعت عام ١٩٣٧م ، تستطيع البقاء تحت سطح الماء لمدة ٧٥ يوماً ★



★ آي ــ ٤٠٠ : تستطيع حمل الطائرات ، صنع منها في اليابان ست غواصات ضخمة فقط ★

الغواصة .. ما هي ؟

ورد **بقاموس أوكسفورد المصور** أن « الغواصة هي المركبة ــ الحربية غالباً ــ التي تستطيع الغوص والإبحار تحت سطح الماء ، والتي تستخدم في نقل وإطلاق قذائف الطوربيد والصواريخ وغيرها » .

والغواصات تختلف من حيث الحجم الذي يترتب عليه اختلاف الاستعمال . فالغواصات التي يبلغ وزنها عدة آلاف من الأطنان ، يمكن استخدامها كسفن حربية ، وذلك بقدرتها على السفر ــ على أعماق وإلى مسافات بعيدة ــ تحت سطح الماء .. الأمر لذي يترتب عليه صعوبة اكتشاف العدو لها .

والغواصة تبنى على هيئة الأسطوانة ، أو « السيجار » ، ويعلوها ــ من المنتصف تقريباً ــ « برج المراقبة » الذي يضم « الجسر » ، وهو ذلك الجزء العلوي من الغواصة الذي يستخدم ويظهر عند إبحار الغواصة فوق سطح الماء . أيضاً يضم « الجسر » القمرة التي يتواجد بها طاقم الغواصة .

الغواصة .. وكيف تعمل

تعتمد فكرة تشغيل الغواصة ــ بالتطبيق لقوانين الطفو عند أرشميدس ــ على مبدأ بسيط للغاية .

ذلك أنها تتكون من جسمين ، أو هيكلين ، أحدهما في داخل الآخر . وفي الفراغ الموجود بين هذين الجسمين يوجد عدد من الخزانات . إذا ملئت هذه الخزانات بالماء ، فإن الغواصة تنفذ إلى أعماق البحار أو المحيطات . على أن سرعة الغوص ، ومدى العمق الذي تبلغه الغواصة ، يعتمدان على كمية المياه التي تمتلئ بها خزانات ما بين الهيكلين ، وهو أمر يمكن التحكم فيه بسهولة .

أما عندما يتم تفريغ تلك الخزانات من الماء وتعود إلى سابق امتلائها بالهواء ، فإن الغواصة ترتفع إلى سطح الماء من جديد ، ومن ثم تكون حركتها عليه كحركة سفينة عادية تمخر عباب البحر ، أو تتهادى على موجه الساكن الوديع . وبالطبع يجرى تفريغ الخزانات من الماء بواسطة

الهواء المضغوط الذي تعتبر هذه الوظيفة من مهامه الأولى .

الجدير بالذكر أن خزانات مياه الشرب ، والوقود ، والزيت ، توجد فيما بين الهيكلين هي الأخرى ، ولكنها تكون منفصلة عن خزانات المياه التي تستخدم في غوص الغواصة .

ولقد كان الهيكل الداخلي للغواصة ينقسم ـ فيما مضى ـ إلى عدد من المساحات التي يخصص جزؤها الأول لسكنى طاقم الغواصة ، والثاني ـ كما سبقت الإشارة ـ لخزانات المياه والوقود والزيت ، والثالث تشغله تلك الخزانات التي تتحدد وظيفتها في الحفاظ على التوازن الأفقي للغواصة ، وذلك بمساعدة الزعانف والدفات الرأسية والأفقية المثبتة على طرفي الغواصة .

وأما بالنسبة لعملية **التهوية داخل الغواصة** ـ واللازمة لتنفس طاقم الغواصة ـ فإن عدداً من السلندرات يقوم بتحريك جزء من الهواء المضغوط ـ الذي تمتلئ به بعض الخزانات ويستخدم في طرد مياه الغوص إلى خارج الغواصة ـ في أنابيب تغطي الفراغات التي يحتمل أن يتحرك بها أو يتواجد أفراد الطاقم .

هذا ، والغواصة التقليدية تستخدم ـ في تسييرها ـ نوعين من المحركات :

● **أولهما ـ محرك الديزل :** وتستخدمه الغواصة في سيرها فوق سطح الماء ، وهذا النوع من المحركات يحتاج في تشغيله إلى الهواء .

● **وثانيهما ـ المحرك الكهربائي :** ويعمل بالبطاريات ، ومن ثم لا يحتاج تشغيله إلى الهواء . بيد أن هذا النوع من المحركات ـ الذي تستخدمه الغواصة طوال وجودها وتحركها تحت سطح الماء ـ يستهلك البطاريات بسرعة ، ومن ثم تصبح الغواصة في احتياج دائم لتجديد الشحنات في بطارياتها . وهي عملية لا يمكن إنجازها إلا إذا طفت الغواصة فوق سطح الماء ، وذلك لأن المولد الكهربائي الذي يقوم بها يعمل بالديزل ، ومن ثم يحتاج هو الآخر إلى توفر الهواء .

وحيث إن هذه العملية تستغرق فترة طويلة من الوقت ، فإن الغواصة تكون ـ خلالها ـ في أفضل أوضاع تعرضها للهجوم السهل من قبل الأعداء . . وتلك سلبية كبرى تحسب على الغواصات التي تستخدم هذا النوع من المحركات .

الغواصة في سطور

●● **أول غواصة فعلية** ـ حسب بعض المراجع ـ هي التي صنعها الهولندي «**كورنليس فان دربيل**» في عشرينات القرن السابع عشر الميلادي .

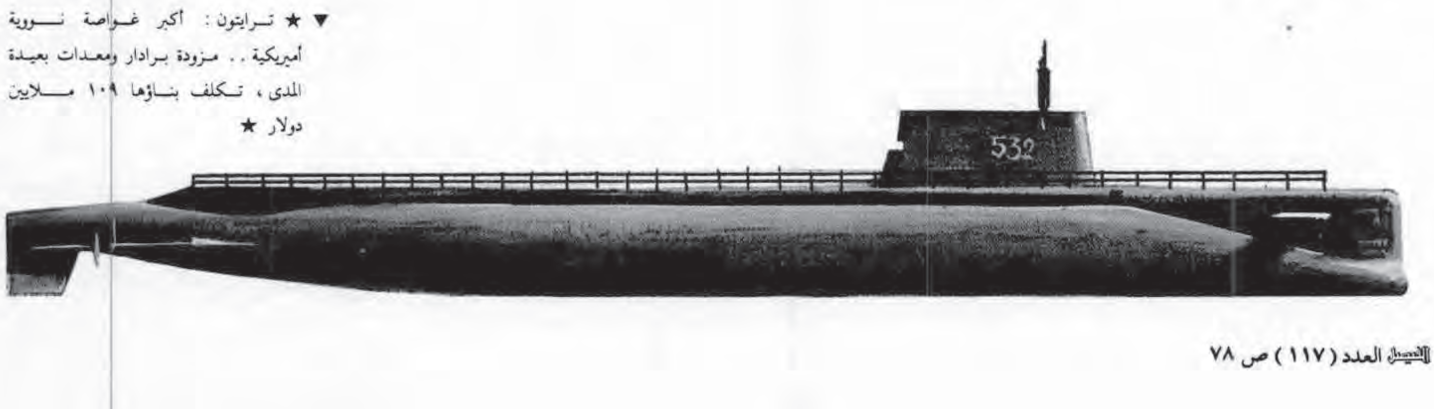
●● ظهرت ـ في عام ١٧٢٧م ـ طريقة جيدة للغوص إلى أعماق الماء والعودة إلى سطحه مرة أخرى ، وذلك بربط عدد من الأكياس المصنوعة من جلد الماعز إلى جانبي السفينة . فإذا ما سمح لتلك الأكياس بالامتلاء بالماء فإن السفينة تغوص إلى الأعماق . وإذا ما أريد العودة بالسفينة إلى سطح الماء يُطرد الماء من تلك الأكياس بواسطة قضيب حلزوني .

●● أول غواصة ـ حسب ما تقول به **موسوعة نيوكاكستون** ـ هي التي بناها الأميركي «**ديفيد بشنيل**» . وقد استخدمت ـ عام ١٧٧٦م ـ في الهجوم على بارجة بريطانية كانت ترسو على رصيف ميناء نيويورك ، لكن الهجوم لم يحقق أهدافه .

●● توافق «**موسوعة بيرنلز الموجزة في العلوم**» على قول «موسوعة كاكستون» ، وتضيف بأن أول استخدام للغواصة كان في الثورة



▲ ★ جورج واشنطون : غواصة أميركية طراز عام ١٩٥٩م ، مزودة بصواريخ مداها ١٥٠٠ ميل ★



▼ ★ ترايتون : أكبر غواصة نووية أميركية . . مزودة برادار ومعدات بعيدة المدى ، تكلف بناؤها ١٠٩ ملايين دولار ★

الأميريكية (من ١٧٧٥ إلى ١٧٨٣م) ، وبأنها ظهرت ـ فيا بعد ـ **في الحرب الأهلية الأميريكية** (من ١٨٦١ إلى ١٨٦٥م) .

●● أنتج الأميريكي **«روبرت فلتون»** ـ في عام ١٧٩٧م ـ غواصة ، وقدمها إلى **نابليون بونابرت** لكي تشتريها منه فرنسا . وبعد تجربتها في مياه **نهر السين** ، رفض الفرنسيون شراءها ، فاتجه بها «فلتون» إلى بريطانيا محاولا بيعها هناك ، لكنه أخفق أيضاً .

●● شهد القرن التاسع عشر الميلادي ـ على امتداده ـ محاولات فردية لإنتاج الغواصات في كل من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأميريكية . . وكلها محاولات غير مرضية النتائج . وفي هذا يقول بعض المؤرخين إن السبب راجع إلى عدم اختراع السلاح الهجومي الذي تستطيع الغواصة استخدامه .

●● مع بداية القرن العشرين الميلادي ظهرت **غواصات مجهزة بالطوربيد** ، وكانت الغواصة الواحدة تحمل من ٢ إلى ٤ طوربيدات . ولقد كان السبب في عدم زيادة الطوربيدات عن أربعة راجعاً إلى الكفاءة المحدودة للوحدات الكهربائية بتلك الغواصات .

●● مع بداية القرن العشرين الميلادي أيضاً ظهر **«الزيت الثقيل»** الذي يستخدم في تشغيل محركات الديزل . وقد أدى هذا الاكتشاف إلى التخلص من واحدة من نقاط الضعف التي كانت الغواصات ـ في تلك الفترة ـ تعاني منها ، ألا وهي كثرة حدوث الانفجارات واندلاع الحريق في الغواصات .

●● في عام ١٩٣٩م ، بلغ الحد الأقصى لفترة بقاء الغواصات الكبرى تحت سطح الماء ستاً وثلاثين ساعة .

●● **حدث ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ تطوران هامان ساعدا على زيادة طاقة الغطس عند الغواصة وهما :**

١ ـ انبوبة التنفس طراز «شنوركيل» : وهي التي ساعدت على شحن بطاريات محركات الغواصة ، دون الحاجة لرسوها لفترة طويلة فوق سطح الماء لشحن بطارياتها .

٢ ـ محرك بروكسيد الهيدروچين : الذي استطاع ـ برغم كونه توربين الاحتراق الداخلي الهام ـ أن يستخدم الأوكسجين ، وأن يوفره في الهواء الداخلي للغواصة . ولقد كان أول ظهور لهذين الاكتشافين في الغواصة البريطانية «إكسبلورر» في عام ١٩٥٦م .

●● تعتبر الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، بمثابة الفرصة التي أثبتت فيها الغواصة صلاحيتها لتجاوز وضعها كمجرد سفينة تستطيع الغوص تحت سطح الماء . تحقق هذا من خلال جوانب **التطوير** المتعددة التي أدخلت عليها ، والتي ضمنت لها ـ في النهاية ـ القدرة على الغوص تحت سطح الماء لمدة أسابيع أو شهوراً عديدة .

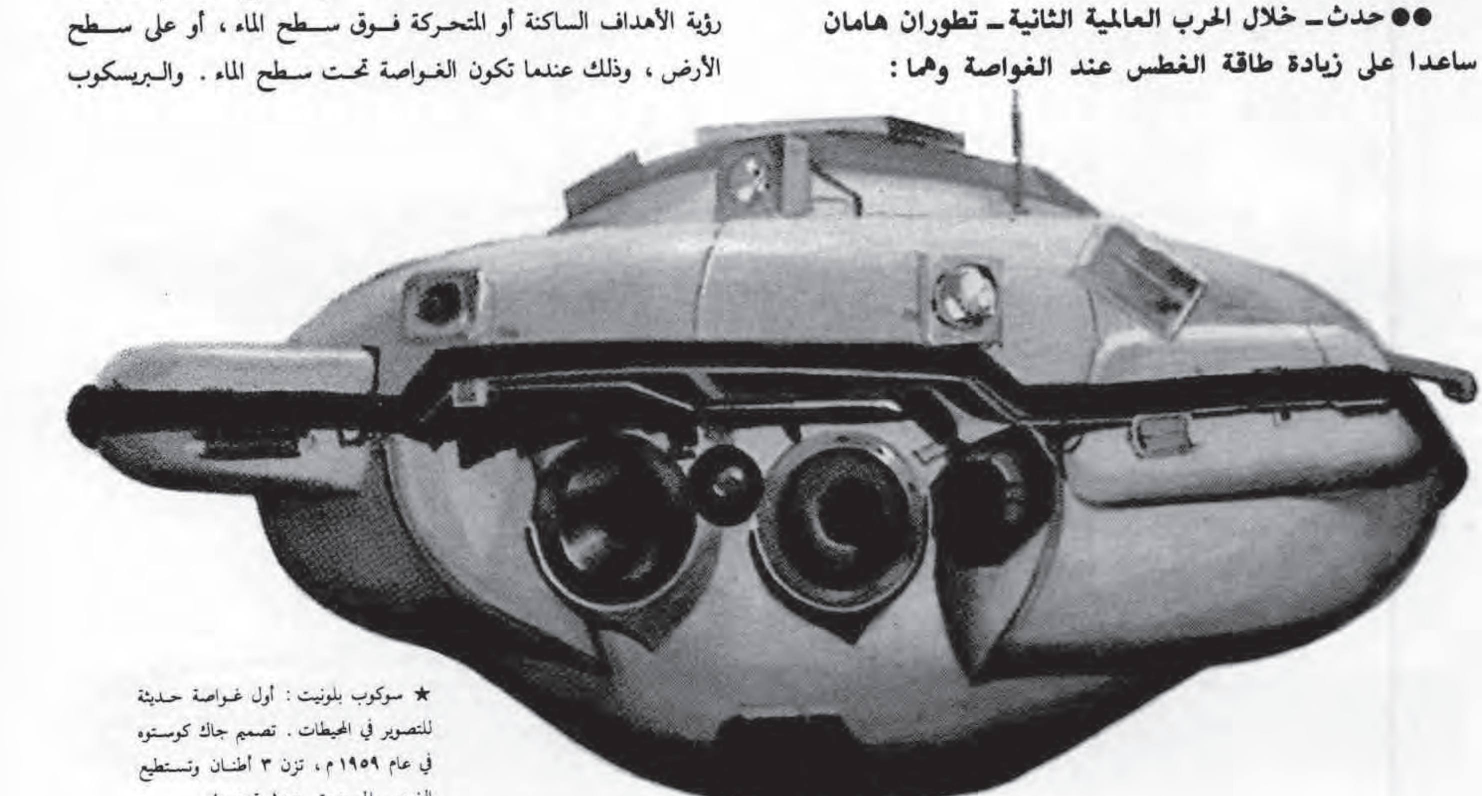
إن هذا الإنجاز يعني تمتع الغواصة بالقدرات التالية :

أ ـ استخراج الأكسجين النقي ، اللازم لتنفس طاقم الغواصة ، من ماء البحر .

ب ـ تزويد الغواصة بالماء الصالح للشرب عن طريق قدرتها على تحلية ماء البحر .

جـ ـ التخلص من الغازات الضارة والمتخلفة عن عمليات الاحتراق والتنفس التي تتم داخل الغواصة .

●● **«البريسكوب» :** هو الجهاز الذي يستطيع به طاقم الغواصة رؤية الأهداف الساكنة أو المتحركة فوق سطح الماء ، أو على سطح الأرض ، وذلك عندما تكون الغواصة تحت سطح الماء . والبريسكوب



★ سوكوب بلونيت : أول غواصة حديثة للتصوير في المحيطات . تصميم جاك كوستو في عام ١٩٥٩م ، تزن ٣ أطنان وتستطيع الغوص إلى عمق ١٠٠ قدم ★

عبارة عن أنبوب تليسكوبي تعتمد الرؤية بواسطته على انعكاس الضوء فوق عدد من المنشورات الزجاجية ، بالإضافة إلى عدم نفاذ الماء منه .

●● في عام ١٩٥٥م ، أنتجت الولايات المتحدة الأميركية الغواصة «**توتيلوس**» لتكون **أول غواصة تعمل بالطاقة الذرية .**

●● في مايو (أيار) عام ١٩٦٠م ، أنتجت الولايات المتحدة الأميركية الغواصة الذرية «**تريتون**» .

●● تستطيع الغواصات الذرية ـ في الوقت الراهن ـ أن تحمل صواريخ بعيدة المدى ، وأن تصيب بها أهدافاً على سطح الأرض أو فوق سطح الماء أثناء اختبائها على عمق كبير تحت سطح الماء .

الغواصة والبحر والعلم

يتضح لنا ، مما سبق ، أن الغواصة هي سفينة حرب بالدرجة الأولى . بيد أن البحوث والنظريات الجديدة ـ في مجالات علوم البحار واستخدام الطاقة النووية في الأغراض السلمية ـ تؤكد انفتاح أبواب جديدة ومجالات استخدام مرتقبة للغواصة في علوم البحار في المستقبل القريب .

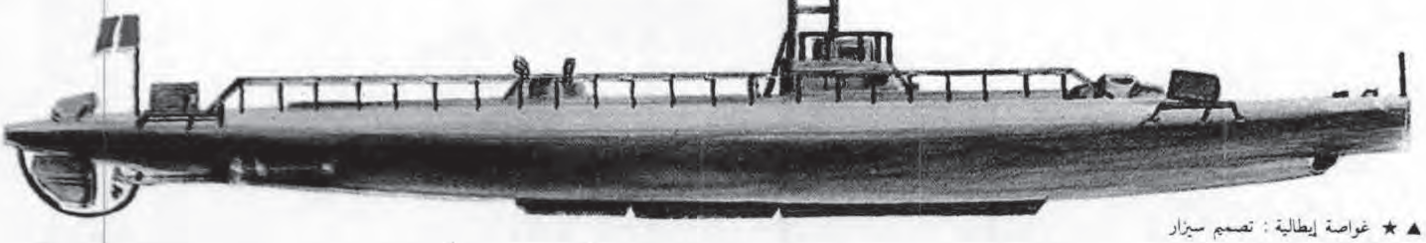
إن بحوث وتكنولوجيا الفضاء قد وثبت خطوات جسورة على طريق التقدم . . خطوات نقلت يوم وقوف الإنسان على أرض القمر من كونه مجرد ساحة لتأملات الشعراء وشطحات أدباء الخيال العلمي إلى حيث أصبح مساحة محددة المعالم لواقع ملموس رآه العالم كله حقيقة مادية واضحة أمام ناظريه . وإذا كان الإنسان قد رأى هذه الحقيقة رأي العين ، فإن هذا الإنسان ذاته ـ الطموح دائماً ، الباحث عن الجديد أبداً ـ راح يهبط بعينيه إلى سطح الماء . . بل وإلى أبعد مما تستطيع الغواصات النووية أن تبلغه من أعماق المحيط . أجل ، هو أرض المحيط ، وقاع البحر ، الموطئ التالي لقدم الإنسان من بعد تحليقه في الفضاء ووقوفه على سطح الأرض .

ذلك أن علماء البيئة والغذاء والسكان ، كلٌ في تخصصه ، يصرون على القول بأن الثروات وإمكانات الحياة المستقبلية كامنة كلها في أعماق البحار . . الأمر الذي يجعل الغواصة هي المرشح الوحيد ـ تقريباً ـ للنهوض بالجزء الأكبر من أعباء وتجارب وإنجازات ومشروعات علوم أعماق البحار خلال السنوات القليلة القادمة .

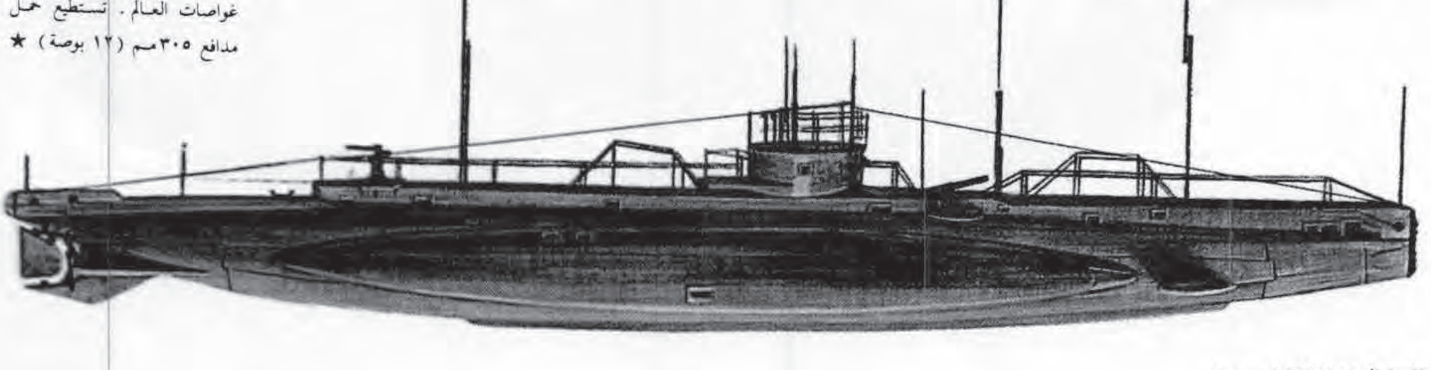
الغواصة . . أو الحرب

لا تزال الغواصة هي السفينة الحربية الغائصة تحت سطح الماء . . الخطر المتربص في أعماق البحر ، الذي يصلي الأهداف البحرية والبرية والجوية بلهيب نيرانه ، فينقلب السطح الساكن لماء البحر أو المحيط بركاناً مائياً رهيباً ، لا يكاد الإنسان يفيق من هول مفاجأته حتى تكون قذائف البحر / أرض ، أو البحر / بحر ، أو البحر / جو ، قد شقت صفحة الماء وأهالت مبنى بالساحل ، أو أغرقت سفينة حربية ، أو أسقطت طائرة .

وهكذا ، استطاعت الغواصة ـ بعد أقل من نصف قرن من تأكيد قدرتها على الغوص والقتال ـ أن تحتل مكانها بين قطع سلاح البحرية في القوات المسلحة بكافة دول الأرض . . سلاحاً يتمتع بقدر متميز من القدرة على إثارة الذعر وإلحاق الضرر بالخصم وإخلال الميزان التقليدي للقوى في المعارك الحربية . فإذا كانت الطائرة والصاروخ الموجه ينقضان على الأهداف من الجو ، فها هي الغواصة ترسل قذائفها من تحت سطح الماء ، فيصبح العالم وكأنه فريسة وقعت بين ذراعي مقص الدمار الرهيب هذان .



▲ ★ غواصة إيطالية : تصميم سيزار لورنتي . استخدمت في الحرب العالمية الأولى ★



▼ ★ غواصة بريطانية : من أكبر غواصات العالم . تستطيع حمل مدافع ٣٠٥مم (١٢ بوصة) ★

في الحرب العالمية الأولى

ورد في كتاب « **السفن الحربية في الحرب العالمية الأولى** » لمؤلفه « **أنطوني بريستون** » كشف بعدد السفن الحربية التي شاركت في معارك تلك الحروب ، الذي يصل إلى حوالي ٣٧٤ سفينة حربية ، موزعة كالآتي :

● بريطانيا العظمى (٩٥) ● ألمانيا (٦٦) ● الولايات المتحدة الأميركية (٥٨) ● اليابان (٣٨) ● فرنسا (٣٥) ● روسيا (٢٧) ● النمسا والمجر (٢٠) ● إيطاليا (١٨) ● تركيا (٥) ● اليونان (٧) ● البرازيل (٥) .

هذا ، والثابت أن نسبة كبيرة من هذه السفن الحربية قد استخدمت زوارق الطوربيد وقذائفه ، سواء منها ما كان انطلاقه من تحت سطح الماء أو من فوقه . لكننا نكاد لا نعثر على إشارة واضحة في الكتاب إلى استخدام الغواصة كسلاح حربي له فعاليته في معارك الحرب العالمية الأولى ، وإن كنا نصادف في الجدول التالي الذي يوضح أسماء وجنسيات السفن الحربية التي أغرقتها الغواصات في تلك الحرب والتي يمثل عددها نسبة ٢٥ ٪ من إجمالي السفن الغارقة في الحرب العالمية الأولى :

مسلسل	اسم السفينة	جنسيتها	تاريخ غرقها
١	موديه	تركية	١٩١٤/١٢/١٣ م
٢	فوميدابل	بريطانية	١٩١٥/١/١ م
٣	ماجستيك	بريطانية	١٩١٥/٤/٢٧ م
٤	تريومف	بريطانية	١٩١٥/٥/٢٥ م
٥	جيريدين بارباروسا	تركية	١٩١٥/٨/٨ م
٦	سوفرين	فرنسية	١٩١٦/١١/٢٥ م
٧	جيلواه	فرنسية	١٩١٦/١٢/٢٧ م
٨	كورمواليس	بريطانية	١٩١٧/١/٩ م

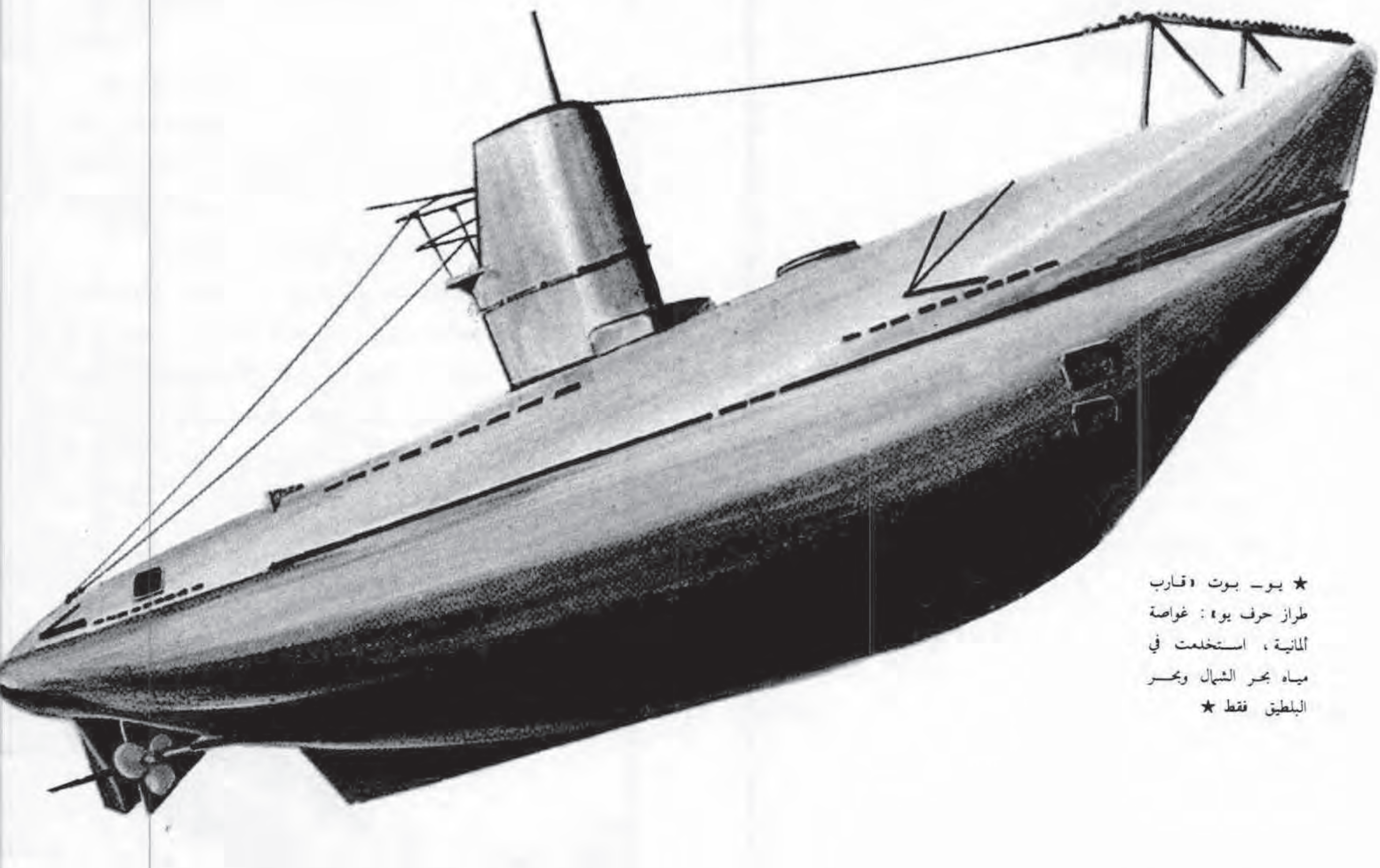
.. وفي الحرب العالمية الثانية

تمثلت التطويرات والتحسينات الجديدة ، التي أدخلت على صناعة الغواصة ، في أن أصبحت الغواصة سلاحاً معروفاً ويعتمد عليه ــ إلى حد كبير ــ في المعارك الحربية . وبالتالي ، تغيرت تكتيكات العمليات الحربية البحرية .

فقد أصبحت السفن الحربية تتحرك دائماً تحت حماية ستار من الطائرات المقاتلة ، لأنها ــ أي الطائرات ــ ستكون أسرع استجابة وتحركاً في مواجهة أي ظهور مفاجئ للغواصة سواء بجسمها أو بقذائفها .



★ جاتو : غواصة أميركية ، اشتركت في محاربة اليابان في مياه المحيط الهادي ★



★ يو ـ بوت «قارب طراز حرف يو» : غواصة ألمانية ، استخدمت في مياه بحر الشمال وبحر البلطيق فقط ★

أيضاً ظهرت القذائف والألغام البحرية التي تنطلق من السفن أو من الطائرات لكي تنفجر عند أعماق معينة تحت سطح الماء ، بالإضافة إلى التطويرات التي شملت أجهزة الرادار والتنصت . . الأمر الذي أدى إلى سهولة إمكان اكتشاف الغواصة حالة وجودها في عمق البحر ، وتحديد العمق الذي تتحرك فيه ، بل وموقعها بالضبط من الأعماق ، ومن ثم يسهل توجيه الضربات المؤثرة إليها .

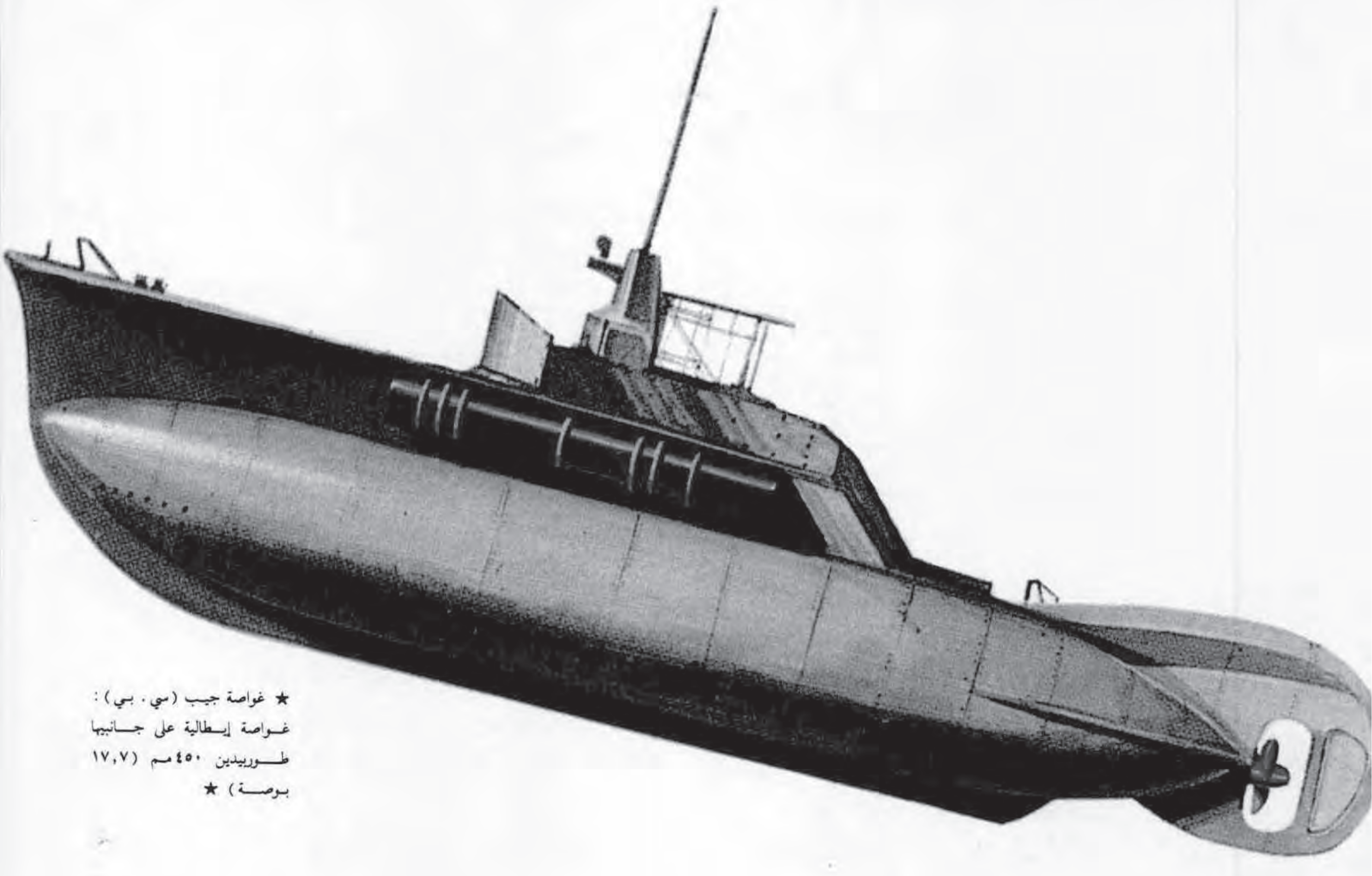
وأما بالنسبة لحماية شواطئ الموانئ من تسلل الغواصات إلى مياهها ، فقد أمكن التوصل إلى إقامة شبكات من الصلب عند مداخل الموانئ ، وعلى أعماق كبيرة تحت سطح الماء ، مع تركيب أجهزة الإنذار والرادار عليها لكشف الغواصة المتسللة .

الجدير بالذكر أن كل هذه الاكتشافات والاحتياطات لم تؤد البتة إلى النيل من قيمة الغواصة باعتبارها سلاحاً بحرياً يتمتع بقدرة متميزة على إثارة الذعر وإلحاق الأضرار الجسيمة بمنشآت وآليات وأفراد العدو .

هذا ، ومع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية كان عدد السفن التي أغرقتها الغواصات الأميريكية في المحيط الهادي ٦٢٥ سفينة يابانية . وأدى ذلك إلى تطهير المحيط الهادي من السفن الحربية والتجارية التي تحمل العلم الياباني . كذلك أغرق الأميريكيون ـ في نفس المحيط ـ ١٨٩ سفينة أخرى لقوات المحور . وفي المحيط الأطلنطي والبحر الأبيض المتوسط أغرقت الغواصات الألمانية (والإيطالية) ٢٨٢٨ سفينة تجارية و١٨٧ سفينة حربية وأزهقت أرواح حوالي ٤٠٠٠٠ نسمة ، من قوات الحلفاء . وتجدر الإشارة إلى أن الألمان كانوا قد بنوا حوالي ١١٥٨ سفينة حربية تحطم منها في تلك الحرب ٧٨٣ سفينة وقتل فيها ٣٢٠٠٠ شخص .

سلاح الغواصة : الطوربيد

الطوربيد عبارة عن صاروخ آلي التشغيل ، يتميز بالانطلاق وإصابة الهدف تحت سطح الماء ، مستخدماً في ذلك نظام التوجيه الذاتي لديه ، الذي يساعده على اكتشاف الهدف الموجه إليه . ويبلغ طول الطوربيد



★ غواصة جيب (سي . بي) : غواصة إيطالية على جانبيها طوربيدين ٤٥٠ مم (١٧,٧ بوصة) ★

سبعة أمتار ، وطول قطره ٥٣ سنتيمتراً ، ووزنه حوالي ١/٢ ١ طن ، وتشغل العبوة المتفجرة حوالي ١/١٠ حجم الطوربيد فقط ، وتوجد في مقدمته .

ولقد اخترع الطوربيد ـ في الأصل ـ لإصابة الأهداف الطافية فوق سطح الماء ، كالسفن التجارية والحربية . وفي السنوات الأخيرة ، طرأت تطورات ملحوظة على صناعته تمثلت في إنتاج الطوربيد الموجه بالصواريخ الذي يستخدم لإصابة الغواصات ، كما تستطيع السفن الحربية استخدامه هي الأخرى . وهذا الطوربيد يستطيع ـ فور إطلاقه ـ الخروج من الماء والوصول إلى مسافات بعيدة في الغلاف الجوي ثم العودة إلى الماء وإصابة الهدف على أعماق كبيرة تحت السطح .

وأول من صنع الطوربيد هو النمساوي « **لوبيس** » . لكنه لم يحقق نجاحاً ملحوظاً . عندئذ حمل « لوبيس » تصميمات طوربيده إلى « **روبرت هوايتهيد** » الذي قام بتنفيذه حيث أصبح الطوربيد صالحاً للعمل ولكن في حدود ضيقة من حيث المدى والسرعة والطاقة التفجيرية . وفي عام ١٨٦٩ م ، وصلت إلى أسماع البحرية البريطانية أنباء بمنتج « هوايتهيد » الجديد ، فبعثت إليه بلفيف من ضباطها لمعاينة الاختراع ، ومن ثم وجهت إليه الدعوة لزيارة إنجلترا وبصحبته الطوربيدات التي قام بإنتاجها ، وذلك لبحث إدخال التحسينات اللازمة عليها فوافق بذلك .

هذا ، ومع بداية القرن العشرين أمكن إدخال تحسينات عديدة على صناعة الطوربيد ، تمثلت في المدى والسرعة والطاقة التفجيرية . . . إلخ . . الأمر الذي جعل من الطوربيد التسليح الأمثل للغواصة . جدير بالذكر أن التطوير والتجديد يلازمان صناعته حتى الآن .

المراجع

1 – Encyclopedia Britanica .
2 – The New Juniar World Encyclopedia .
3 – Purnell's Concise Encyclopedia of Seience .
4 – The New Caxton Encyclopedia .
5 – How Things work (The Universal Encyclopedia of Mechanics) .

ذكريات صغيرة

شعر: إبراهيم عيسى

... وما زلتُ أذكر حين التقَيْنا　　صغيرَيْن في شاطئ الجدول
ومالت علينا ظلالُ الغصونِ　　كأني بَنَيْتُ بها منزلي
ونُرسل للماء سيقاننا　　كطفليْنِ في مَرَح سَلْسَلِ
نُداعبُ أمواجَهُ العابثاتِ　　ونضحك حُبًّا ... ولم نَحْفِلِ
فتحبو إلينا ... وتحنو علينا　　وتهمس للشاطئ المُخْمَلي
ونَرْحَلُ فوق جَنَاح المُنى　　وذِكْرُكِ في الموج لم يرحلِ
صغارٌ نعيش بحُلْم الكبار　　وأهمس : يا حُلْوتي أنتِ لي
ونَبْني من الرمل بيتاً صغيراً　　وأقرأ في الرمل مستقبلي
ويُصْغي الرَّبابُ لأحلامنا　　ويعزفُها غُنْوَةً للخَلي
مُجَنَّحَةً بعبير الشباب　　ورَقَّتْ كأُنشودَةِ البلبلِ
وقلتُ : أُحِبُّ الجمالَ الوَدُودَ　　فإنْ قلتُ : هاتي ، فلا تبخلي
فقالتْ : وعندي ينابيعُه　　فقلتُ : وفي شطِّهِ مَنْهلي
وأملأ أملأ كأسَ الحياةِ　　بكَفِّ المَشُوقِ ... فلا تَمْتَلي
وأهتف : يا واحَتي زَمِّليني　　بدفْءِ الهوى ... زَمِّلي زَمِّلي
فَتَلْتَفُّ في هالة من حياءٍ　　أراه على جفْنِها المُسْبَلِ
وكنا ابتساماً بثغر الحياة　　وكنا وكنا ... ولم نَسْأل

○ .. ○ .. ○

ودار الزمانُ وَعُدْتُ وحيداً　　إلى شاطئ الأملِ الأوَّل
أُفتِّشُ عن لهفتي في الرمال　　وفي الجدول الضاحكِ السلسلِ
فلم أَلْقَ غيرَ ابتسام الدموع　　ونَوْحَ الجفافِ على جدولي
فلا الرملُ يذكُر خَطْوي عليه　　ولا البيتُ باقٍ ... ولا أنتِ لي



إيقاع الحياة





هذه القرود نائمة !!

هل تخدع الحيوانات غيرها ؟ يقول عالم الحياة (ويليام هاميلتون William Hamilton) إن الكثير من الحيوانات ، بدءً بالخنفساء البسيطة إلى معظم الرئيسيات الراقية ، تستخدم المعلومات المضللة لتواجه سلوك غيرها من الحيوانات .

والخداع بشكل عام صورة سلبية موجودة في جميع المجتمعات الحيوانية والإنسانية ، ولكن يفرق الإنسان عن الحيوان بأنه بإمكانه أن يخفي كذبه وخداعه ولو إلى حين ، ويفضل كشف كذب وخداع الآخرين .

والقرود المسمّاة بالقرود البوم Owl Monkeys الصغيرة الأحجام ، التي تعيش في جنوب أميريكا والتي تتميز بوجود علامات ذات لون أبيض حول عينيها ، وجفون ذات لون معتم جداً تشابه لون بؤبؤ العين ، هذه القرود تنام مفتوحة العينين ، ولذلك تبدو عيونها أكبر وأوسع ما يمكن وهي نائمة ، وهذه العيون الواسعة الكبيرة تعطي عنها وعن المخلوقات الأخرى ، التي هي بحجم السنجاب ، انطباعاً بأنها أكبر حجماً من حقيقتها ، وهذا يفيدها في تخويف أعدائها .

ويقول عالم الحياة (كيبل ساندفيد) من معهد سميثونيان إن العيون هي أكثر شيء يوقع الرعب والفزع في نفوس الأعداء في عالم الحيوان ، والاستراتيجيات الدفاعية للعديد من الحيوانات تكون بجعل العيون تبدو أكبر وأوسع مما هي عليه .

ونشاهد في (الصورة الصغيرة) نهاية مؤخرة الخنفساء السلحفية التي تظهرها لتبدو وكأنها وجه حيوان مخيف قد يرهب أعداءها .

والحيوانات قد يخيفها منظر العيون المرعبة ، ولكن من الصعب جداً أن تخيف عيون الإنسان أحداً مهما كبرت وتوسعت ، وكمثال ، فإن تجار السجاد في تركيا يقولون إن صفقات مبيعاتهم التجارية من السجاد تزداد عندما يضعون على عيونهم نظارات سود . ويقول عالم الحياة الاجتماعية (روبرت تريفرس) إننا نحن البشر نخدع الآخرين ونخدع أنفسنا أيضاً ، وهذا ما لا تفعله الحيوانات ، وإنه ربما تطور خداعنا لأنفسنا ليخفي ردود فعلنا نحو أشياء لا نريدها أو لنخفي كذبنا ! .

اكتشافات علمية

اكتشافات علمية
اكتشافات علمية

حيوان
Animal

السمكة الشفافة .. كيف تستدل طريقها ؟

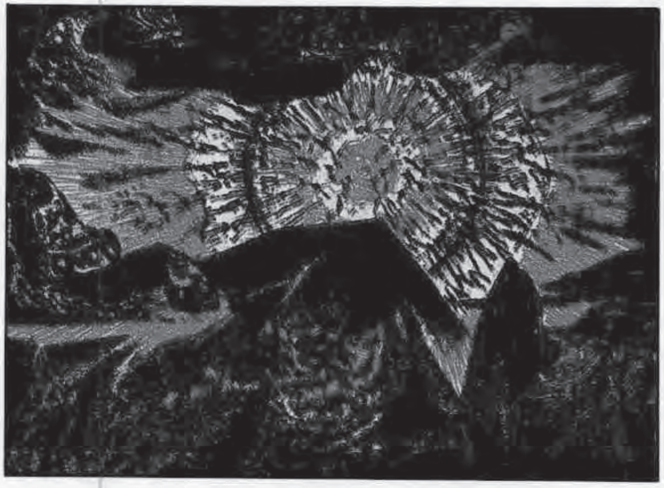
أجرى العالمان (**جاري روز** Gary Rose) ، و (**وولتر هيليجنبرج** Walter Heiligen-berg) من جامعة كاليفورنيا (**أمريكا**) ـ بمساعدة الكمبيوتر ـ دراسات وأبحاث جديدة على أسلوب حياة السمكة **المـُدية الشفافة** التي نراها في الصورة بحجمها الطبيعي ، والتي تسمّى علمياً بـ (Eigen-mannia) ، وذلك لمعرفة كيف تستدل هذه السمكة على طريقها في أماكن تواجدها في الأنهار والجداول المائية الأمريكية الجنوبية .

وقد تبيَّن للعالمين أن السمكة ترسل نبضات كهربية ضعيفة Weak electric impulses بمعدل من (٢٥٠ ـ ٧٠٠) نبضة في الثانية ، وترتد هذه النبضات بعد أن تصطدم بأي عائق أو جسم لتستقبلها خلايا متخصصة موجودة على طول جسم السمكة ، ثم لتنقل الآلاف من الألياف العصبية fibers Nerve المنتشرة داخل جسمها ارتداد النبضات الكهربية هذه إلى دماغها مباشرة ، وفي وقت واحد .

ويفسِّر الدماغ ارتداد النبضات الكهربية هذه إلى مدلولاتها ، ويعطي الأوامر إلى السمكة لتحيد عن طريقها أو

طاقة energy

اكتشاف هام .. الطين البدائي يخزن الطاقة



جزء من سحر الكائنات الحية يكمن في قدرتها على تخزين الطاقة ، لاستعمالها في استخدامات تالية . فالنباتات الخضراء تخزن الطاقة التي تستمدها من **أشعة الشمس** ، على شكل **كربوهيدرات** ، والنباتات والحيوانات تستخدم تلك الطاقة لتزوِّد بها الخلايا الحية .

وقد اكتشف العلماء في مركز أبحاث (**أميس**) التابع لوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) في (**كاليفورنيا**) بأن لدى (**الطين العادي**) قدرة أولية على تخزين ونقل الطاقة . ويعتبر

تقنية حيوية
Biotechnology

الأنترفيرون .. من دود الحرير

ماذا يجمع من صفات بين بكتيريا الـ (إيشريشيا كولي E. Coli) ، والخميرة Yeast ، ودود الحرير silk-worms ؟ .

الجواب ، إن الجميع يُستخدمون الآن كمضيفين hosts لإنتاج البروتينات النافعة لاصطناع الأدوية للإنسان ، وذلك من خلال التقنيات الوراثية المسماة بوصل الجينات – gene splicing .

ولكن بما أن البروتين الذي تنتجه بكتيريا الأيشريشيا كولي يجب أن يكون نقياً جداً ، وهذا بالطبع يكلف الكثير ، إضافة إلى وجوب تنقيته من بعض السمية الجانبية المؤثرة .



تستمر في اتجاهها، وذلك بحسب ما يعترضها من عوائق أو منافذ.

ويقول العالمان إن دماغ هذه السمكة **يحدد لها موقع أي جسم أو عائق في الماء بسرعة أكبر مما تعمل بها أدمغتنا البشرية التي تعين مكان الضجيج عادة، بعد ارتداد الأمواج الصوتية لآذاننا**. وبينما تلتقط آذاننا ترددات الأمواج الصوتية لحدود **(١٥) جزء من مليون من الثانية**، تستطيع السمكة أن تكشف عن النبضات الكهربية لحدود (٤٠٠) جزء من مليون من الثانية!.

ويقول العالم (روز) إنه رغم بساطة تركيب هذه السمكة إلا أنها تمتلك نموذجاً عملياً متطوراً جداً، وتسير في المياه وفق توجيه تقنية عالية المستوى.. وإن لله (سبحانه وتعالى) في خلقه شؤون.

★ ★ ★

هذا أكبر برهان يدعم النظرية القائلة إن «**الطين يلعب دوراً هاماً في نشأة الحياة على الأرض**»، وقد اكتشف فريق العلماء برئاسة عالمة الكيمياء **(ليليا كوين)** بأن الطين يخزن الطاقة من الإشعاع الشمسي الطبيعي الذي تقذف به الأرض على الدوام، وأنه يطلقها كضوء فوق بنفسجي Ultraviolet عندما (**يبتلّ**) بالماء، أو عندما **يجف** أو **يتشقق**، أو عندما **يُعالج** ببعض المركبات العضوية.

وهذا الاكتشاف الجديد يقدّم دعماً جديداً لنظريات العالم **(جراهام كيرنس ـ سميث)** الباحث في جامعة **غلاسكو (اسكتلندا)** الذي قال من قبل إن **الطين والجزيئات العضوية البدائية التي كانت توجد على الأرض عند نشأة الحياة كان يوجد بينها علاقة تكافلية تعايشية** symbiotic، وإن الطين ساعد بعض العضويات organics لتتجمّع وتتشكّل، وإن العضويات كانت تساعد على إضافة طبقات جديدة للطين.

ويضيف العالم (**سميث**) إلى ذلك قوله إن الجزيئات العضوية تعلمت وببراعة كيف (**تتناسخ ذاتياً**) وباستقلالية تامة، وبدأت تتشكل بنفسها.. وكانت نتيجة ذلك الحياة التي نراها اليوم.

واكتشاف العالمة (كوين) قد دعم نظرية العالم (سميث)، وذلك بعد أن حدَّد مصدر الطاقة الذي استطاع المساعدة على اصطناع العضويات أثناء جفاف وبلل البركة البدائية التي كانت على الأرض، (كما حدَّد هذا الكشف (**النقطة**) التي يمكن أن تكون الحياة قد بدأت منها).

ولكن.. إذا كان الطين (حيًّا) عند بداية الحياة، فهل هو ما يزال (حيًّا) حتى اليوم؟، تقول العالمة (كوين) إن هذا محتمل أيضاً..

ولكن إذا كان لكل طاقة حية، فيجب أن يقود هذا إلى وجود ثابت واضح.. ونشاهد في الصورة الأرض البدائية.

★ ★ ★



وبما أن الخميرة أيضاً مضيف خياري بديل، ولا تستطيع إنتاج البروتينات على الدوام، فإن الأنظار تتجه الآن إلى استخدام مضيف بعيد عن الأذهان تماماً، فقد استطاع علماء التقنية الحيوية اليابانيون، بعد تجارب كثيرة، إثبات أن **دود القز (الحرير)** يمكن أن ينتج بروتين **(الأنترفيرون)** بكميات وافرة وجذابة اقتصادياً.

لوحة وفنان

★ اللوحة : حلم شرقي ★

● أول ما يفاجئنا في هذا العمل هو اللون، فالأحمر هو اللون المسيطر، لذلك فإن الإحساس العام هو إحساس تجريدي بالمساحة، لكن سرعان ما تبدأ العين بالتجول، لتكتشف وتستوعب عناصر العمل.

● يلح الفنان على ضرورة التأمل الخالص للعمل الفني بذاته وليس ما يحيط به من قصة أو رواية. وهكذا يصبح العمل الفني بحد ذاته هو اللغة البصرية، حيث يتم التواصل الحقيقي بين التجربة الفنية للفنان وعين المشاهد المتلقي لها.

● كما أن الدخول للعمل يقربنا شيئاً فشيئاً من عناصر زخرفية تتداخل مع أشكال قوسية وتشكل مع خطوط رأسية وأخرى أفقية بناء معمارياً خاصاً. فالتوازن بين كتلة الأحمر الطاغية والمركز الأزرق يوحي بفضاء جمالي خاص.

● وفي الرؤية الأخيرة يمكننا الوقوف عند أشكال بشرية في أسفل العمل، تجعل لهذا الفضاء الجمالي معنى خاصاً ينتمي بزخارفه وأقواسه إلى مناخ ثقافي شرقي عربي. فالضوء المنبعث من الأحمر قد يوحي أحياناً بالفرح، وأحياناً أخرى بحس تراجيدي، والدلالات التعبيرية للخطوط والمساحات اللونية حاضرة ولها وقعها الموسيقي الذي يلف العمل بجو

★ الفنان: فؤاد أبوسعدة ★

● من مواليد عام ١٩٤٦م، في سورية، وهو خريج كلية الفنون الجميلة بدمشق عام ١٩٧١م.

● عضو نقابة الفنون الجميلة واتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

● يعمل أستاذاً للفنون التشكيلية بالجزائر منذ عام ١٩٧٥م.

● المعارض الشخصية:

★ معارض في صالة نقابة الفنون الجميلة بدمشق أعوام ١٩٧١، ١٩٧٣، ١٩٧٤م.

★ معرض في صالة المركز الثقافي العربي بدمشق عام ١٩٧٥م، ومعرض في فندق (كارلتون) ببيروت عام ١٩٧٥م، وفي (غاليري كونتومبوران) ببيروت في نفس السنة.

★ معرض في صالة اتحاد الرسامين الجزائريين عام ١٩٧٦م، ومعرض في صالة (الموغار) بعاصمة الجزائر عام ١٩٧٨م، ومعرض في صالة المسرح الوطني بمدينة قسنطينة عام



١٩٧٦م، وفي مدينة تيزي وزو عام ١٩٧٩م.

★ معرض في صالة المركز الثقافي الفرنسي بالجزائر عام ١٩٨٠م، ومعرض في المركز الثقافي الجزائري بالجزائر عام ١٩٨٢م، ومعرض في مركز الأمم المتحدة بمدينة فيينا بالنمسا عام ١٩٨٢م.

★ معرض في مدينة (روسس) بإسبانيا عام ١٩٨٤م، ومعرض في المركز الثقافي الإسباني بالجزائر عام ١٩٨٤م، ومعرض في صالة (غاليري كوندياك) بمدينة (بوردو) الفرنسية عام ١٩٨٠م.

● المعارض الجماعية:

★ معارض نقابة الفنون الجميلة بدمشق منذ عام ١٩٧٢م، ومعرض السنتين في بغداد عام



ينضوي على الكثير من طموحات الفنان لاستلهام التراث العربي الإسلامي وللتقدم باللوحة الفنية خطوة باتجاه فن عربي أصيل .

● أنجزت هذه اللوحة عام ١٩٨٤م ، وعُرضت في قاعة (محمد راسم) بعاصمة الجزائر ضمن نخبة من أعمال الفنان التي قدمت في معرض خاص به عام ١٩٨٥م .

١٩٧٢م ، ومعرض قاعة الأعمدة الأربعة بالجزائر عام ١٩٧٦م ، ومعرض الفن السوري المتجول بألمانيا الديموقراطية عام ١٩٧٩م ، ومعرض ملتقى سوق أهراس الدولي للفنون التشكيلية بالجزائر عام ١٩٨٣م .

★ اقتنت أعماله وزارة الثقافة السورية ، ونقابة الفنانين التشكيليين بدمشق ووزارة الثقافة الجزائرية والمتحف الوطني الجزائري . وتوجد أعماله كمجموعات خاصة في بلدان عربية وأوروبية عديدة .

العدسات  اللاصقة

إعداد : د. عبد الحكيم عامر سعد الدين

نصف السكان ، في كل بلد تقريباً يعانون من تشوهات بصرية ولكن ظهر من إحصاءات جرت في إنجلترا أن حوالي المليون فقط من سكانها يعتمدون على العدسات اللاصقة ، رغم حسناتها الجمة ، وخاصة القضاء على ضرورة تغطية وجهك بالنظارات العادية . فلماذا ؟ إذا كنت تفكر في استخدام هذه العدسات فإليك هنا كل ما تحتاجه من معرفة عنها . من الاستشارة الطبية التمهيدية ، إلى اختيار نوع العدسات الذي يلائمك .

أضف إلى ذلك أن هناك عدسات لاصقة ملونة يمكن استخدامها لأسباب تمويهية وتجميلية وذلك في حالة ما إذا كانت العين مصابة بندبة ، أو كانت معطوبة ، ويمكن استخدام هذه العدسات الملونة بنجاح على سبيل التمويه ، وكذلك إذا كانت ظلال إحدى العينين مختلفة عن ظلال الأخرى ، وهنا يجيء دور العدسات اللاصقة الملونة لتخفي هذا الاختلاف .

أما بالنسبة إلى **الأسباب التجميلية** إذا كانت ألوان العين فاتحة فبإمكان العدسات اللاصقة الملونة تغيير هذه الألوان تغييراً كلياً . ولكن هذا يصبح غير ممكن مع عينين داكنتي اللون .

وهناك عدسات لاصقة بألوان مختلفة ، تستخدم أكثر ما تستخدم لإحداث آثار تلوينية خاصة عند مشاهدة الأفلام السينمائية أو شاشة التلفزيون ، وهي متوفرة من الصنف الصلب والطري ، غير أنها أغلى بالطبع من العدسات اللاصقة العادية .

في **إنجلترا ٢٤** مليون شخص تقريباً يستعينون بهذه أو تلك من أساليب تصحيح عللهم البصرية . ومليون أو أكثر قليلاً فقط من هؤلاء يستخدمون العدسات اللاصقة . مع العلم بأن الحقيقة تتعارض كلياً مع الخرافات ومساوئ الفهم السائدة ، وهي تقول إن العدسات اللاصقة مريحة وسليمة ولا تتسبب في أي أضرار ، وفي إمكان معظم الأربع والعشرين مليوناً المعنيين أن يستخدموها وهم سعداء مطمئنون .

والعدسات اللاصقة عبارة عن أسطوانات صغيرة تسبح فوق صفحة الدموع في العين . وهي توصف إما بالصلبة وإما بالطرية ، غير أن التطورات الحديثة أنتجت منها أصنافاً جديدة من فئة العدسات الصلبة عادة . ويشار إليها بأنها من النوع الذي يسمح بتسرب الغاز أو الأوكسجين .

العدسات الصلبة

تصنع من أنواع عديدة مختلفة من مادة **البيرسبكس** وهي بنفس المقياس دائماً أو أصغر بقليل من القرنية (الجزء الملون من العين) ولا تكاد هذه العدسات ترى تقريباً ويصبح وضعها في مكانها مريحاً بعد فترة تأقلم تمهيدية ، وهي أقل ثمناً من العدسات الطرية وتستمر أكثر وتنظيفها أسهل ، كما أنها تستطيع توفير رؤية أفضل في بعض الحالات .

العدسات الطرية

وتصنع من مواد بلاستيكية تحبس في داخلها الماء الذي تصل نسبته إلى ما يتراوح بين ٤٠ و٦٠ في المئة عادة . غير أن النسبة ترتفع إلى سبعين بالمئة في بعض الأحيان . وهي أكبر من العدسات الصلبة إلى حد ما ، وينبغي حفظها في محلول خاص عندما تكون خارج العين ، وذلك لإبقائها مشبعة بالماء .

والعدسات الطرية ــ كما قلنا ــ أغلى من الصلبة وهي تريح أكثر عند بدء العمل بها . كما أن من الأفضل استخدامها إذا كان المعنيون ممن يمارسون الألعاب الرياضية .

نوع جديد

وهناك عدسات تسمح بتسلل الأوكسجين وهي عدسات صلبة تصنع من المواد المختلفة التي تم تطويرها حديثاً ، وهي تسمح لكمية معينة من الأوكسجين بأن تصل إلى العين ، هذه العدسات هي في العادة رقيقة ومرنة ، **كما أن استخدامها يوفر في المرحلة الابتدائية راحة تجاوز ما توفره العدسات الصلبة التقليدية** (لأن القرنية المحرومة من الأوكسجين قد تعطي نظراً تغلفه الغشاوة) . ومن هذه العدسات ما خرج إلى الأسواق منذ سبع سنوات ، في حين أن العمل بأصناف أخرى لم يبدأ إلا منذ سنتين فقط .

عدسات للاستعمال الطويل

إنها نوع خاص من العدسات اللاصقة . فيها نسبة عالية جداً من الماء . وهي كثيراً ما تبقى قيد الاستعمال على العين لفترات تصل

إحداها إلى شهر كامل ، وفائدتها أنها مثالية ، ليستعملها أولئك الذين يجدون صعوبة في وضع العدسات اللاصقة ورفعها من مكانها على العين ، كالمعاقين والصغار جداً والمتقدمين الطاعنين في السن . ولكن على الرغم من أنه بالإمكان ترك هذه العدسات في مكانها على العين لفترات طويلة ، ينبغي رفعها وتنظيفها في كل أربعة أسابيع تقريباً .

مع الطبيب

المقابلة الأولى مع طبيب العيون

تستغرق ما بين ساعة وساعتين في العادة . يسألك الطبيب خلالها عن أحوالك الصحية العامة ، وعن التاريخ الطبي لعينيك . إذ يستخدم بعض الأجهزة الخاصة لأخذ مقاييس العينين . ثم يعرض عليك أصنافاً مختلفة من العدسات التي تجربها واحدة بعد الأخرى للتعرف على مدى ملاءمتها للعين ، واختبار تفاعلك مع وضعها في مكانها . ثم يطلب منك الطبيب أن تبقي العدسات في مكانها من عينيك لفترة من الوقت ، حيث قد يقترح عليك الجلوس في غرفة الانتظار أو الذهاب في نزهة قصيرة . لأن الهواء النقي يساعد العدسات اللاصقة على الاستقرار في مكانها بمزيد من السهولة .

فإذا قررت بعد هذه المرحلة أن تستعين بالعدسات اللاصقة فسيطلب منك الطبيب دفعة تحت الحساب تتفاوت بتفاوت الأطباء المعنيين ، وبتفاوت أصناف العدسات المعنية ، ثم يطلب لك العدسات المختارة . أما إذا رأيت أن هذه العدسات ليست لك وقررت تناسي أمرها فيصبح عليك أن تدفع للطبيب تعريفته للمعاينة فقط .

استخدامها

تتسلم عدساتك اللاصقة في عيادة الطبيب ، وفي مقابلة تستغرق ساعة تقريباً ، يتأكد الطبيب خلالها من سلامة وضع العدسات على العين ، ويدقق في حالتك البصرية بعد وضعها . ثم يعلمك كيف تضع هذه العدسات ، وكيف تزيلها ، وكيف تنظفها . أما التكاليف فستشمل تعريفات المعاينات المعنية ، إلى جانب المراجعات اللاحقة ، وسيحدد لك الطبيب برنامجاً زمنياً لوضع هذه العدسات عليك أن تلتزم به . ذلك أنك لو وضعت العدسة لفترة تجاوز كثيراً ما حدده الطبيب فقد تعاني من نتائج مؤلمة بعد بضع ساعات ، حتى ولو ظلت راحتك متوفرة خلال فترة الارتداء الإضافية .

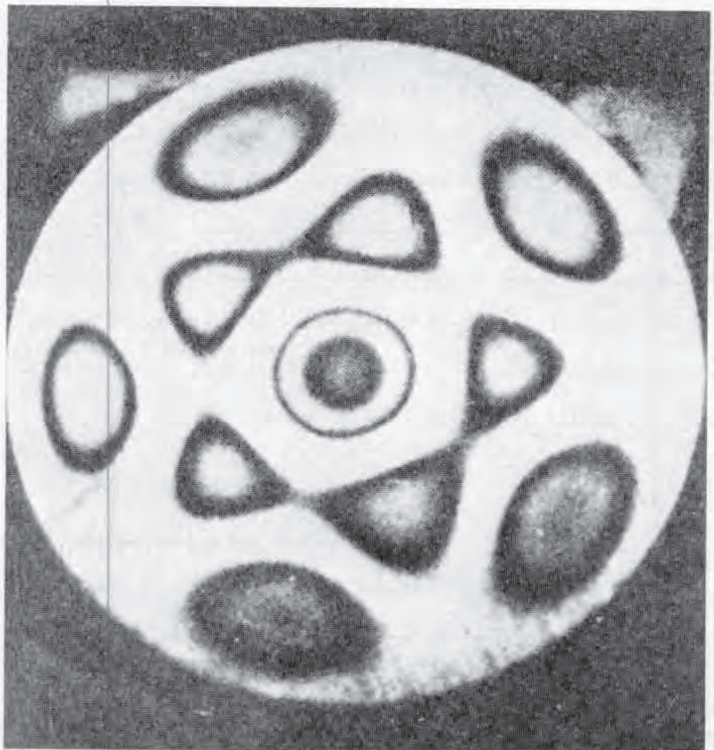
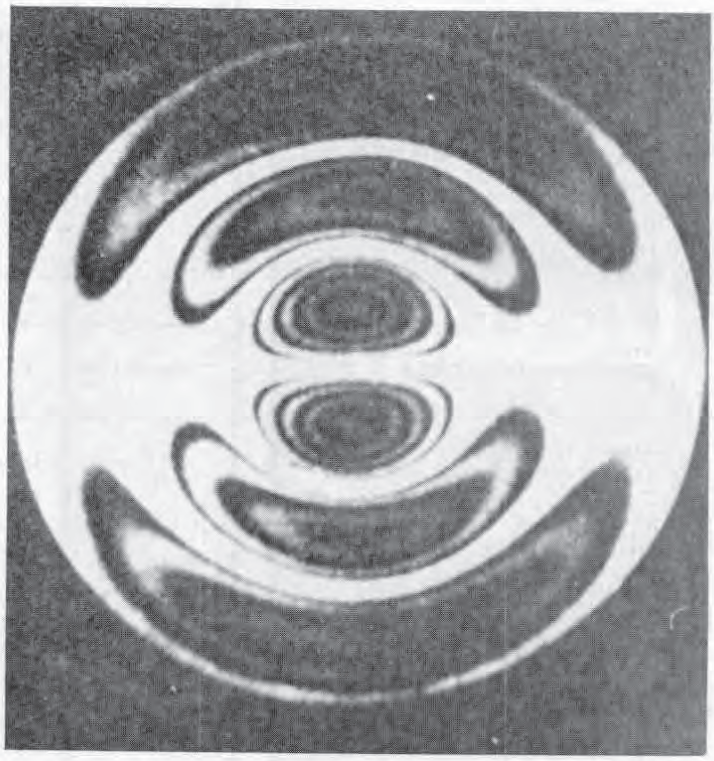
المعاينات اللاحقة

تستغرق الواحدة منها عشرين دقيقة تقريباً ، وعليك التقيد بها . فقد تتعرض لتعقيدات لا تعلم بوجودها . ثم يحل موعد المراجعة الأولى بعد أسبوعين تقريباً من بدء العمل بالعدسات المعينة . وإذا ظهر أن كل شيء يسير على ما يرام ، فإن موعد المراجعة الثانية يحل بعد ذلك بنحو شهر واحد . والثالثة بعد ذلك فيما يتراوح بين ثلاثة أشهر وستة .

وصايا ضرورية

وعلى كل من يستخدم العدسات اللاصقة أن يحصل كذلك على نظارات عادية ذات عدسات تتلاءم مع درجات حاسة البصر عنده لاستخدامها في أوقات الطوارئ ، لأن العدسات اللاصقة العادية لا يمكن استخدامها طوال الوقت ، ولا ينبغي التعامل مع العدسات اللاصقة باليدين إلا مع اعتماد العناية الفائقة ، وعندما تدعو الضرورة الماسة فقط . وإذا كان هذا مستطاعاً ، فضع العدسات اللاصقة واخلعها فوق مسطح داكن اللون إذا حدث أن سقطت من يدك .

ولا تمسك العدسات اللاصقة إلا بيدين نظيفتين ، اغسلهما بصابون غير معطر ، وجفف كفيك جيداً بمنشفة نظيفة ، متأكداً من عدم تخلف أية شعيرات نسيجية على الأصابع ، حتى لا تدخل هذه إلى العين عند وضع العدسات .

الهولوجرافي .. أو تصوير كل شيء

بقلم : د . محمد نبهان سويلم

أربع عشرة صالة عرض .. امتدت بالطول والعرض .. على مساحة شاسعة من الأرض ، واكتظت بالناس من كل صوب وحدب .. منهم طلاب معرفة ، ووسطاء تجارة ، وأهل علم ، هوايتهم البحث وراء مستحدثات العلوم والتكنولوجيا ، إلى جانب هواة فن ، وديكورات ، وتركيبات ، وإضاءة .

والكل في سعيه ، دائم التنقل بين الأقسام والأجنحة كالفراشات تبحث عن الرحيق ، وتستحلب عصارة الفكر والعلم والفن ، منهم من يسأل ويدقّق ، ومنهم من يكتفي بنظرة سريعة ، أو أخرى متأنية ، ومنهم من يجمع ورقات ، أو يبحث عن النشرات والكتالوجات ، بينما بعضهم يفحص المعروضات ، ويتناقش حول المواصفات .

زحام جمع أجناساً متباينة من البشر ، جاءت من شتى أرجاء الأرض تتحدث مختلف اللغات واللهجات ، والعارضون استعدوا للتنوع ، فأتوا بمرشدين يجيدون مختلف اللغات .. ورصوا المقاعد الوثيرة .. ووزعوا الأضواء الباهرة ، وأتوا بالمشروبات إلى جانب اكوام من الكتب ، والكتالوجات ، والنشرات الملونة ، وشاشات التلفزيون .

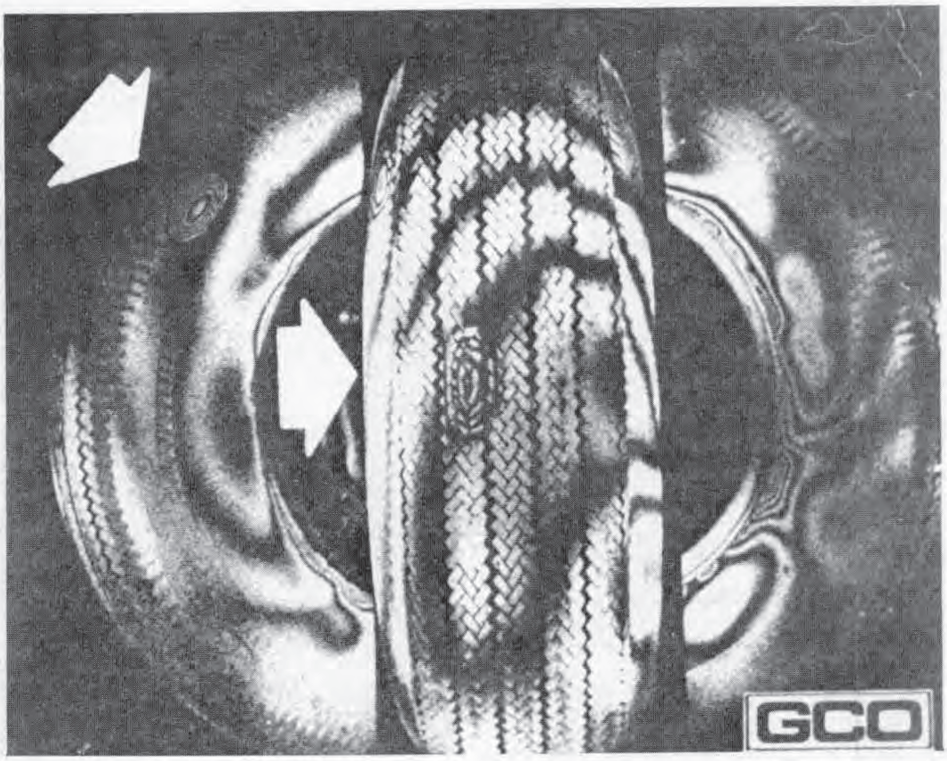
وترقب الزحام ، فإذا به منظم دون رجل مرور ، أو ضابط شرطة ، والناس يسيرون عَبْرَ الطرقات في نظام تلقائي ، يدورون ويتقاطعون ، لكنهم لا يتعارضون . لكن هذا النظام انفرط عقده ، واختل توازنه ، وتحوَّل إلى ملامح فوضوية ، وتكدس الناس تكدساً رهيباً .. هنا تدافعوا في صمت ورفق ، وتزاحموا في أدب جم حول واجهة عرض دون سواها ، والكل صامت مبتسم يترقب رؤية الشيء المعروض .. ولم تكن شيئاً مثيراً ، إنها مجرد صورة لسفينة خشبية من سفن القراصنة . ألهذا تزاحم الناس ؟ .

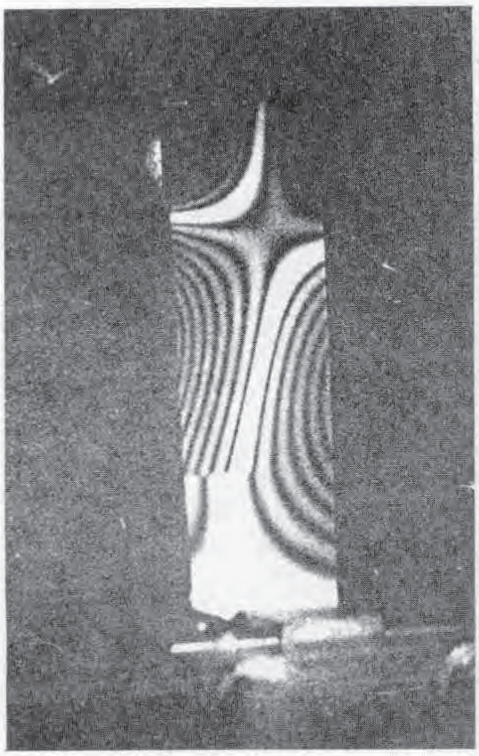
نعم ، مجرد صورة .. لم يرسمها أحد فناني النهضة ، ولا هي لوحة سرقت من متحف وأعادوها اليوم ، بل مجرد صورة فراغية أفرزتها قرائح العلم ، وعقوله ونمقتها علوم الطبيعة الضوئية ، وابتدعها لأول مرة ، عالم مجري الأصل ، إنجليزي الجنسية ، يدعى **دينيس جابور** . ويوم فاز بها كرمته البشرية ، ومنح **جائزة نوبل** في العلوم الطبيعية والرياضية .

وتزاحمنا مع الحشد البشري ، ونظرنا كما نظر كل الناس إلى الصورة الضوئية من عل ، فرأوا ورأينا كل تفاصيل السفينة العلوية ، ونظروا إليها من أسفل ، فرأوا القاع والدفة ، وداروا حولها دورة كاملة ، فوضحت كل التفاصيل والخفايا .. !! .

ويلغ الذهول بالمشاهدين مداه ، وامتدت الأيدي تحاول الإمساك بالسفينة ، فارتدت الأيدي خاوية ، تمسك بالهواء ... إلى هذا المدى وصل العلم ؟ .

نعم .. توصَّل العلم إلى هذا الإبداع يوم صوَّر الأشياء والأجسام بأشعة لايزر





LASER ، **بعـدما عـرف العلماء أسراراً جديدة عن طبيعة الموجات الضوئية .**

وإن كنتم في شك من الحكاية ، يكفي تدليلاً على صدقها، وجديتها ، وتجسيم الصور لدرجة مذهلة ، ما أذاعته وكالة أنباء عالمية مثل اليونيتدبرس في برقية عاجلة مؤداها . . لم يعد إلا الصوت والرائحة ، وتنطق الأشياء والصور ، وتتحرّك ، فلقد توصّل العلماء إلى الصورة المجسمة الحقيقية .

ويقولون الشيء بالشيء يذكر ، وما دمنا نتكلم عن البعد الثالث والهولوجرافي ، فالحق يُقال إن العالم المجري **جابور** لم يكن يسعى وراء هذا الاكتشاف ، ولا خطّط له مسار أبحاثه ، بل كان يبغي زيادة القوة التكبيرية للميكروسكوب ، ويوم علم باكتشاف اللايزر ، لم يتوان عن مراجعة بحوثه ، وأدمج الأشعة الجديدة ضمن تجاربه ، فإذا به أمام عمل باهر من منجزات العلم ، لا يقلُّ شأناً عن اكتشاف نظرية النسبية ، بل يعتبر نداً علمياً لها .

تعريفه

والهولوجرافي ، كلمة غريبة على عيني القراء عموماً ، لكنها كلمة يونانية قديمة ، تتكوّن من مقطعين : **هولو** HOLO ، تعني كل شيء ، **وجرافي** ، تعني تصوير ، والكلمة كلها تعني تصوير كل شيء ، أو الحصول على صورة فراغية مجسمة للأغراض المصورة .

ويعتمد الهولوجرافي على شطر شعاع اللايزر إلى شطرين : أحدهما يوجه إلى الجسم ، أو الأرض ، أو الماكينة ، أو النسيج ، إلخ . . بينما يوجه الشطر الآخر نحو مرآة عاكسة ، ويرتد الشعاعان المنشطران على شريحة ضوئية حساسة ، وقد احتفظ الشطر الثاني بذات خصائص أشعة اللايزر [الأشعة الأم] ، بينما ارتبكت الموجات الضوئية المنعكسة من على الجسم ارتباكاً شديداً ، نجم عنه تغيير طبيعة موجات الأشعة المرتدة . ويلتقي الشطران ، وتتداخل الموجات ، وتتوه التفاصيل ، وتخفي أسرارها عن العين ، بينما تسجل الشريحة الحساسة كل شيء ، وتبدو الهولوجرافي مجرد بقع مبعثرة ، غير متجانسة ، ولا معنى لها . . لماذا ؟ .

يرد على هذا السؤال ، العالم المجري جابور بقوله في إحدى مقالاته : إن هذه الخطوط غير المفهومة التي تبدو في الهولوجرافي مردُّها إلى طبيعة التداخل بين الموجات الضوئية ، فإذا رمزنا إلى قمة الموجة بالعلامة (+) ، ورمز إلى قاع الموجة بالعلامة الرياضية (ـ) ، فإن محصلة جمع الموجات جبرياً تحتمل ثلاثة احتمالات لا سواها : **الاحتمال الأول :** [+ +] أو قمة تلاقي قمة وتترجمها الشريحة الحساسة على هيئة نقطة سوداء داكنة . **والاحتمال الثاني :** [+ ـ] ، أي قمة تلاقي قاع ، وتترجم على الشريحة الحساسة نقطة رمادية . **والاحتمال الثالث :** [ـ ـ] ، وتترجم على الشريحة الحساسة بمنطقة ضوئية شفافة . فإذا كانت الموجات المتداخلة مستوية ، أو كرية ، أو مستوية مع كرية ، أو موجات غير محددة الشكل ، ضاعت تفاصيل الهولوجرافي ، وأصبح سراً مغلقاً .

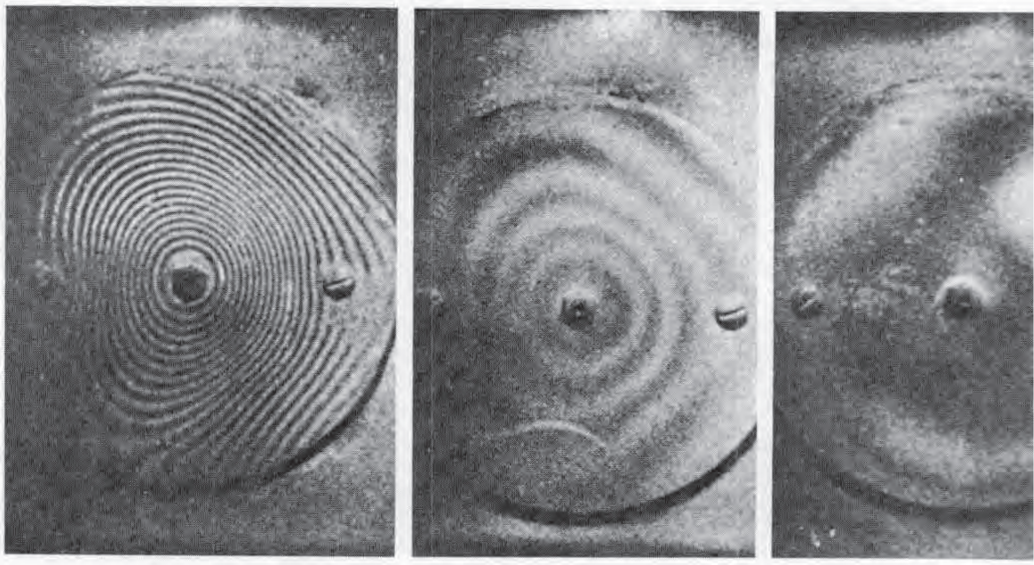
رؤية الهولوجرافي

لكن السر المغلق يفتح أبوابه الموصدة ، ويعاد الشكل إلى شكل ضوئي مجسم ، متى وضعت الشريحة الضوئية الحساسة في مسار ذات أشعة لايزر ، وعلى نفس الزاوية . . وعلى الفور ، تتكوّن الصورة المجسمة . ويُعزى سبب تكوُّنها إلى أن الشريحة الهولوجرافية تعيد صياغة موجات لايزر ، وتشكّلها حسب شكل الجسم الأصلي ، معنى هذا ببساطة أنه حتى لو كسرت الشريحة الهولوجرافية وتهشمت ، فإن قطعة صغيرة من الشريحة كفيلة تماماً بالحصول على الشكل الهولوجرافي .

الهولوجرافي ومناحي العلم

ويطفو على السطح سؤال ، وما دخل العلم

الهولوجرافي ..
أو تصوير كل شيء



بهذه الأمور التي تبدو من الوهلة الأولى تعلُّقها بأهداب الفن ، ورغبة أهله في ابتكار أشياء فنية لا قبل للعلم بها ؟ .

والسؤال منطقي جداً ، وصادق فيما أثاره من نقاط ، بَيْدَ أن العلم لم يعد حكراً على أناس دون سواهم ، **فاليوم** يستخدم الهولوجرافي في دراسات الاهتزاز ، والشد ، وزحف المعادن تحت الضغط والحرارة ، وتحديد الإجهادات الداخلية في المنشآت الصناعية ، ومتابعة الأعمال الساكنة والمتحركة ، وقياس الرذاذ ، وتحديد الانفجارات ، وانتقال المواد ، وتسرُّب الطاقة ، والزحف البلوري ، وانهيار معادن التشغيل . كما أنه يستخدم اليوم في الحاسبات الإلكترونية ، وإدخال المعلومات إلى نظم المعلومات المتكاملة بدقة تتعدى ١٠٠٠ مرة دقة النظم التقليدية ، واستحدثت لنظم المعلومات المتكاملة مواد ضوئية جديدة ، لا تحتاج إلى عمليات كيميائية لاحقة ، مما اختصر الوقت ، وقفز بالنتائج التشغيلية إلى آفاق أبعد وأعمق وأشد غوراً .

وفي عالم الجريمة ، يلعب الهولوجرافي دوراً بارزاً في محاربة معتادي الإجرام . . فالهولوجرافي استطاع مَدّ يَد العون للعاملين في ميادين المعامل الجنائية ، حيث استطاعت البحوث الهولوجرافية كشف خفايا جرائم الحرق العمد ، والتزوير والتزييف . كما حقَّق نجاحاً باهراً في كشف بصمات الأصابع ، مما حقَّق وفراً عظيماً في الوقت ، ودقة علمية عالية في تحديد شواهد الجريمة ، وأحاط بأهل الشر مثلما يحيط السوار بالمعصم .

كما ينتظر من هولوجرافي فوق الصوت لا يعتمد في تسجيله على أشعة لايزر ، إنما يسجل باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومثل هذا الهولوجرافي سوف يلعب دوراً لا ينكر في تحديد معالم أعماق البحار ، وكشف طبيعة مناطق الإنزال والأبرار العسكري ، وفي مد الكوابل البحرية ، وتسهيل مهمة مراقبي الطيران المدني الدولي والمحلي ، وإمكانية رؤية الطائرات المحلِّقة في الجو ، مجسمة واضحة بدقة بالغة ، يمكن معها تفادي مخاطر الكورات الجوية .

وفي عالم **القياس بالهولوجرافي** ، نجده يحتل اليوم مقدمة البحوث العلمية ، وتجارب القياس والاختبارات ، مثلاً : نشر **روبرت بول** من جامعة ميتشيجان ، دراسة عن طبيعة اهتزاز الأجسام الصلدة ، وأعمدة إدارة المحركات النفاثة ، وقواعد الجسور . . ويا للعجب . . أظهر الهولوجرافي تركُّز الإجهادات في مناطق متباعدة من سطح العمود ، وكلما زاد الاهتزاز توزع مرة أخرى بانتظام . معنى هذا هندسياً ، أن احتمالات كسر الجسم المهتز ، يصل حد الخطورة فيما بين درجتين من الاهتزاز الأدنى والأقصى .

ولعل ما نشر عن بعض البحوث ، ما أذيع عن مقدرة الهولوجرافي في اكتشاف الشروخ بالغة الدقة ، التي تعجز عن كشفها أشعة إكس ، أو أشعة جاما ، فتحت الهولوجرافي وقعت « ريش » محرِّك إحدى الطائرات النفاثة ، واتضح من الهولوجرافي توزع الإجهادات الحرارية والإجهادات الدورانية بانتظام ، وبشكل رياضي منطقي على طول الريش . . لكن المثير للدهشة ، أن الهولوجرافي أثبت بما لا يدع مجالا لقول آخر ، أو رأي مخالف ، وجود شرخ غاية في الدقة ، غاب تماماً عن قدرات كل المعامل ، ولو ترك وشأنه ، لهوت طائرته إلى الأرض وتحطمت .

الأهم من ذلك ، أن الهولوجرافي لا يعتمد على أجهزة معقَّدة ، بل يكفي وجود مصدر لايزر ومجموعة من المرايا والعدسات حتى يكشف ما خفي ، فاليوم أدخلته شركات إنتاج الإطارات في الكشف عن عيوب الإنتاج ، رغم جودته الظاهرية التي تقرها عينا البائع والمشتري ، فإذا بالهولوجرافي يحدِّد مواقع الضعف في مجموعة من الخطوط الكنتورية المتداخلة ، تكشف نقاط الضعف بدرجة دقة تصل إلى ١٠٠٪ .

إن مشاكل تسخين المعادن ، خاصة في مولدات البخار تحت الضغط والحرارة ، ومشاكل الوقود والتبخر في جسم الغلايات ، يجعل من حصافة الرأي متابعة هذه المعدات بالهولوجرافي . . فأقل زحف في بلورات المعدن ، يبدو واضحاً جلياً لا تخطئه العين . فيمكن قياس زحف طولي يتعدى ما مقدار ٦٢٥ من الألف من المليمتر .

والأعمال الفذة التي أصبح بالإمكان إنجازها بواسطة الهولوجرافي تُعدُّ ضرباً من ضروب الخيال ، فهي تقيس المسافات بدقة حتى أقرب بوصة ، كما تسهم في تحديد شكل الهيئات الأرضية ، وفي الاتصالات التليفونية بين المتحدثين من مسافات بعيدة ، بحيث تتبادل الرؤية بينك وبين الذي يتحدث إليك من على مسافات شاسعة ، مما يشير بإجراء تغيير جذري في شكل مواصلات المستقبل ، وأنماط الاتصال بين البشر على مشارف القرن القادم .

ومما يسعد ، أن بعض الدول العربية ، أخذت بالهولوجرافي ، وأن المملكة العربية السعودية في سبيل وضع أول خارطة جغرافية علمية دقيقة لصحراء الربع الخالي ، وسوف تعمد إلى استخدام اللايزر للحصول على صور مفصَّلة دقيقة لجميع مناطق الربع الخالي .

مدرسة الديوان

وأثرها في الشعر والنقد

بقلم : د. سعد ظلام

في محاولتنا الحديث عن مدرسة الديوان وأثرها في الشعر والنقد تظهر أمامنا جملة من التساؤلات تأخذ واجهة البحث ، فلا بدّ أن نسأل : **ما حالة الشعر والنقد قبل هذه المدرسة ؟ ومن أعضاؤها ؟ وكيف تكوّنت ؟ ومن رائدها ؟ وما ثقافاتهم ؟ وما جوهر دعوتهم ؟ وما سبب اختلافهم ؟ وما أثر هذا الاختلاف ؟ وما أهدافهم ؟ وماذا حققوه ؟ وهل خرجت مدرسة الديوان على القديم في دعوتها إلى الجديد ؟ وهل تحاملت في دعوتها ؟ أم كانت مُنصفة ؟ وما الأفكار الجديدة التي جاءت بها دعوتهم ؟ ثم ما أثر هذه الأفكار في الشعر والنقد ؟**

وسوف يكون حديثنا عنها من خلال هذه الأسئلة ، وتحديداتها ، حتى نكون موضوعيين أولا ، ولا نبعد عن الموضوع ، وهو متشعب غاية التشعب ثانياً .

حالة الشعر

ظل الشعر حتى عام ١٩٢١ م ، وهو العام الذي ظهر فيه «**الديوان في الأدب والنقد**» على حالة من الفهم مضطربة في مفهوم المحافظة ، فجماعة من المحافظين فهمت المحافظة فهماً خاطئاً ، فهمتها على أنها تقليد واحتذاء ، واجترار ومعارضة ، فقلدت وعارضت ، ومسخت شخصيتها بدافع من هذا الفهم الخاطئ ، وفهمتها جماعة أخرى فهماً آخر ، فأرادت أن تكون عصرية ، وفهمت العصرية على أنها وصف الآلات والمخترعات الحديثة ، دون استبطان روح العصر ، والاندماج فيه ، والتعبير عن حقيقته فوصفت المخترعات تقليداً للأقدمين في وصفهم الناقة والبعير ، فكانت قشرتهم الظاهرة عصرية ، لكنهم في واقع الأمر مقلّدون ، وكانوا بمفهومهم للعصرية مقلّدين كذلك ، وهم يحسبون أنهم عصريون ، بل روّادٌ في العصرية .

وجماعة ثالثة فهمت المحافظة بمعناها الأرحب ، فهمته تجديداً ومعايشة ، واستبطاناً لحقائق الأشياء ، **فجددت في الصورة والشكل والمغزى والغرض الشعريّ** ، فنظمت المسرحيات والملاحم ، والقصص الشعري ، وأبدعت فنوناً لا عهد للعربية بها ، وذابت في الطبيعة ، وامتزجت بروحها امتزاجاً وجدانياً ، وأتت بذلك كله في ديباجة جميلة مشرقة على نحو جديد .

حالة النقد

وكانت حركة النقد موازية لحركة البعث الشعري ، يسيران معاً في اتجاه ، وبقوة واحدة تقريباً ، وفي خطين متوازيين .

وكان النقد تقليدياً فيه توجيه من بعيد ، وعلى قدر اللمحة وما تدعو إليه الحاجة ، وتتمثل هذه الحركة النقدية في **الشيخ حسين المرصفي** ، والشيخ **حمزة فتح الله ، وشكيب أرسلان ، والمنفلوطي ، وسيد المرصفي .**



★ العقّاد ★



★ المازني ★

وقد كان هؤلاء الأعلام مُلمِّين بأصول اللغة وعلومها في أخريات القرن الماضي ، حاولوا جاهدين تجديد النقد الأدبي ، كما عرفه القدماء وتطبيق النظريات والأفكار والآراء ووجهات النظر العربية في النقد ، **كما عرفها نقاد العصر العباسي على الشعر الحديث .**

وبدأ الاتصال الثقافي بالغرب ، وكانت **الثقافة الفرنسية** أسبق الثقافات ، فقد عرفت طريقها إلى الحياة المصرية ، من **عهد محمد علي** وبعثاته ، وأخذت تقتحم نطاق الأدب العربيّ ، من **عهد إسماعيل** حتى اليوم .

ولكن الثقافة الإنجليزية واللغة الإنجليزية كان قد اتسع نطاقها في ظل الاحتلال ، وزاد الإقبال عليها ، كما كانت الثقافتان تعملان عملها في العقول العربية عموماً ، على اختلاف في الإقبال والتأثر .

وبدأت العقول المصرية تتفتح على آفاق جديدة ، وتتصل ويتصل الأدب العربيّ بالآداب والنقد الغربيين ، وتعاودُ اتصالها ، ويعاود اتصاله بالفلسفات الغربية والأفكار والنظريات الأدبية والنقدية ، **فظهرت الرومانتيكية في العربية** ، وكان رائدها « **روحي الخالدي** » في مقالاته وفي كتابه « **علم الأدب عند الإفرنج** » وأخذت هذه المفاهيم توجه الشعر نحو غايات أفضل ومثل عُليا ، فدعا **نجيب الحداد** إلى الموازنة بين الشعر العربي ، وبين الشعر الغربي في اللفظ والوزن والمعنى ، وعاب على الشاعر العربي فقدانه الوحدة العضوية ، وتبعه أو سار معه في نفس الاتجاه « **مطران** » ، فقد فهم القصيدة العربية على أنها تعبير نفسيّ كامل غير ذي أجزاء .. وإن أنكر **الدكتور عبد العزيز الدسوقي**[1] كل أثر **لمطران** في التجديد ، ونسبه إلى مدرسة الديوان ، وترجم **سليمان البستاني** « **الياذة هوميروس** » شعراً ، وكتب له مقدمة ضخمة عن الشعر ، ونشأته وفنونه وأوزانه ، وقد هاجم ابتداء القصائد بالغزل ، ثم ظهرت على الأفق طلائع التجديد المهجري ، التي تهدف إلى نبذ الصيغ القديمة والصنعة والتكلف ، ورفض اللغة وأساليبها وموسيقاها ، وأوضاعها التعبيرية ، رفضاً عنيفاً خرج عن حدود الاعتدال .

وكان من أثر ذلك كله ظهور حركة واسعة في النقد متنوعة .. فقد كان الكتاب إذا ظهر هبّت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ، فاللّغوي ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرّخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ، وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب[2] . وما كاد العقد الثاني من القرن العشرين ينتهي حتى كانت هناك مسارات ثلاثة قد كونتها مدارس النقد الأدبي :

١ ـ مدرسة عربية ، من أعلامها **المرصفي ، وفتح الله ، وأرسلان ، والمنفلوطي ، وسيد المرصفي ، واليازجي .**

٢ ـ مدرسة فرنسية ، من أعلامها النقاد **طه حسين وهيكل** ، ومن شعرائها **شوقي ومطران .**

٣ ـ مدرسة إنجليزية ، ومن أعلامها الشعراء النقاد **عبّاس محمود العقاد ، وعبد الرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني .**

ونزول هؤلاء الشعراء ميدان النقد يعتبر إيذاناً بتحوّل أساسي خطير في النقد والشعر ، ويذكّرنا نزول هؤلاء الشعراء إلى ميدان النقد بنزول الشعراء إلى ميدان النقد في العصر العبّاسي . **فابن المعتز وابن طباطبا والجرجاني والآمدي والثعالبي وأبو الفرج** ، وغيرهم .. هم الذين كوّنوا لنا تراثنا النقدي الذي نعتز به ، كما يذكّرنا بنزول المتخصصين من أساتذة الجامعات ، إلى ميدان المسرح ، في الأدب الإنجليزي في أواخر القرن الماضي ، فأثروا الحركة المسرحية ، وفجروا قضايا المسرح ، وأبْدَوْا آراءهم في سّن ملامحه واتجاهاته .

كيف تكوّنت مدرسة الديوان ؟

أما كيف التقى هؤلاء الأعلام الثلاثة ، وهم مختلفون داراً ، فيقول **العقّاد**[3] : « **من عجيب التوفيق أن يكون شكري من الإسكندرية ، وأن يكون المازني من القاهرة ، وأكون أنا من أسوان ، ثم نلتقي على قدر واتفاق فيما قرأناه ، وفيما نحب أن نقرأه ، وكل ما هنالك زيادة بعضنا في إيثار القصة ، أو زيادة في إيثار الشعر ، أو زيادة في إيثار الفكر والتأملات .. »** .

وهم بعد ذلك متفقون في كثير من الأشباه ، وسنّهم تكاد تكون متقاربة ، فقد وُلد شكري في ١٢ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٨٦ م ، والعقّاد في ٢٨ من يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٩ م ، والمازني في ١٩ أغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ م .

ثقافتهم العربية

وحظهم من الثقافة العربية يكاد يكون متفقاً ، فالعقاد[4] يقول عن شكري : « **لم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتّابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية ، وأدب اللغة الإنجليزية وما يُترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أنني حدثته عن كتاب قرأته إلا وجدت عنده علماً به ، وإحاطة بخير ما فيه ، وكان يحدثنا عن كتب لم نقرأها ، ولم نلتفت إليها** » .

ولقد كان اطلاع العقّاد مضرب الأمثال في وُسعه وتنوعه وشموله وعمقه ، فكان يُحيط إحاطة تقرب من التمام بفروع اللغة وآدابها ، وكان عارفاً بدقائقها ، ثم هو فوق ذلك مقبل على دراسة أدبه العربي متعلق بالأدباء الذين أحبّهم من عهده وصباه ، فأصدقاؤه من الأوائل كثيرون .

والمازني هو الآخر « **حظه من العربية أقوى من حظه من الثقافة الإنجليزية** »[5] .

ولا تكاد تقدم واحداً منهم على زميليه في الشغف بالمعرفة ، والإيغال الشديد في القراءة والاستيعاب المحيط لأكثر تلك القراءات ، والإحساس المرهف بكل ما يلامس عقولهم أو عواطفهم ، إلى جانب مراجعة متكررة



★ شكيب ارسلان ★



★ المنفلوطي ★



★ مطـران ★

لأمهات الأدب الكبرى «**كالأمالي**» و«**الكامل**» و«**البيان والتبيين**» و«**العقد الفريد**» و«**الأغاني**» و«**نهج البلاغة**» و«**دواوين الشريف الرضي**» و«**ابن الرومي**» و«**بشار**» و«**المتنبي**»، إلى غير ذلك، وهو كثير.

ثقافتهم الأجنبية

أما ثقافتهم الأجنبية فكانت هي الأخرى عميقة مستوعبة.. أوغلت في القراءة الإنجليزية، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي، ولم تنس الألمان والطليان والروس والإسبان واليونان واللاتين الأقدمين، ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى.. و«**هازليت**» إمام هذه المدرسة كلها في النقد، «كما كانت مطالعاتهم في هذه الفترة في دواوين «**شيلي**» و«**بيرون**» و«**شعراء البحيرة**» عدا «**شكسبير**» الغني عن الذكر، وهي ليست مقلدة للأدب الإنجليزي ولكنها مستفيدة منه، مهتدية بضيائه، ولها بعد ذلك رأيها في كل أديب من الإنجليز»(٦).

و«**هازليت**» و«**شيلي**» و«**بيرون**» هم حملة لواء الرومانتيكية في الشعر، و«**هازليت**» هو حامل لوائها في النقد، وكان للرومانتيكية بمجاليها الشعري والنقدي أثر كبير في آراء مدرسة الديوان.

وقد أثرت فيهم الحرب العالمية بما بعثته من هول ودمار تأثيراً كبيراً، يقول العقاد(٧): «**وهذه الفترة، فترة الحرب العالمية شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة، فنفضها «شكري» عنه بقصائده العابسة في ديوانيه الثالث والرابع، ونفضتها عني بقصيدتي التي نظمتها على نمط الملاحم، وسميتها بترجمة الشيطان.. وراضها المازني كما راضته، وعالجها ولم يزل يعالجها بعد ذلك بنزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث**».

العقّاد رائد الديوان

والأستاذ **العقّاد** يعتبر بحق إمام هذه المدرسة ورائدها، بعد أن تخلى عنها **شكري** وانفصل وانزوى، وبعد أن انصرف **المازني** إلى الصحافة ومعالجة الأحاديث والفلسفة الساخرة وتأليف القصص.

جوهر دعوتهم

لقد كانت هذه المدرسة أثراً لتطور نهضتنا العامة، ولم يكن بدّ من أن تحدث تيارات فكرية وأدبية، كان أظهرها بروزاً «**التيّار الوجداني**» «لأن هذه النهضة أخذت تشعر الفرد بوجوده وقيمته الذاتية، وبضرورة التعبير عن نفسه»(٨).

وقد دعت إلى الصدق في الإحساس والصدق في التعبير «**وأن يطرح الشاعر كل تقليد، وينطلق مع نفسه مركزاً على الغرض الشعري وحده في عبير عاطفي خالص، وترك المحسنات البديعية** حتى إن ترك المحسنات البديعية لا يُعدّ ترقّياً منهم في عرفان لباب الشعر، وإنما الحَرِيّ بأن يُدعى تقدّماً مثمراً التقدّم في الإحساس بالأشياء على ما هي عليه.

وتعيب هذه المدرسة على الشعراء أنهم في تلك الفترة لم يحفلوا بالطبيعة، والهدف من التشبيه عندهم هو نقل الأثر النفسيّ للمشبه من وجدان الشاعر إلى وجدان القارئ، لأن هناك فرقاً بين شعر الحس وشعر الروح، ويجب ألا يخالف الشاعر ظاهر الحقيقة إلا ليكون كلامه أوفق لباطنها»(٩).

وقد تنوّعت مجالات الدعوة لمدرسة الديوان تنوّعاً عظيماً:

● **أولا:** دراسات أدبية نقدية كما في دراسات **العقاد والمازني**، ولقد كانت هذه الدراسات متنوعة المناهج، ولم تقف عند حدود المعاصرة، وإنما تخطت ذلك إلى التراث، كما في «**ابن الرومي**» و«**أبي نواس**» و«**ساعات بين الكتب**» و«**الفصول**» **للعقّاد**، وكما في «**بشّار**» و«**شعر حافظ**» و«**حصاد الهشيم**» و«**قبض الريح**» للمازني.

● **ثانياً:** كما كانت الدعوة إلى المدرسة بواسطة النماذج الشعرية التي تحمل في أطوائها بذر التغيير وأصول هذه القيم الجديدة، ولقد كانت دواوين هؤلاء الثلاثة بما تحمله من ملامح التجديد، براهين لدعوتهم التجديدية.

ولقد كانت هذه الدواوين تُصدَّر بمقدمات يكتبها أحدهم، وفيها الدعوة إلى التجديد، وتوضيح وجهات نظرهم إزاء قضايا الشعر، والحملة على رواد المدرسة الكلاسيكية، وإبداء الرأي في مدى ما يقبلون من التغيير، كما في مقدمات **العقّاد** لدواوين **المازني**.

● **ثالثاً:** «**كتاب الديوان في الأدب والنقد**»، وقد أودعوه أصول مذهبهم، وأهم المبادئ التي ينادون بها، وقد حمل أيضاً فلسفتهم وأفكارهم.

وكان قد عزم «**العقّاد**» و«**المازني**» أن يصدرا «**الديوان**» في عشرة أجزاء، ولكنه لم يصدر منه إلا جزءان فقط، وكانت خطتهما تقضي بأن يبدآ بتحطيم الأصنام مثل «**شوقي**» و«**المنفلوطي**» و«**حافظ**»، وغيرهم، حتى إذا تـمّت عملية الهدم بدآ في نشر آرائهما النقدية البنّاءة، ولكن لما لم يظهر من الديوان إلا جزءان فقد ظلت آراؤهما النقدية البنائية مجهولة... ولو قُدِّر لتلك الآراء أن تظهر حسب الخطة الموضوعة لها لربح الأدب والمتأدبون ربما عظيماً.

الخلاف بين المازني وشكري

ولكن العلاقة لم تلبثْ أن فسدت بين **المازني وشكري** ، بعد أن عاب شكري على المازني انتحاله لبعض الأشعار الإنجليزية ، وبخاصة من مجموعة « **الذخيرة الذهبية** » ، ولما لم يجد شكري من العقّاد موقفاً تُجاه المازني وسرقته ، راح يهاجمهما معاً في « **عكاظ** » عامي ١٩١٩ م ، ١٩٢٠ م ، تحت عنوان « **ناقد** » .

وقد أخذ المازني يردّ ، وكان الرد من جانبه وحده ، ووقف **العقّاد** إزاء هذه المعركة حيران صامتاً « خوفاً من فرحة صرعى المذهب القديم » ، ومن ثم فإنه لم يَطب نفساً لتلك الجفوة التي حدثت بين صاحبيه ، فجمعهما ورأب الصدع ، وعاهدهما أن يكفا فرضيا بحكمه ، وكتب العقّاد يومئذ مقالة في « **الأفكار** » وصف ما جرى بينهما بأنه مصارعة أصدقاء لا مقاتلة أعداء ، وقد أشار « العقّاد » إلى ذلك في قصيدته الدالية الجميلة التي رثى بها **عبد الرحمن شكري** ، وكتب **شكري** قصيدة إثر الصلح الذي تمّ عنوانها « **بعد الإخاء والعداء** » وهي دالية أيضاً .

وأيًّا ما كان فقد انصرف شكري بعد نقد المازني له وتحامله عليه ، ووصفه **بصنم الألاعيب** ، وسواء كان ذلك سبباً في انزوائه أم لا فلقد انصرف **شكري** وترك الميدان للعملاقين ، **العقّاد والمازني** ، ثم حدث أن انصرف المازني أيضاً .

أهداف مدرسة الديوان

بقي **العقّاد** وحده في الميدان بعد انصراف **شكري** أولا ، ثم **المازني** ثانياً ، يواصل جهاده المخلص في منهج النقد والشعر والبحث والدراسة على ضوء الأهداف التي تحددت في كتاب « الديوان » .

وقد حدد أهداف هذه المدرسة حين يقول : « **وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حدٍّ بين عهدين ، لم يبق ما يسوّغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، وأقرب ما نميّز به مذهبنا أنه مذهب إنسانيّ مصريّ عربيّ ، إنسانيّ لأنه من ناحية ، يترجم عن طبع الإنسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوهة ، ومصريّ لأن دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربيّ لأن لغته العربية ، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب** »[١٠] .

« فلم يتفق لمصر عصر نطقت فيه روحها الشعبية فظهرت في عالم الفنون المهذبة ، وقالت القصائد المنتخبة ، ولم يزل لنا أدبان ناقصان ، أدب مطبوع غير مصقول ، وأدب مصقول غير مطبوع ، وهذه آفة الشعر المطبقة في هذه الديار ، فلا هو شعر مصري ، ولا هو شعر أجنبيّ »[١١] ، فالأمة لا بدّ أن تكون لها في نظر العقّاد شخصية أدبية وفنية مستقلة « **الأمة بغير تعبير أمة مهزولة أو مشرفة على الموت وكذلك تكون الأمة التي خلت من الفنون لأن الفنون هي تعبير الأمة عن الحياة** »[١٢] .

وإذن فقد كان هدفهم أن يكون لمصر أدب يعبر عن الروح الأصيلة لها ، ويترجم عن طبع الإنسان فيها بلسان عربيّ مبين ، **أدب قوميّ مصري إنسانيّ عربيّ** ، ولقد ملأ إيمانهم بمصريتهم كل جوانب إحساسهم على نحو ما صوّر العقّاد في هذه الشذرات وفي غيرها ، وعلى نحو ما صوّر المازني تصويراً جميلاً في « **إبراهيم الكاتب** » ولأجل ذلك « قامت مدرسة الديوان لإرساء قيم في الفن والأدب يحتاج إليها الوطن أيما احتياج »[١٣] .

من أجل ذلك حملوا معاول الهدم ليبنوا على أسس من مفاهيمهم المنبعثة من صميم اعتقادهم بقيم تعبيرية وفنية أصيلة ، وقد كانت هذه الأفكار مسيطرة على كل آرائهم ، وتصدر عنها معاركهم التي شنوها . وقواعدهم التي أرسوها ، ومن هنا يبرز أصل تحاملهم ومبعث تعسفهم في بعض الأحيان « **فقد كان مبعث ذلك عند العقّاد الإخلاص لمدرسته وما ينبغي لمنهجها في الشعر ومقاييسها من الاستقرار ، وإن كانت دعوته لا تخلو من قسوة وعنف مسرف** »[١٤] .

وقد حاول أكثر النقّاد أن يعزو نقد **العقّاد لشوقي** إلى أنه شاعر القصر ، وأعتقد أن هذا الاعتقاد يحتاج إلى نظر ، لأمور :

★ **أولا :** لأن **شوقي** ، بعد عودته من المنفى يوم ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ م ، كان قد تخلص من قيود القصر التي سبقت النفي ، وقد ظهر الديوان سنة ١٩٢١ م ، أي بعد عودة **شوقي** إلى أرض الوطن ، وقد تخلّص تماماً من قيود القصر ، وما صدر من خطرات نقدية قبل ذلك لم تكن إلا في ثلاثة أبيات **لشوقي** في رثاء **بطرس غالي** في خلاصته اليومية[١٥] .

★ **ثانياً :** ولو صح أنهم كانوا ينقدون « **شوقي** » لأنه شاعر القصر ، فما الذي دعاهم إلى نقد **حافظ** ، وهو لم يكن له أدنى صلة به .

لقد كانت الغاية الحقيقية من وراء نقدهم النهوض بالشعر ، وإرساء قيم جديدة تحتاج إليها الأمة ، وإن كان تحاملهم الشديد جعل النقاد يفسرونه تفسيراً مختلفاً ، كل منهم يفسره من وجهة نظره البحتة .

فمن النقاد من يرى أن شخصية **شوقي** كانت عاملاً هامًّا في معارك النقد التي أثيرت حوله ، فقد كان يترضى نقّاده بكل وسائل الإرضاء ، وكانت له صحف ومجلات تدافع عنه وتعيد نشر شعره القديم ، وفي مقدمتها « **عكاظ** » و « **الصاعقة** »[١٦] .

ولقد كانت **للعقّاد** عقلية ناضجة ، ولكن طموحه المبكّر هو السرّ وراء كل اندفاعاته وتحامله مع أنه يعلم أن الميدان سيخلو له يوماً[١٧] . . وكان كتّاب الشباب في هذه الفترة يلتمسون من نقده وسيلة إلى الشهرة ، كما يجد بعض الصحفيين من نقده وسيلة إلى الكسب ، و « إن **شوقي** كان لا ينفك يغري به صاحب « **عكاظ** » فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد **للعقّاد** أدخل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد »[١٨] ، وقد قيل إن الذي كان يهاجم **العقّاد** في عكاظ هو **عبد الرحمن شكري** ، وإنه كان ينقد صاحب عكاظ نقوداً لنشر نقده[١٩] .

يضاف إلى ذلك أن تصارع الأحزاب كان عاملاً هامًّا في إذكاء هذه المعركة ، وكان **شوقي** يحاول أن يصادق مختلف الأحزاب ، وكانت هذه الأحزاب تتصارع على استرضائه ، « **وإن العقّاد كان يصدر في هجومه على شوقي عن عداء شديد لكل ما ينتمي إليه هذا الشاعر طبقياً وقومياً على المستوى الوطني** »[٢٠] .

كان السبب في نقد **العقّاد لشوقي** هو اقتناعه بضرورة إرساء أدب قومي مصري إنساني عربي ، وهذه القيم تحتاج إليها مصر أيّما احتياج ، وكانت غايته أن يكون لمصر أدب يعبر عن روحها الأصيلة ، وعن طبيعة إنسانها ، ولكن تدخلت العوامل السياسية وتصارع الأحزاب ، وبعض الأفكار والآراء المغرضة ، فاشتد **العقّاد** في عنفه وتحامل وأسرف ، ورأى التحيز الواضح والتطبيل والتزمير **لشوقي** ، ورأى مجلّات وصحفاً تتبنى وجهة نظره ، لأنه قد اشتراه وأغراها .

كل هذا جعل **العقّاد** يتعسف بعض التعسف أو كلّه ، ولقد كان يرى « **شوقياً** » أجنبيًّا عن مصر ، وليس بالمصري الذي يحسّ روح مصر ويعبّر عنها ، « وكان شوقي يحسّ الوطنية المصرية كما يُحسّها التركيّ المتمصّر »[٢١] ، وإن كان **العقّاد** قد خفف من عنف حملته بعد موت **شوقي** .

الأسس التي قامت عليها مدرسة الديوان

يمكن أن نوجز أهم الأسس التي بنت عليها مدرسة الديوان آراءها في النقاط التالية :

١ ـ التوسع في مفهوم الشعر .

٢ ـ التعمق في تناول الخاطرة ببسطها وتحليلها .

٣ ـ التجديد إنما يكون في المضمون وهو يتحقق ولو كان الموضوع قديماً .

٤ ـ الشعر قيمة إنسانية ، وليس بقيمة لسانية .

٥ ـ القصيدة بنية حية وليست قطعاً متناثرة .

٦ ـ الشعر تعبير عن النفس ، والشاعر الذي لا تظهر شخصيته من شعره ليس شاعراً .

٧ ـ إباحة تنوّع القوافي في القصيدة الواحدة ، أو إرسالها عن قيد القافية جملة والاجتزاء بموسيقية الوزن عن موسيقية القافية الواحدة . **وهي صيحة في سنة ١٩١٤م ، تتطابق تمام التطابق مع صيحة أصحاب الشعر الحرّ في أيامنا** ، « على أنه تراجع بعد ذلك عن ترك القافية وطلب التنويع في القوافي ، وارتضى أن تظل القافية في الشعر الغنائي ، أما في غيره فينبغي أن نحطم أغلالها تحطماً تامًّا »[٢٢] .

ولعلي أخالف هذا الرأي حين أقول : إن **العقّاد** كتب مقدمة مسرحية « **قيس ولبنى** » **لعزيز أباظة** ، ولم يحطم الشاعر في مسرحيته القافية تحطماً تاماً ، ولم يفكر **العقّاد** في ذلك ، بل لقد أصبح **العقّاد** في طليعة المحافظين المتزمتين ، « وهاجم الشعر الحر ، وظل وفياً للتراث أميناً عليه ومن أكبر سدنته ، وهو يرى أن الشعر الحر مهزلة ، وهو يتساءل **ممّ يتحرّر الشعر الحرّ ؟ من البحور والقوافي ؟ معنى هذا أن الشعر يتجرد من الشعر** »[٢٣] .

جذور مذهبهم

والدعوة التي نادت بها هذه المدرسة يمكننا أن نتبين جذورها في الأدب الغربي والأدب العربيّ ، ويمكننا بشيء من الإيجاز والملاحظة أن نتعرف على تلك الجذور الغربية في الفروق بين الكلاسيكية وبين الرومانتيكية من جهة ، وفي الدعوات القوية للرومانتيكيين من جهة أخرى .

فالعقل عند الكلاسيكيين أساس فلسفتهم في الجمال والأدب ، على حين يكون عند الرومانتيكيين بالقلب والعاطفة دون العقل ، ونشدان الحقيقة العامة عند الكلاسيكيين هو الهدف ، والجمال هو الهدف عند الرومانتيكيين ، والأدب عند الكلاسيكيين خلقيّ في غايته ، وإذا قام صراع بين العاطفة والواجب انتصر الواجب ، وقد ثار الرومانتيكيون على الغاية الخلقية للأدب ، ورأوا أن الأدب استجابة للعواطف ، وهذه العواطف ليستْ شرًّا .

والأدب الكلاسيكي يعنى بالمجموع في وجه الفرد ، والأدب الرومانتيكي يهتم بمصالح الفرد . . فقد قامت الرومانتيكية على أساس الفلسفة العاطفية[٢٤] .

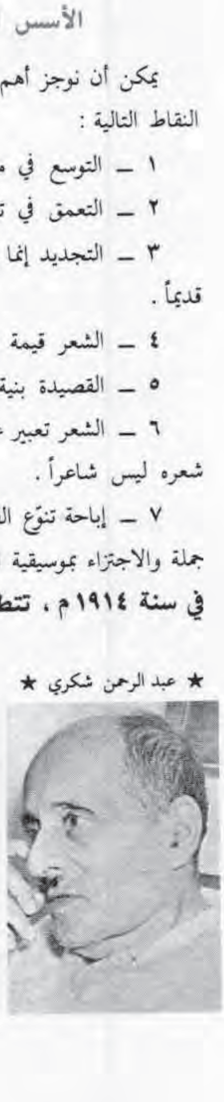
وأما جذور هذه المدرسة في الأدب العربي ، فنجدها في محاولات **أبي تمام وابن الرومي** ، لقد حاولا أن يعمقا النظرة الشعرية في مجال الفكرة كما صنع **أبو تمام** ، وفي مجال التوليد والإصابة في التشبيهات واستكناه خفايا الطبيعة ، كما فعل **ابن الرومي** .

كما أن أكثر القضايا التي أثارتها هذه المدرسة ضدّ **شوقي وحافظ** ، لها جذور في النقد العربي القديم والحديث ، فالتفكك والإحالة والتقليد ، والولوع بالأغراض دون الجواهر قد التفت إليها النقاد العرب **كالآمدي والجرجاني** وغيرهما .

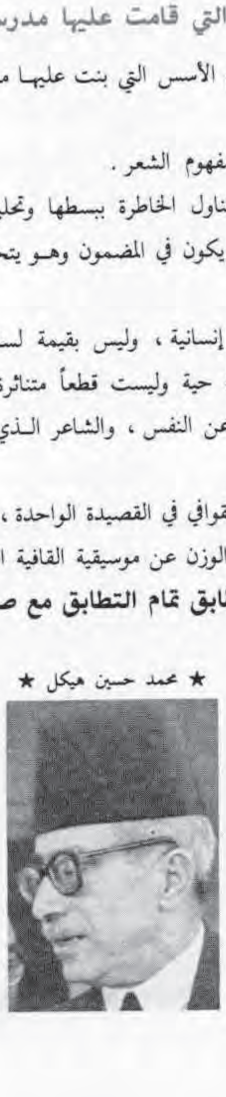
وأما وحدة القصيدة ، فلها قصة طويلة في أدبنا العربي القديم والحديث ، كما أن مفهومها ظل غامضاً لزمن طويل ، ونلاحظ أنه قُصد بها أحياناً في نقدنا الحديث « **وحدة الغرض** » .

ولكن وحدة الغرض قد أخذت تختلط بعد ذلك عند بعض نقادنا المحدثين بما سمّوه « **الوحدة العضوية** » ، أي بناء القصيدة بناءً هندسياً بحيث يخرج

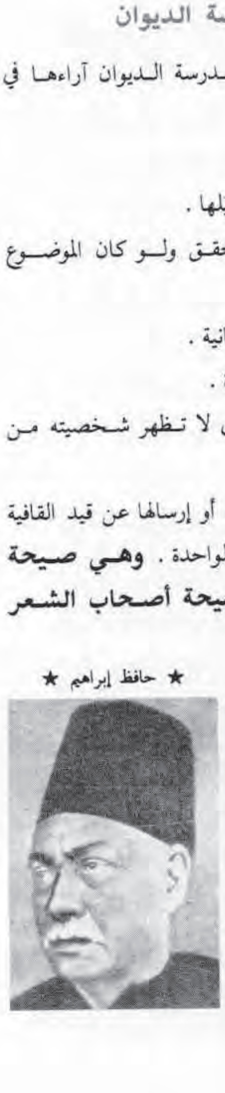
★ عبد الرحمن شكري ★



★ محمد حسين هيكل ★



★ حافظ إبراهيم ★



من تحت يد الشاعر كالكائن العضوي الذي لا يمكن نقل جزء منه مكان جزء آخر .

وهي دعوى سليمة من ناحية الفلسفة الجمالية البحتة ، ولكنها لا تكاد تتصور في الشعر الغنائي الخالص .

وممن قال بها من القدماء **الجاحظ** في التلاحم والتوافق ، **وابن قُتيبة**[٢٥] في القرن الثالث الهجري حين يقول : « **قيلَ لِفُلان : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك ؟ قال : لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمِّه** » . وفي الشعر الذي له قران ، والشعر الذي ليس له قران ، **وابن طباطبا العلوي**[٢٦] فطن إلى وجوب الصلة بين أبيات القصيدة ومقاصد الرسالة ، بحيث تكون هذه الصلة بمثابة سِلك جامع لما تشتت يضبطه في نظام ، ويجمعه في قران ، **والحاتمي**[٢٧] في القرن الرابع الهجري يقول بوحدة القصيدة حين يقول : « مَثَلُ القصيدة مَثَلُ الإنسان في اتصال أعضائه ببعض فمتى انفصل واحدٌ عن الآخر ، وباينه في التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخوّن محاسنه » .

ومـمّن قال بالوحدة العضوية في القصيدة **ابن خلدون** والشيخ **حسين المرصفي وخليل مطران**[٢٨] .

والحق أن هناك ثلاث وحدات في وحدة الغرض ، وهي خلوص القصيدة إلى غرض شعري واحد ، وهذا غير مطلوب في الشعر الغنائي ، فما على الشاعر من بأس إذا قام يصف النيل ، فوصف الشطآن والنخيل والشجر والزهر والسماء وزرقتها ، إلى جانب الموج الضاحك وسمرة النيل الرائقة ، والزوارق وهي تمخر عبابه ، **كل هذا من خلال وصفه للنيل .**

وهناك وحدة فنية ، والغرض منها أن تستوي ديباجة العمل الفني فتخرج من تحت يد الشاعر أو الكاتب مستوية ليس فيها نتوء أو بروز ، فليس فيها جزء خشن الأسلوب ، غريب الألفاظ ، قلق الصياغة ، وجزء آخر طيِّع سلس ، سهل الألفاظ ، سهل التراكيب ، رقراق الأسلوب .

وهذه الوحدة الفنية هي الواجب توافرها في العمل الأدبي ، لأنها دليل الطبع والمهارة ، والحذق واكتمال الملكة والموهبة والأداة ، وهي التي يحاسب عليها الأديب حساباً دقيقاً ، لأنها دليل شخصيته الفنية .

وهناك الوحدة العضوية ، وهي اتصال البيت بما قبله وبما بعده اتصالا قويًّا آسراً ، لا يمكن خلع بيت من موقعه أو زحزحته عن مكانه .

وهذه الوحدة ، لم يُطالَبْ بها الشعر الغنائي ، بل وعابها النقد القديم وعَدَّ التضمين عيباً ، وهو أي التضمين **تعليق البيت بما قبله أو بما بعده بوسيلة حسيَّة** ، كأن يكون الفعل في قافية البيت السابق ، والفاعل في البيت اللاحق ، أو المبتدأ في البيت الأول ، والخبر في البيت الثاني مثلاً ، أو العامل في البيت الأول ومعموله في البيت التالي ، لأن الرباط الحسِّيَّ لا يجمل بشاعر مقتدر .

أما الذي يجمل بالشاعر ، فهو أن يوجد الشاعر رباطاً بين البيت والبيت من ذات نفسه . . أي أن يكون الرباط نفسياً ، أو شعورياً ، أو أن يعمل الشاعر طاقته لإيجاد رابط فني يوجب الصلة بين البيت وأخيه ، دون الرابط الحسِّيِّ .

وهذه سمة الفنان المبدع الأصيل .

وأرسطو نفسه أعفى الشعر الغنائي من الوحدة العضوية ، وكل وحدة عضوية ألزمها الشعر كانت في الشعر القصصي والملحمي والتمثيلي ، أي في الشعر الموضوعي ، ولم يلزم الشعر الغنائي هذه الوحدة ، فقد خصص **ابن سينا** الباب التاسع من كتابه « **الشفاء** » لفن الشعر ، وقد لخص فيه ما كتبه أرسطو عن الشعر .

وفي الفصل الخامس الذي خصصه لحسن ترتيب الشعر وبالأخص « **الطراغوذيا** » (**المأساة**) يقول : « **وكل أمر فله مبدأ ووسط وآخر ، والوسط مَعَ وقبل ، والمبدأ قبل ، وليس يجب أن يكون مع ، والآخر يجب أن يكون قبل شيء ، والجزء الفاضل هو الوسط** » .

فالتراجيديا عنده تتألف من مقدمة ووسط ونهاية « فيجب أن يكون تقويم الشعر على هذه الصفة ، أي أن يكون مرتَّباً فيه أول ووسط وآخر ، وأن يكون الجزء الأفضل في الوسط » .

وقد عمم **أرسطو** هذا التقسيم في كل الأشعار القصصية ، فأما الأشعار القصصية التي كانت لهم والأوزان التي كانت تلائم القصص فسبيلها سبيل الطراغوذيا في تقسيم أجزائه إلى المبدأ والوسط والخاتمة . . .[٢٩] .

وأرسطو في كل هذا يتحدث عن الشعر التمثيلي سواء كان مسرحياً أو قصصياً أو ملحمياً ، أي إنه يتحدث عن الشعر الموضوعي بصفة عامة ، وهو لا بدّ أن يكون كذلك مترابطاً بحكم طبيعته ووظيفته الدرامية التي تتطلب التسلسل والنموّ للحدث .

وقد ألزم التراجيديا ما ألزمه **الطراغوذيا** من حيث الترتيب ، وقد ذكر ذلك في الفصل السادس ، وهو في هذا كله يتحدث عن أجزاء التراجيديا بحسب الترتيب والأداء والإنشاء .

والمراد بكلمة قصيدة في التراجيديا الجزء الشعري من التراجيديا الذي يلحن ويُغنَّى ويؤدّيه المنشدون ، وليس المراد القصيدة الغنائية حسب ما توهم البعض من نقَّادنا العرب قدامى ومحدثين .

ومن هذا كله نرى أن **أرسطو** ، لم يتعرض للشعر الغنائي في هذه التقسيمات ، ولم يلزمه بالوحدة العضوية ، وكان كل اهتمامه موجهاً أساساً إلى الشعر الذائع في عصره ، وهو الشعر التمثيلي .

ومن المعلوم أن هناك فروقاً هائلة دقيقة وجوهرية بين الشعر الغنائي والشعر الموضوعي ، ولكل منهما قواعده التي لا تليق ، ولا يجوز تطبيقها على الآخر ، فضلاً عن أن اليونانيين كانت لهم تقاليد فنية معينة ، ولهم أغراض محدودة

يقولون فيها الشعر ، وكانوا يخصون كل غرض بوزن على حدة ، وكانوا يسمون كل وزن باسم على حدة .

ومن الإنصاف أن نذكر لأصحاب الديوان أنهم لم يريدوا أن يغمزوا الشعر القديم بهذا النقد كما غمزه مطران ، وكما يتهجم عليه الآن النقّاد المحدثون . . والواقع الذي تهدي إليه الفطرة أن القصيدة في الشعر الغنائي لا ينبغي أن تذعن لهذه الوحدة التي يفرضها عليها هؤلاء العضويون ، وأن تتجه الوحدة إلى الشعر الموضوعي قصصياً كان أو مسرحياً أو تمثيلياً أو ملحمياً . والوحدة المطلوبة في الشعر هي الوحدة الفنية ، أما وحدة الغرض فقد انحسرت موجتها أو تكاد ، أما الوحدة العضوية فقد أُعفيَ الشعر الغنائي منها ، وتُرك للشاعر ولموهبته مهمة الربط النفسي والفني بين أبيات قصيدته .

ما حققته مدرسة الديوان

الذي لا شك فيه أن نزول هؤلاء الشعراء النقّاد المسلحون بثقافة هائلة إلى ميدان التوجيه النقدي والشعري أحدث حركة هائلة في الميدان الأدبي ومحيط الفكر الأدبي ، ولقد كان لتعدد وسائل التوجيه عندهم أثر كبير في التأثير الحيوي ، فكانت آراؤهم النقدية ، ودراساتهم الأدبية ، ومناهجهم في البحث ، كما كانت دواوينهم وهي تحمل دعوة إلى التغيير ، كل هذا أحدث في الأفق الأدبي مناخاً شجع الأدباء أن يتأثروا به ، ويلتفوا حوله ، ويحدثوا تغييراً مزدوجاً في نتاجهم .

وهذا التأثير المزدوج يتمثل في الجديد الذي نُظم في ظل هذه الدعوات ، وفي الشعراء الكلاسيكيين الذين بدأوا يجددون أو بالأحرى يغيرون من سلوكهم الأدبي ، **وكانت توجيهات العقّاد ودراساته أشبه بعصا غليظة حيناً ، وحيناً آخر ، عصاً سحرية توجهها إلى التغيير المطلوب في مناخ صحي أدبي جديد ، فيه التماعات ريادة ، وصدق توجيه ، ونظريات فيه كثير جداً من الصواب .**

ولقد دفع هذا التوجيه المتنوع الشباب من الشعراء أن يركبوا موجة التجديد ، وأن ينتجوا ويُبدعوا وهم مطمئنون من صحة المناخ الثقافي ، واثقون من أصالة الدعوة إلى التجديد .

ولقد حرص المحافظون أيضاً على أن يجددوا من أوتارهم ومن تعاملهم مع الواقع المعاش ، وأن يغيروا من جلدهم الشعري ، ومن مفاهيمهم وأساليبهم حتى يبدوا أكثر تأثراً وإقبالا على حركة التغيير وانفعالا بها ، واستجابة إليها وحتى يظهروا بمظهر المجددين ، أو على الأقل بمظهر المُسايرين للتجديد ، وخوفاً من تعرضهم لحملات النقد الجارفة التي استفادوا منها ومن سلطانها وحركتها الطاغية دون شك وصوناً لمكانتهم الأدبية التي بدأ التيار الصاخب يزحف إليها أو يأتي عليها .

ولقد كان نقد « **العقّاد** » لشوقي حافزاً له على التجديد في كل صوره ومضامينه ، فقد أتاح له الفرصة لكي يغوّر مفاهيم مدرسته الشعرية ، وأن لا يأبه للطلاوة اللفظية ، والقوالب الموروثة ، **وأن يتحرر من كل القيود التي كانت تغلّ وجدانه عن الانطلاق** ، وكان لذلك أثره العميق في نهضتنا الشعرية .

وكانت آراء الديوان ونقدها وحركتها ودعوتها وراء كل تجديد جاء به **شوقي** من مسرح وقول على لسان الطير والحيوان ، وتجديد في الأوزان واختراع لبعضها . صحيح أن العقاد هاجم مسرحية « **قمبيز** » وصحيح أن آراء الديوان لم يكن لها أن تتجه اتجاهاً أساسياً إلى المسرح ، ولكن لم يمنع هذا أن يكون تجديد **شوقي** ، أو اتجاهه التجديدي إلى المسرح من أثر حملات النقد ، ودعوات التجديد ، التي كانت تشعلها الديوان ، فبدأ **شوقي** هذا الاتجاه ردًّا على دعوى الجمود ، وحتى يحافظ على مكانته كرائد وأمير للشعراء ، ولم يكن **العقّاد** في نقده لقمبيز منكراً للتجديد أو الاتجاه المسرحي ، وإنما كان موجهاً ومؤصّلًا له .

ولقد كان لها أثر كبير في كل النشاط الشعري والنقدي ، واتجاهاتها التجديدية ، ولم يقف نشاط الديوان ولا دورها ، عند انفضاض شملها ، بل ظلت تقاوم الجمود ماثلة في قلم **الجاحظ** وشعره ودراساته ونقده ، وفكره الذي لم يتوقف حتى رحل ، ولم يقف دورها عند حدود زمنية بعينها ، **بل كان لها تأثيرها المباشر ، أو غير المباشر ، على كل الحركات الأدبية التالية لها** ، ولها تأثيرها الأدبي دون رفع راية أو لافتة أو شعار على الحركات والجماعات الأدبية التي تلتها كجماعة « **أبوللو** »* وغيرها .

لقد زلزلت الجمود والبِلَى ، وحطمت القيود التي كانت تحجز وتغلّ المواهب ، ودفعت الشعراء إلى أن يجودوا ويبدعوا ويجددوا ، فمكنت بذلك للشعر والفكر والأدب ، ولم تقف عند هذا الحد ، بل زحفت في قوة ووثوق ، ترعى هذا النبت الجديد من الأدباء ، ترودهم ، وتقسو في توجيههم حيناً ، وتلزم التؤدة حيناً آخر ، وشجعت المحاولات الجديدة ، وأخذت بيدها في كل الأقطار ، وقدّمتها ، ولم تبخل عليها بالنصح ، **فأرست بذلك قواعد النضج الفني والأدبي والشعري والنقدي ، فابتدأ الشعراء يطرقون أبواب الفنون الحية ، وأحس الأدب بروح الاستقلال تملأ كيانه .**

وقد صححت « **الديوان** » مفهوم القومية في الأدب ، ولم يقتصر نقدها على الأدب الحديث ، بل اقتحم أبواب الأدب القديم في **ابن الرومي وأبي العلاء والمتنبي وأبي نواس وبشار** ، فأحيوا بها تراثنا الأصيل من الشعر القديم ، وقدّموها في ثوب ونهج ، ودراسات أدبية حديثة ، وفتحوا بذلك باباً لا تقلّ أهميته عن آرائهم النقدية ، وبذلك تلاقت الأصالة والمعاصرة واستوعب الفكر الأدبيّ هذا التلاقي ، فازدهر ، وازدهر النقد ، وازدهار النقد يعني ازدهار الأدب .

وقد طالبت هذه المدرسة بأن يكون الشعر تعبيراً عن الوجدان الفردي ، وقد نجحت هذه الدعوة ، وصبغت تجديدنا الشعري كلّه بطابعها ، وإن يكن هذا الوجدان الفردي قد تطور بعد ذلك إلى وجدان جماعي ، وإن كان اتجاههم إلى الوجدان الفردي كان للتعبير عن ذاتهم والتنفيس عما كربتهم به الحياة .

مدرسة الديوان
وأثرها في الشعر والنقد

والذي يُحمد لهذه المدرسة أنها **لم تخرج على القديم في دعوتها إلى الجديد** ، ولعل تقديم الأعمال القديمة التراثية لفطاحل الشعراء في العصر العباسي يُعتبر منهم إيماناً بدور هذا القديم ، واعترافاً منهم باحترامه ، بل إننا لو فحصنا نتاجهم الشعري ، وهو كثير ، نجد أساليب القدماء ، وتعابيرهم واضحة فيه ، فشعرهم لم يتخلص نهائياً من أسر القديم في أساليبه ، وتشبيهاته وصياغته ، **فعبد الرحمٰن شكري** مثلاً يقول في مطلع قصيدته « **خميلة الحب** » :

تمهل ــ رعاك الله ــ أقضي لُبانتي ... وأتلو على تلك الرياض تحيتي

والدعاء قديم في الشعر ، واللبانة لفظ قديم أيضاً ، وهي الحاجة .

وله قصيدة ثانية هي « **ظالمي ما أعدلك** » يقول في مطلعها :

ظالمي ما أعدلك ... فاقْض إن الحكم لك

وهي على نمط قصيدة أبي نواس التائبة « **لبّيك إن الحمد لك** » .

والعقاد رأس هذه الجماعة المفكرة ، يعارض قصيدة **أبي العلاء المعرّي** :

ذكّراني نعيمها ذكّراني ... حبّذا لو علمتما ما أعاني

يقول **العقّاد** :

علّلاني . . فإن بيض الأماني ... فَنِيَت . . والزمان ليس بفاني

والمازني هو الآخر نجده يقف عند مظاهر التقليد في قوله :

ما للحمام يُغنّيني على فَنَنِ
غضّ التثنّي منير النّور ميّاس
والروض كيف اكتسى بالوشي محتفلاً
وراح فيه . . وقلبي واجدٌ آس
دنيا تغيّض من بشري . . وتبسم لي
كالعضب مؤتلقاً يهوي إلى الراس
هيهات ما تحفل الدنيا بملتهف
ولا تبالي بإسعاد وإتعاس
لن يخلع الروض أبراد الحيا جزعاً
ويكتسي دارس الأفواف للناس

صحيح أنهم لم يحاربوا الألفاظ والتشبيهات لأنها قديمة ، وإنما اعترضوا على مواقعها التي لا تحدث حركة وضوء وظلاً ولوناً جديداً في الصورة ، ولا تزيد من الصورة الشعرية وجمالها ، أما إذا كانت هذه التشبيهات وتلك الاستعارات واقعة موقعها ، مُحدثة أثرها النفسي والفني ، يدرك الشاعر سرّ إجرائها ، ويحسّ المتلقّي هذا السرّ فهي مطلوبة مرغوبة ، ولها عندهم الموقع العذب الجميل .

ما قصّرت فيه مدرسة الديوان

وقفت آراء هذه المدرسة عند أبواب الشعر الغنائي ، ولم تتعدّها إلى الشعر الموضوعي ورحابته ، ولم تقتحم عالم الشعر الموضوعيّ ، لتبين لنا فيه رأيها ، ولتحدد دوره في حركة الفنون ومسيرتها ، أو تبشر به وتدعو له ، وتدرس أصوله ومعاييره ، وتبحث وسائل النهوض به ، بل وقفت عند الشعر الغنائي باعتباره أصل أجناس الأدب وأعرقها ، وهو المجال الذي كان اتجاهه سائداً في عهدهم .

كما أن المنهج النفسيّ الذي حاولت هذه المدرسة تطبيقه على كل شعر وشاعر ، والاهتمام بظهور شخصيّة الشاعر في شعره ، ومناداتهم بالنظر إلى من قال لا إلى ما قيل ، يُعتبر هذا المنهج بُعداً عن الشعر الموضوعيّ .

ويكفي ما قدّمت ، من جهد في جانب الشعر الغنائي لتصبح مدرسة لها جذورها الضاربة في حركة الشعر والنقد المعاصرين .

الهوامش

(١) « جماعة أبوللو وأثرها في الشعر المعاصر » ، ص ٧٠ .

(٢) « فيض الخاطر » لأحمد أمين ، جـ ١ ، ط ٤ ، ص ٣٥٥ ، تحت عنوان « النقد الأدبي » .

(٣) ديوان « بعد الأعاصير » للعقّاد ، ص ١٤٣ ، ومن يؤثر القصة هو المازني ، ومن يؤثر الشعر هو شكري ، ومن يؤثر الفكر هو العقّاد .

(٤) بحث شكري في الميزان منشور في « الهلال » عدد فبراير (شباط) عام ١٩٥٩ م ، للعقّاد ، وراجع : « النقد والنقّاد المعاصرون » لمندور ، ص ٥٥ .

(٥) « في الأدب المعاصر » للدكتور عبد الرحمن عثمان ، ص ٨٠ .

(٦) راجع : « بعد الأعاصير » ، ص ١٤٢ ، دار المعارف ، سنة ١٩٥٠ م ، و « شعراء مصر وبيئاتهم » ، ص ١٩٢ ، و ١٩٣ .

(٧) « بعد الأعاصير » ، ص ١٤٥ .

(٨) ص ٧١ ، الحلقة الثالثة من الشعر المصري بعد شوقي لمندور .

(٩) « النقد والنقّاد » لمندور ، ص ص ١٦٢ ، ١٢٢ ، و « ساعات بين الكتب » للعقّاد ، ط ١ ، ص ١١٨ ، و ١٥٩ ، و ٢٩٠ .

(١٠) « الديوان » ، ص ص ٢٥ ــ ٢٦ ، ط ٢ ، بتصرف .

(١١) « ساعات بين الكتب » ، طبعة بيروت ، ص ١٥٧ .

(١٢) « نظرات في فكر العقّاد » ، ص ٣٣ ، عثمان أمين .

(١٣) أدب المازني للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، ص ٧٧ .

(١٤) « مع العقّاد » ، ص ص ١١٢ ــ ١٢٠ ، و « فيض الخاطر » ، جـ ١ ، ط ٤ ، النهضة ، ص ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨ .

(١٥) ص ٩٢ .

(١٦) « المعارك الأدبية » لأنور الجندي ، « الهلال » ، نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٨ م .

(١٧) أحمد شوقي ، ص ١٥ .

(١٨) الحلقة الأولى من « دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه » ، ص ٢٤٢ .

(١٩) أثبت الأستاذ علي أدهم ، ذلك .

(٢٠) « ثورة على أمير الشعراء » ، مجلة « المجلة » ، نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٨ م .

(٢١) « شعراء مصر وبيئاتهم » ، ص ص ١٨٤ ــ ١٨٥ .

(٢٢) « مع العقّاد » لعثمان أمين ، ص ١٠٤ .

(٢٣) في حديث تلفزيوني بعنوان « تجمك المفضل » كان العقّاد ضيفه .

(٢٤) « الأدب المقارن » للدكتور محمد غنيمي هلال ، ص ص ٣٢ ــ ٤٢ ، ط ٣ ، الأنجلو المصرية فبراير (شباط) عام ١٩٦٢ م ، بتصرف .

(٢٥) « الشعر والشعراء » .

(٢٦) « عيار الشعر » ، ص ص ١٢٤ ــ ١٢٧ .

(٢٧) « في الأدب الحديث » ، جـ ٢ ، ط ٤ ، ص ص ٢٥٨ ــ ٢٧٠ .

(٢٨) « النقد والنقّاد المعاصرون » ، ص ٢٣ ، ٧٥ ، ١١٠ .

(٢٩) الشفاء ، ص ٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ .

★ **المجلة :** طالع العدد (٣٣) من مجلة « **الفيصل** » ، الصادر في شهر ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ، الموافق فبراير (شباط) ١٩٨٠ م ، دراسة شاملة عن جماعة أبوللو .

وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون

بقلم: أعسو أبو إسماعيل

الوظيفة ـ كما تحدد ألسنياً ـ هي الدور الذي يلعبه العنصر اللغوي في البنية النحوية للتعبير، فكل عنصر من عناصر الجملة يعد مساهماً في تحديد معناها الشمولي[١].

نكتنه أن اللغة في تركيبها تعد نسقاً وظيفياً، إذ إن كل مكون من مكونات بنيتها يهدف إلى تحقيق وظيفة ما، تتجسد في قصد المرسل في التواصل.

وهكذا، فكلما استهدفنا التواصل الكلامي، كنا قبالة مجموعة متنوعة من الوظائف اللغوية. ونظراً لكون هذه الوظائف تحتل ركناً كيانياً في بنية اللغة، نادت **حلقة براغ اللسانية** (Le cercle linguistique de prague) بضرورة دراسة اللغة بوصفها نسقاً وظيفياً (Système fonctionnel)[٢].

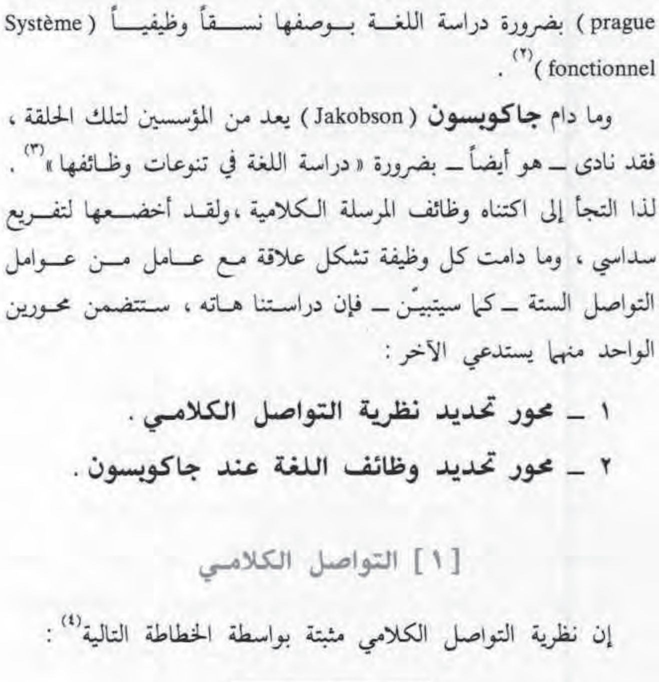
وما دام **جاكوبسون** (Jakobson) يعد من المؤسسين لتلك الحلقة، فقد نادى ـ هو أيضاً ـ بضرورة « دراسة اللغة في تنوعات وظائفها »[٣]. لذا التجأ إلى اكتناه وظائف المرسلة الكلامية، ولقد أخضعها لتفريع سداسي، وما دامت كل وظيفة تشكل علاقة مع عامل من عوامل التواصل الستة ـ كما سيتبيّن ـ فإن دراستنا هاته، ستتضمن محورين الواحد منهما يستدعي الآخر:

١ ـ محور تحديد نظرية التواصل الكلامي.

٢ ـ محور تحديد وظائف اللغة عند جاكوبسون.

[١] التواصل الكلامي

إن نظرية التواصل الكلامي مثبتة بواسطة الخطاطة التالية[٤]:



يتبين أن التواصل الكلامي يستدعي ستة عوامل، ذلك أن المرسل يرسل مرسلة لغوية إلى المرسل إليه، بيد أن المرسلة لكي تكون مؤثرة فهي (تقتضي) بداءة سياقاً ـ أو مرجعاً ـ تحيل عليه، ثم سنناً (Code) مشتركاً بين المرسل والمرسل إليه. وأخيراً (تقتضي) المرسلة وسيلة اتصال، أو قناة فيزيقية (Canal Physique) ـ الصوت، الكتابة ـ لتتمكن من تثبيت الاتصال[٥]. إن هذه العوامل الستة ـ مرسل، مرسلة، وسيلة الاتصال، سنن، السياق، أو المرجع ـ تحتل ركناً كيانياً في أي اتصال كلامي، إذ إن الواحد منها يستدعي الآخر، لذا فدور العامل الواحد يتحدد في إطار علاقته بباقي العوامل، بيد أنه لا بد من التنبيه إلى « أن كل عامل من العوامل الستة يولد وظيفة لسانية مختلفة »[٦]، لذا أشرنا إلى نظرية التواصل الكلامي.

[٢] وظائف اللغة

سيتبيّن بجلاء من خلال هذا المحور أن كل وظيفة ترتبط بعامل من عوامل التواصل الكلامي:

(١) **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية** (Fonction expressive ou emotive): تتمركز حول مرسل المرسلة الكلامية.

(٢) **الوظيفة الإيعازية** (Fonction conative): تتمركز حول المرسل إليه أي ملتقط المرسلة.

(٣) **الوظيفة المرجعية** (Fonction référentielle): تتمركز حول المرجع أو السياق.

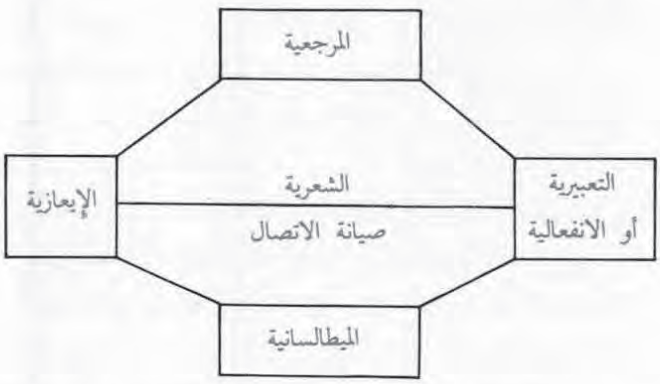
(٤) **وظيفة صيانة الاتصال** (Fonction phatique): تتمركز حول القناة الفيزيقية أو وسيلة الاتصال.

(٥) **الوظيفة الميطالسانية** (Fonction métalinguistique): تتمركز حول السنن (Code).

وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون

(٦) **الوظيفة الشعرية** (Fonction poétique) : تتمركز حول المرسلة .

ولقد مثل جاكوبسون هاته الوظائف اللغوية بواسطة الخطاطة التالية[٧] :



١ ــ **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية :** تشير هذه الوظيفة بتعبير مباشر إلى موقف المرسل من مختلف القضايا التي يتكلم عنها ، فهي تهدف إلى تحديد انطباعات حقيقية أو تصنعية .

ويوضح جاكوبسون أن الطبقة الانفعالية (Couche emotive) الخالصة في اللغة تكون ممثلة بواسطة الصيغ التعجبية ، وهذه الصيغ تبتعد عن اللغة الإرجاعية (Langage référentiel) بواسطة التشكيل الصوتي من جهة ، وبواسطة دورها التركيبي من جهة أخرى[٨] .

ويمكن القول إن كل دليل (Signe) يكشف عن شخصية المرسل يعد متعلقاً بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية .

جلي أن هذا الكشف يتجسد بجلاء على مستوى **بنية السيرة الذاتية** ، « فأهم شيء يثير الانتباه في السيرة هو سلطة (**الأنا**) . ذلك أن الكاتب يبدو مراقباً أميناً لذاته وقادراً على وصفها بدقة في جميع أحوالها »[٩] . ولعل تلك السلطة هي التي جعلت الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية تعد المبدأ التنظيمي لباقي الوظائف التي تشكل معها بنية السيرة الذاتية .

٢ ــ **الوظيفة الإيعازية :** هذه الوظيفة تستحضر الدلائل المرتبطة بالمرسل إليه ، وهذا الاستحضار يتجسد بجلاء بواسطة توظيف :

١ ــ ضمائر الخطاب .

٢ ــ الصيغ الأمرية .

٣ ــ الصيغ الندائية[١٠] ، بالإضافة إلى صيغ الدعاء والنهي والإرشاد . . . إلخ .

إن هذه الوظيفة تعد المميّز الأساسي للخطب بشتى أشكالها وأصنافها ، فهي الوظيفة المهيمنة (Fonction Dominante) على باقي الوظائف التي تشكل هيكلية خطبة ما . إذ إن الخطبة تستهدف التأثير في الآخر ، أي في المرسل إليه ، وما دامت تستهدف ذلك فإنها تستدعي الوظيفة المرتبطة بالمخاطب .

٣ ــ **الوظيفة المرجعية :** « تظهر هذه الوظيفة في المرسلات ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداثاً معينة ، تشكل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل ، ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معيّن نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله »[١١] .

لذا فالدلائل التي تشكل هذه الوظيفة تحيلنا على « كون الخطاب » الذي وردت فيه .

ويرى **دوكرو** (Osuald Ducrot) أن كون الخطاب (L'univers du discours) قد يكون واقعياً أو خيالياً[١٢] . لذا فروايات الخيال العلمي رغم كونها ذات بعد خيالي ، فهي تتوفر على الوظيفة المرجعية بالإضافة إلى باقي الوظائف .

إن الوظيفة المشار إليها لا توجد إلا في إطار علاقتها بمرجع معين . أي الواقع الذي يتناوله الحديث أو المرسلة اللغوية بغض النظر عن الانفعالات الشخصية[١٣] . **ولا محالة أن هذه الوظيفة تجد مجالها الخصب في الروايات الواقعية والمقالات السياسية والاجتماعية والمسرحيات والأفلام التاريخية . . . إلخ .**

ونشير أنه يتم التمييز بين نموذجين خالصين للمرسلة ذات الوظيفة المرجعية :

(١) **النبأ** (L'information) .

(٢) **التقرير** (Compte rendu) .

إن النموذج الأول يتجسد بجلاء في النشرة الصحفية والنبأ الإداري أو المالي . . . إلخ . وهو يخضع لقاعدة **ثلاثية : الوضوح ، الاقتضابية (Laconisme) ، الكثافة** (Densité) ــ أكبر عدد من الأخبار في أقل عدد من الكلمات[١٤] ــ .

بيد أن النموذج الثاني يتجسد في المرسلات التي ترصد مجريات الاجتماعات الإدارية والمالية والرياضية والتربوية . . . إلخ[١٥] .

٤ ــ **وظيفة صيانة الاتصال :** تستهدف المرسلة الكلامية من خلال هذه الوظيفة تثبيت التواصل وتمديده ، وتأمين استمراره بين المرسل والمرسل إليه[١٦] . ويتبيّن أن هذه الوظيفة تستهدف أيضاً تبيان مدى قدرة المرسل إليه على استيعاب مرسلة المرسل . ويرى جاكوبسون أنها ــ نظراً لأهميتها ــ تعد أول وظيفة تُكسب من طرف الأطفال ، ذلك أن الانتحاء

إلى التواصل يسبق لديهم القدرة على إرسال أو تلقي المرسلات المحملة بالأخبار[١٧] .

ويمكن معاينة هذه الوظيفة في التلفظات التالية : « ألو هل تسمعني ؟ » ، « نعم أسمعك » ، « هل فهمت ؟ » ، « نعم فهمت » .

إن هذه الوظيفة ــ رغم أن التواصل الكلامي يستدعيها بين الآونة والأخرى ــ تستحضر عدداً محدوداً من الكائنات التركيبية الدلالية كلما استهدفها المرسل ، لذا فهي تتميّز بالاقتضابية .

بيد أن صورتها الثانية ــ التي هي غير خالصة وغير مباشرة ــ تستدعي العدد الكثير من الكائنات التركيبية التي تخضعها لتقنيات شتى تتمثل في العمليات التالية :

ــ اختيار الألفاظ المتداولة .

ــ تجنب التعقيد .

ــ تجنب الاستطراد المستكره .

ــ تجنب الإطناب المستكره .

ــ تجنب السجع المخل بالمعنى .

نقتصر على هذه الأمثلة ونشير إلى أن هذه العمليات يستهدف من ورائها المرسل إقامة التواصل وصيانته .

٥ ــ الوظيفة الميطالسانية : يرى جاكوبسون **أن علم المنطق المعاصر يميّز بين مستويين للغة :**

أ ــ مستوى اللغة ــ الموضوع (Langage - objet) : تتحدث فيه اللغة عن الموضوع .

ب ــ مستوى الميطالغة (Métalangage) : تتحدث فيه اللغة عن ذاتها .

بيد أن الميطالغة ليست أداة ضرورية لممارسة المنطقيين فقط ، بل إنها ضرورية لممارسة الألسنيين كذلك . إذ إنه كلما ارتأى المرسل أو المرسل إليه مراجعة إمكانية استخدامها لسنن مشترك بينهما ، فهما من خلال هذه العملية يشكلان الوظيفة الميطالسانية ــ أو وظيفة التفسير ــ .

وبواسطة الإجراءات الميطالسانية يتوصل الطفل إلى اكتساب اللغة . لذا فجاكوبسون يحدد الحبسة (L'Aphasie) بفقدان قابلية تحديد الإجراءات الميطالسانية[١٨] . لذا فهذه الوظيفة تظهر في المرسلات التي تتمحور حول اللغة ذاتها وتشمل هذه الوظيفة تسمية عناصر البيئة اللغوية وتعريف المفردات[١٩] . والواقع أنها هي التي تمكننا من تحديد المصطلحات العلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية . . . إلخ ، ليستوعبها الآخر . بل إنها هي المبدأ التنظيمي للمعجم بشتى أصنافه .

ويمكن القول إن هذه الوظيفة تفرض وجودها على مستوى الواقع التواصلي .

٦ ــ الوظيفة الشعرية : نعاين هذه الوظيفة في المرسلات المتمحورة حول المرسلة ذاتها ، ويرى جاكوبسون أن كل محاولة لإخضاع دائرة الوظيفة الشعرية للشعر أو لحصْر الشعر في تلك الوظيفة تنتهي إلى اختزال ــ على مستوى الوظائف ــ مفرط وخادع[٢٠] .

تُرى لماذا لا يمكن أن نخضع الوظيفة الشعرية للشعر ؟ ، لا يمكن ذلك ، لكون هذه الوظيفة توجد في أنماط خطابية بعيدة عن الشعر ، بل إننا يمكن أن نجدها في كلام العامة .

ولقد تنبه **الجاحظ** إلى ذلك حيث يقول : « وسمعت غلاماً لصديق لي ، وكان قد سقي بطنه وهو يقول لغلمان مولاه : اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى .

وهذا الكلام يخرج على خروج فاعلاتن مفاعلن ، فاعلاتن مفاعلن مرتين ، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبداً ، ومثل هذا كثير ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته »[٢١] .

لذا ، وكما تقول **جوليا كريستيفا :** فكل ممارسة لغوية بعيدة عن الشعر يمكن أن تمنح مكاناً للوظيفة الشعرية[٢٢] .

تُرى ولماذا لا يمكن أن نحصر الشعر في الوظيفة الشعرية ؟ ، لا يمكن ذلك ــ كما يرى جاكوبسون ــ لأن الوظيفة الشعرية لا تعد الوظيفة الوحيدة للفن اللغوي ، فهي ليست سوى الوظيفة المهيمنة . إذ إنها تضم بالإضافة إلى تلك الوظيفة مجموعة من الوظائف التي تلعب دور المساعد والتابع واللاحق .

لذا ، فالدراسة الألسنية للوظيفة الشعرية يجب أن تتجاوز أمد الشعر ، فهذا من جهة . ومن جهة أخرى يجب على التحليل الألسني للشعر أن لا يحد بالوظيفة الشعرية ، إذ إن الأنواع الشعرية تجعلنا نكتنه تواجد مجموعة من الوظائف الكلامية بجانب الوظيفة المهيمنة ــ الوظيفة الشعرية ــ . **فالشعر الملحمي** أو **الحماسي** ، يستدعي بشكل جلي الوظيفة المرجعية . **والشعر الغنائي** يستدعي الوظيفة الانفعالية . كما أن **الشعر الموجَّه** نحو المرسل إليه يتبدى مرتبطاً بالوظيفة الإيعازية[٢٣] .

ولكن ما هو المعيار اللساني الذي وفقه نتعرف تجريبياً على الوظيفة الشعرية ؟

في البداية نشير إلى نمطين جوهريين للتنسيق الكلامي وهما :

ــ **الانتقاء** (La selection) .

ــ **التأليف** (La combinaison) .

فحينما يكون مثلاً « الولد » موضوع مرسلة ، فالمتكلم ــ كما يرى جاكوبسون ــ يقوم باختيار ذلك الاسم من بين مجموعة من الأسماء المتناظرة قليلاً أو كثيراً : ولد ، صبي ، طفل ، ابن . . . ولكي يفسر ذلك الاسم ــ الموضوع (Thème) يقوم المتكلم باختيار فعل من بين

وظائف اللغة عند رومان جاكوبسون

مجموعة من الأفعال المتقاربة دلالياً : نـام ، نعس ، اسـتراح ، غفـا . . . إلخ ، بعد عملية الانتقاء تتـم عملية التأليف ، فنحصل مثلاً على النموذج التالي : نام الولد ، لذا فالانتقاء يتسم بالحضور ، وهو نـاتج عـن قـاعدة التساوي والتشابه واللاتشابه والترادف والتضاد ، بيـد أن التـأليف يعتمـد على المجاورة .

ونشير أن الوظيفة الشعرية ، تسـقط مبـدأ تسـاوي محـور الانتقاء على محور التأليف ، فمثلاً في الشعر كل مقطع طويل يشـكل معادلة مع باقي المقاطع الطويلة . ويعاين جاكوبسون أن الميطالغة هي أيضاً تلجأ إلى الوحدات المتعادلة لتأليف التعابير في جملة المعادلة حيث : أ = أ مثلاً : الإنسان حيوان ناطق .

ويشير جاكوبسون إلى تواجد تعـارض تـام بـين الشـعر والميطالغة ، فهذه توظف التعبير لبناء معادلة مـا ، بينما الشـعر يـوظف المعادلة لبناء التعبير ، وهذا الاسـتخدام يعـد المميِّز الأساسي للـوظيفة الشعرية .

ونظراً لأهمية هذه الوظيفة فجـاكوبســون يسـتدعي الشـعرية (La Poétique) لتقوم بدراسة هذه الوظيفة في إطار علاقتها بـباقي الـوظائف ، وهي لا تهتم بالوظيفة الشعرية في مجال الشعر بمفرده ، وإنما تهتم بها في جل مجالات التجليات اللغوية[24] .

ويؤكد **أمبرتو إيكو** (Umberto Eco) على « أن هذه الوظائف يمكن أن تتواجد جميعها في مرسلة واحدة ، فنحـن نعـثر في الجزء الأكبر مـن أجزاء اللغة اليومية ، على تداخل هذه الوظائف ببعضها وتراكبها حتى ولو كانت إحدى الوظائف تطغى [على غيرها] »[25] .

بل إن جاكوبسون يؤكد على استحالة وجود مـرسلات تـؤدي وظيفـة واحدة ، وأن بنية كلامية لمرسلة لغوية مـا تخضـع للـوظيفة السـائدة أو المهيمنة (La domianate) . ويعد مفهوم المهيمنة من أكثر مفاهيم النـظرية الشكلانية جوهرية وصياغة وإنتاجاً . ويعرف جاكوبسون المهيمنة بـوصفها عنصراً بورياً (Focal) للأثر الأدبـي : إنها تتحكم وتحدد وتغـير العنـاصر الأخرى ، كما إنها تضمن تلاحم البنية . ويمكن البحث عن وجود مهيمنة ليس فقط في الأثر الأدبـي لفنان مفرد ، بل في حقبـة معينـة ، بـاعتبارها كلاً واحداً[26] .

خـاتمـة

نشير بعد التحديدات الواردة إلى أن جاكوبسـون التجـأ إلى التفـريع الوظيفي للغة ليؤكد مشروعية دراسة الفـن اللغـوي بـالمفاهيم اللسـانية . فالألسني ـ الذي موضوع دراسته يلامس جل أشكال اللغـة ـ يجـب أن يدرج الشعر ضمن أبحاثه بـوصفه ـ كما يـرى **رانسـوم** (Ransom) ـ شكلاً من أشكال اللغة . لـذا ، وكما يقـول **هـولاندر** (Hollander) : يبدو أنه لا وجود لحـجة مشروعة لفصل المسـائل الأدبيـة عـن المسـائل اللسانية[27] .

وما دامت اللسانيات ، تدرس جل التجليات اللغـوية ، وتعـد العلم الذي يشمل بإجرائيته جل البنى اللسانية ، فإنه في الإمكان اعتبار الشعرية (La Poetique) فرعاً من فروع اللسانيات[28] .

الهـوامـش

★ رومان جاكوبسون : ولد سنة (١٨٩٦ م) ، يعد مـؤسس حلقـة مـوسكو اللسـانية (١٩١٥ ـ ١٩٢٠ م) ، ومن المنظرين الشكلانيين ، كان عنصراً بـارزاً ضـمن حلقـة « بـراغ اللسانية » .

(١) Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, P. 215.

(٢) Julia Kristeva, le langage cet inconnu, seuil, P. 221.

(٣) R. Jakobson, Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963, P. 213.

(٤) Francis Vanoye, Expression Communication, Collection: U, 1973, P. 13.

(٥) جاكوبسون ، المرجع السابق ، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٩) لحمداني حميد ، طبيعة السيرة الذاتية وعلاقتها بالرواية ، مجلة « آفاق » ، يصدرها اتحاد كتّاب المغرب ، العددان ٣ ـ ٤ ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤ م ، ص ٣٣ .

(١٠) F. Vanoye ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(١١) ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) ، المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ م ، ص ٥٤ .

(١٢) Oswald ducrot, Dire et ne pas dire (Principes de semantiques linguistique), collection savoir, P. 221.

(١٣) جورج دميان ، نظرية المرجع في الألسنية ، مجلة « الفكر العربي المعاصر » ، العدد ٢٥ ، (آذار ـ نيسان (مارس ـ أبريل) ١٩٨٣ م) ، ص ٣٣ .

(١٤) F. Vanoye ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(١٦) Jakobson ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(١٩) ميشال زكريا ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٢٠) Jakobson ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٢١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٤ ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٨٩ .

(٢٢) J. Kristeva ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(٢٣) Jakobson ، المرجع السابق ، ص ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢٥) إمبرتو إيكو ، المرسلة الشعرية ، مجلة « الفكر العربي المعاصر » ، العددان ١٨ ، ١٩ ، (شباط ـ آذار (فبراير ـ مارس) ١٩٨٢ م ، بيروت ، ص ١٠٢ .

(٢٦) رومان جاكوبسون [القيمة] المهيمنة ، نظرية المنهج الشكلي ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط ١ ، ١٩٨٢ م ، ص ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢٧) R. Jakobson, Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963, P. 248.

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

لمحات جديدة من حياة سيمون دي بوفوار (١٩٠٨-١٩٨٦م)



★ سيمون في مقتبل العمر ★



★ سيمون دي بوفوار ★

بقلم: د. زينب عبد العزيز

تعد الأديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار، التي ارتبط اسمها بالفيلسوف الأديب الفرنسي چان پول سارتر، من أشهر الوجوه النسائية في مجال الأدب والفكر الفرنسي في القرن العشرين الميلادي. وما أكثر ما كتب عنها وعن أعمالها وخاصة موقفها من الدين والإلحاد. إلا أن كراسة المذكرات التي عثر عليها أحد أصحاب المكتبات في مدينة «كان» بجنوب فرنسا، تكشف عن لمحات جديدة من حياة سيمون دي بوفوار. فقد كتبتها فيما بين أعوام ١٩٢٢، و ١٩٢٤م، بينما كانت طالبة بمعهد «ديزير» الديني بباريس. وتكشف هذه الكراسة عن أبعاد الجانب الديني في حياة الأديبة الراحلة.

كانت أديبة مُتديّنة

ومن أهم ما تضيفه هذه الكراسة، إلى ذلك الكم المتنوع من الكتابات التي تناولت حياتها، أنها كانت متدينة شديدة الارتباط بالكاثوليكية.. وعلى الرغم من أن هذه المعلومة ليست بجديدة تماماً، إلا أنه لم يكن هناك ما يعكسها أو يثبتها بمختلف تفاصيلها أو بشكل قاطع حتى ظهور هذه المخطوطات التي كانت تدونها في مرحلة شبابها أيام ارتيادها ذلك المعهد الذي أثر على نشأتها.

وعلى الرغم من أن سيمون دي بوفوار بدأت تكتب مذكراتها وهي في الخمسين من عمرها، إلا أن هذه الكراسة لا تكشف عن مدى ارتباطها بالدين وهي شابة فحسب، وانما تكشف عن مدى قلقها وإحساسها بالضياع، لدرجة الإفصاح عن رغبتها في دخول الدير وتكريس حياتها لخدمة الدين. فلم تكن ترى آنذاك ما هو «أفظع من أن يفقد المرء إيمانه».

ومن أول ما يتبينه القارئ لهذه الكراسة أن سيمون دي **بوفوار** اعتادت الاعتكاف كل عام. فهي تقول: **«كنت أعتكف كل عام فترة لا أعمل فيها شيئاً سوى الاستماع إلى الواعظ طوال اليوم، وحضور القداس، وتلاوة الصلوات والتأمل العميق (...). كنت أدوّن انطباعاتي ومشاعري وتدفق النزعة الدينية في الأعماق».**

وعلى الرغم من أن هذا المخطوط يقع في أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط، إلا أنه ينفرد بأهمية خاصة، إذ كانت الأديبة فيما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة من عمرها، حينما راحت تُدوّن تطور مشاعرها الدينية وهي تتابع الدراسة بمعهد **«ديزير»**، ذلك المعهد الذي التحقت به وهي في الخامسة والنصف من عمرها!

وكانت تحرص على الاعتكاف!

وتمثل هذه السنوات الثلاث، من **١٩٢٢** إلى **١٩٢٤م**، تلك المرحلة الهامة التي انتقلت خلالها من الإيمان إلى الوجودية مما يضفي أهمية خاصة على هذا المخطوط الذي عثر عليه **برنار بيديل** بمحض الصدفة، في أحد المزادات، بينما كان أحد هواة جمع المخطوطات الأميريكان على وشك شرائه.

ومما تقوله **سيمون** الشابة، إنها كانت تخرج من كل فترة اعتكاف أكثر صلابة في إيمانها. إذ توضح قائلة: **«فترة ما بعد الاعتكاف أشبه ما تكون بحالة البعث من جديد (...) فلا بد لنا من أن نعبر**

عما ينتابنا أثناءها، وأن نعكس إشعاعات هذه الفترة فيما حولنا، وأن نظهر ذلك في تصرفاتنا، وصلواتنا، وأن نعمل الخير لكل من نصادفه في طريقنا.. أي أننا يجب أن نشعر بالتغيير الذي يتم في أنفسنا وفي أعماقنا وأن نتصرف كالمبشرين في حدود أعمارنا».

وبالإضافة إلى ذلك الجانب، فإن هذه المذكرات تعكس انطباعات الكاتبة أثناء فترات التأمل، وكثيراً ما كانت تُدوّن الموضوع الذي تتناوله بالتفكير مثل **«التكوين الديني»**، أو **«الموت»** أو **«واجباتنا الاجتماعية»** أو **«السماء»** أو حتى **«كيفية المحافظة على ما نتخذه من قرارات وكيفية تنفيذها»**.. وبينما كانت تتأمل موضوع **«الفتور»** كتبت تقول: **«إن الفتور من أخطر الحالات التي تنتاب صاحبه: فلا بد للمرء من أن يعمل أكثر مما في مقدوره وأكثر مما في استطاعته إذا ما أراد أن يؤدي واجبه تماماً. فالفتور أشبه ما يكون بمنحنى الهاوية، إذ إن صاحبه يعمل قليلاً، ثم ينتهي به الأمر إلى عدم عمل أي شيء على الإطلاق».**

الضراعة إلى الله

ثم تتضرع إلى الله أن يعينها على اجتياز مرحلة الفتور التي تنتابها وترجوه أن يمنحها القدرة على الاستمرار والمثابرة والرغبة في أن تعاود العمل من جديد.. ثم تسأل الله قائلة: **«يا إلهي.. امنحني السلام، لي وللآخرين، فلقد وضعت كل ثقتي فيك يا رب ولن تتزعزع أبداً.. لقد دعوتك واستجبت لدعائي».**

أما عن موضوع **الموت**، ذلك الموضوع الذي لم يفارق فكر الأديبة الشابة، فقد كتبت تقول: «لا شك أننا نموت جميعاً. نموت تماماً.. يا لهلع فكرة الموت من الناحية الإنسانية، ويا لجمالها من وجهة نظر الدين.. إذ إن عودة الروح إلى خالقها تتضمن فكرة الخلاص ونهاية الآثام.. إن الإنسان يموت مثلما عاش، لذلك يجب على المرء أن يتوقع الموت في كل لحظة، إذ إن مجرد إدراك الإنسان أن مصيره الموت فلا بد أن يدفعه ذلك إلى أن يعيش بشكل أفضل.. وحتى إن كانت هذه الفكرة تصيبنا بشيء من القلق فيجب أن نألفها ونتعايش معها».

كما تكشف هذه المذكرات عن جوانب التناقض في حياة الأديبة، خاصة فيما يتعلق بنقطة الصراع بين الالتزام بالتقشف الديني والاستمتاع بالحياة الدنيا. فهي تقول: **«لا شك أن الرغبة في الاستمتاع تكمن في أعماق الطبيعة البشرية، خاصة إذا لم تكن من القوة بحيث يمكنها المقاومة.. فلنستمتع إذن في الحدود المسموح بها».**

إلا أن **سيمون دي بوفوار** راحت تضيف بكل صراحة: «أخشى حينما أبدأ صراع الاختيار أن تنقصني الشجاعة وأن أجد نفسي محرومة من مميزات معينة وأنا أتخلى عن هذا العيب أو ذاك».

الوضوح والصراحة

وهذه الصراحة الواضحة التي تنعكس في كتابات **سيمون دي بوفوار** الأديبة، الشابة المراهقة، ستظل سمة من سمات مذكراتها وكتاباتها على السواء، حتى وإن اضطرت في الواقع أن تلجأ إلى بعض التصرفات غير الصريحة. بل ستظل من السمات المميزة لأسلوبها وتعبيرها. فحينما تكتب ليس في وسعها أن تخادع: **أي إن عملية الكتابة عندها تبدو كأنها لا تحتمل الكذب الذي يحيط بها أو الذي تضطر إلى التعامل به ومعه أحياناً!.**

الكتابة مرآة تعكس الحقيقة

أما من حيث الأسلوب، فإن هذه الكراسة تعكس، منذ تلك السن المبكرة، نفس المعالم التي اشتهرت بها **سيمون دي بوفوار** الأديبة المحنكة وهي: عدم استخدام الكلمات الطنانة أو عدم الإسهاب في المفردات والالتزام بالتعبيرات المحددة. فالكتابة بالنسبة لهذه الشابة تبدو كالمرآة التي تعكس لها الحقيقة.

ثم بدأت صراعاتها النفسية تنعكس بين السطور. ففي عام **١٩٢٢م**، كتبت تقول: «لقد اتخذت قرارات حاسمة في العام الماضي فيما يتعلق بثلاث نقاط: **الإيمان، والعمل، والأخلاقيات**. ترى كيف التزمت بقراراتي هذه؟ إن إيماني لم يزد، بل على العكس.. لقد بدأت أتباعد عن ممارسة شعائري الدينية. فقلما جلست أتأمل مثلما اعتدت. كنت فاترة في اعترافاتي. إنني لم أحرز أي تقدم. ومع ذلك، فكم جاهدت ألا أفقد إيماني حينما كنت أشعر به ينساب بعيداً عني. وتعلمت أن أصلي حتى حينما لم تكن لي رغبة في ذلك، أو حينما كنت أجد نفسي في حالة من الجدب الديني».

طلب العون الإلهي

وفي العام التالي، وكانت **سيمون** في الخامسة عشرة من عمرها، يظهر الصراع في أعماقها ويبدو الانشقاق أكثر وضوحاً. فهي تقول: **«إن إهمالي قد سيطر عليَّ وغلبني. فكثرة اهتماماتي جعلتني أفكر في المسائل الأرضية أكثر مما أفكر في السماء»**.. وتختم هذه الفقرة قائلة: **«ساعدني يا إلهي.. ساعدني على الكفاح!»**.

وحاولت **سيمون دي بوفوار** الشابة أن تكافح.. وكافحت من أجل المحافظة على

قراراتها وعلى التزاماتها . فراحت تعمل لنفسها برنامج عمل لفترات الإجازة ، بينما تستمر في تدوين مذكراتها من وقت لآخر ، ففي هذه الفترة كتبت تقول : « **الاستيقاظ في السابعة والنصف . تناول الإفطار في الثامنة والنصف . تأمل وصلاة حتى التاسعة والنصف . عمل حتى الحادية عشرة . عزف على البيانو حتى الثانية عشرة . وفي فترة بعد الظهر عمل وصلاة** » .

كما كانت تحدد لنفسها عدم قراءة الأعمال غير المجدية وألا تضيع وقتها في التفاهات ، والالتزام بقراءة « **حياة المسيح** » ومحاولة تقليدها . إلا أنها كانت تُدوّن بكل أسف قائلة : « **كثيراً ما يقول المرء أمام المغريات إن محاولة مقاومتها تسبب معاناة رهيبة ، فمن الأفضل أن أخضع لها .. يا له من جنون** » !

وبعد ذلك بثلاثين عاماً ، وبينما كانت **سيمون دي بفوار** تتناول هذه المرحلة من حياتها في المذكرات التي بدأت كتابتها في الخمسينات ، كتبت تقول عن الدروس التي خرجت بها آنذاك :

« إن مرحلة شبابي قادتني إلى إتقان وسائل التأمل المختلفة ، وكنت أستخدمها جميعها ، فقد تعلمت ألا أهمل أي شيء أو أي إنسان مهما كان متواضعاً . فالجميع من حقهم تحقيق ذاتهم . وحينما كنت أضيع وقتي ، كان ذلك يعني أنني أخون رسالتي وأقترف إثماً في حق الإنسانية » .

في خدمة الإنسانية

أي إنها كانت تطالب نفسها بأن تكون حياتها مفيدة مجدية وألا تضيع منها في الفتور الذي عانت منه فترات . وظلت على نفس موقفها من نفسها . ففي عام ١٩٧١ م ، حينما شب حريقٌ في أحد المصانع التي تستعين بالنساء العاملات ، في ضواحي باريس ، ظلت **سيمون دي بوفوار** تحقق في أسباب الحريق وتستجوب المصابات وتعاين الموقع وتتأمل آثار الإصابات .. وكم كانت تساند عالم العمال عامة والعاملات بصفة خاصة ، وقد بلغ تأثرها بهذا الحدث لدرجة دفعتها إلى كتابة مقال من أعنف المقالات التي كتبتها ونشرته في جريدة « **چاكوز** » . واختتمت ذلك المقال بتلك الجملة التي أثارت الكثيرين ممن في الحكم وخارجه . إذ كتبت تقول : « **نعم .. في فرنسا اليوم ، يمكن القتل بلا عقاب !** » .

قضية المرأة

ولعل أبرز صفة من صفات **سيمون دي بوفوار** هي ثبات إخلاصها : إخلاصها لنفسها وتطلعاتها ، وإخلاصها للقضايا التي تبنتها وخاصة قضية المرأة ، تلك القضية التي ظلت تكافح من أجلها في مختلف كتاباتها . فقد كان جيل الخمسينات الذي تنتمي إليه ، يعترض إجمالا على فترة الجمود الأدبي التي سادت ما بعد الحرب مباشرة . وتألقت الاتجاهات الفلسفية بريادة **چان پول سارتر وألبير كامو** . فلم يعد في وسع الأديب أن يغرق في سرد القصص والحكايات وأن ينمق أسلوبه ، وإنما كان عليه أن يكون شاهداً على عصره ، أن يصف ما آلت إليه الإنسانية وظروف معيشتها ، وما وصلت إليه العلاقات بين الناس . أي إنه كان على الكاتب أن ينتمي إلى الوجود الذي يحيط به ، ينتمي للوجود الجماعي وليس للوجود الفردي فحسب . وفي هذا الموقف الجديد ، من خلال ذلك الدور الاجتماعي ، كان الكاتب يلتزم بخدمة فكرة معينة ، وعمل جماعي معين . فلم يعد يكتب لينال الإعجاب وإنما يكتب ليكشف ويدين ويتهم . ذلك لأنه يمثل الجيل المطحون الذي عاصر الحرب وعايش ويلاتها ، مما أضفى على رؤياه قتامة لا تمحى .

وكان من أبرز شبان هذا الجيل الأديب **روچيه نيمييه** الذي بلغ العشرين من عمره عام ١٩٤٥ م ، وكتب يقول : « في العشرين من عمري ودخان **هيروشيما** يلقننا درساً لا ينسى . إن العالم فان ، وقادته غير جادون » .. ثم يضيف بعد ذلك بقليل : « سنوات مثقلة بالجثث والإعياء .. فما كدنا نأمل في ثورة ترتسم ملامحها أمامنا حتى فوجئنا

★ سيمون دي بوفوار وسارتر ★



سيمون دي بوفوار

لمحات جديدة من حياة

بأن للثورة أكاديمية ، وللفوضى مجلس أعلى ، وللدماء أتربة تكسوها كالراية الوطنية ! » .

في بوتقة الوجودية

لذلك كان على شباب ذلك الجيل أن يتخذ من وقاحة الهجاء درعاً يهاجم الأفكار المسبقة والفلسفة السائرة والأدب الآسن . . ووسط ذلك الملل العام ، وتلك الأحزان المتراكمة واليأس الشاحب التقت **سيمون دي بوفوار** بالأديب الشاب **جان پول سارتر** وانصهرت أفكارها في بوتقة الوجودية وتجربتها الميتافيزيقية .

احتفالات الوداع

وإن أمكن اختصار حياة **سيمون دي بوفوار** في سطور ، بأنها ولدت عام ١٩٠٨ م ، في أسرة بورجوازية ، وحصلت على **ليسانس الفلسفة** عام ١٩٢٩ م ، وبدأت حياتها بالانشغال في التدريس ، ثم كرست حياتها للأدب اعتباراً من عام ١٩٤٣ م ، وارتباطها بالأديب الفيلسوف **جان پول سارتر** ذلك الارتباط الذي توجته عام ١٩٨١ م ، بكتاب يحمل عنوان : « **احتفالات الوداع** » ، ثم توفيت هذا العام (١٩٨٦ م) . فإن أعمالها ومؤلفاتها ومواقفها ، وخاصة موقفها من قضايا المرأة قد وضعها في مكانة مميزة بين أديبات القرن العشرين .

حينما يتغلب الجانب الروحي

فمهما قيل عن ارتباطها **بسارتر** وعن تأثرها به وبفكره ، فإنها كانت تتميز بإرادة وبتلقائية بدت معالمها منذ أولى كتاباتها ، بل لعلها من السمات التي تنقص زميل رحلة حياتها : فتأكيد الذات ، ووجودها الدائم واهتمامها بالعالم الخارجي من أهم المعالم التي سادت في أعمالها منذ رواية « **حينما يتغلب الجانب الروحي** » التي ألفتها عام ١٩٣٧ م ، ولم تنشر إلا عام ١٩٧٩ م ، كما تعد أعمالها من المؤلفات التي تعكس أحداث العصر تباعاً ،

★ ألبير كامو ★



فمنها ما يمثل صخب وتخبط الأفكار الأدبية في فترة تحرير فرنسا ، مثل « **دماء الآخرين** » (١٩٤٥ م) ، و « **كل الرجال فانون** » (١٩٤٦ م) . إلا أن اهتمامها بقضايا المرأة بدأ يتبلور في نفس الفترة .

ففي عام ١٩٤٣ م ، كتبت رواية « **الضيفة** » ، ويعدّها النقاد من ملاحم الألم والمعاناة وأفضل ما ظهر في فرنسا على نمط رواية « **الغثيان** » لسارتر . ولا يرجع ذلك بفضل الأفكار الأيديولوجية بقدر ما يكمن في فن الحوار والتعبير عن أعماق نفس جياشة ممزقة بين رغباتها الذاتية والآخرين . ثم كتبت رواية « **أفواه لا داعي لها** » عام ١٩٤٥ م . ولعل أشهر رواياتها هي المعروفة باسم « **الجنس الثاني** » ، التي صدرت عام ١٩٤٩ م . وازداد دورها تأكيداً مع رواية « **الجهلاء** » التي صدرت عام ١٩٥٤ م ، والتي تعد قمة من قمم الرواية الوجودية . إذ تعد وثيقة من الوثائق الهامة بالنسبة للتقاليد والاتجاهات الفكرية الأدبية السائدة آنذاك ، كما تعكس رحى الصراعات اللانهائية التي كانت تدور وتصدع الحزب الشيوعي الفرنسي .

من أمريكا إلى الصين

ولا يقل الجانب السياسي أهمية في أعمالها . فبعد كتابها عن « **أمريكا يوماً بيوم** » الصادر عام ١٩٤٧ م ، كتبت في نفس الاتجاه الفكري المنتمي كتاب « **المسيرة الطويلة** » عام ١٩٥٧ م ، عن تجربة زيارة سريعة قامت بها للصين .

وتعد مؤلفات **سيمون دي بوفوار** من أهم الأعمال التي تعكس بوضوح أحداث عصرها التي تعبِّر عنها بوجهة نظر واضحة البصيرة ، وبدقة واضحة الشجاعة . ويصف النقاد مذكراتها التي نشرتها تحت عنوان : « **مذكرات فتاة محافظة** » عام ١٩٥٨ م ، من الأعمال التي تميزت بهذه الشجاعة . وهي المذكرات التي تتناول فيها فترة شبابها التي عثر مؤخراً على كراسة يومياتها التي دونتها وهي شابة فيما بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة .

البحث عن نقطة التوازن

ومهما تنوعت مؤلفاتها واختلفت فإن هناك سمة محددة تربط بينها وهي أنها تعكس ذلك النضال الخفي بين التطلعات والتناقضات التي تعيشها الكاتبة ، ذلك النضال الذي لم تنجح في العثور على **نقطة توازن** بين كونها امرأة وإنسانة مثقفة لها دورها في الحياة الفكرية والاجتماعية .

ويعد التعبير عن لحظة الصراع هذه من المحاور الأساسية التي تتوسط أعمالها ، والتي لاحت بوادرها منذ أولى كتاباتها حتى في مخطوط تلك الكراسة المكتشفة حديثاً . فالصراع يبدأ في نظرها ، منذ اللحظة التي تختار فيها المرأة أن تكون لشيء آخر أو لشخص آخر ، حتى وإن كان ذلك الشخص هو الإنسان الذي تحبه . . فهي تحدد أن الصراع ينجم عن المطالبة الأساسية لمكونات الوجود وبين متطلبات الموقف نفسه وما يعانيه المرء من ضغوط وصراعات متوارثة .

★ ★ ★

شعر الأطفال

ومئة عام على ميلاد الهراوي

بقلم: أحمد سويلم



يوافق عام ١٩٨٥م ، مرور مائة عام على ميلاد الشاعر محمد الهراوي . . الذي يجيء في مقدمة الشعراء المعاصرين في مجال الكتابة للأطفال .

وشعر الأطفال قديم قدم الإنسان ، تشهد بذلك البرديات المصرية . . والألواح السومرية والبابلية . . والمدارس الجماعية التي وضعت الشعر بين مناهج التعليم .

وقد نظر القدماء إلى الطفل على أنه (رجل صغير) . . له ما للكبير من حقوق . . وعليه ما عليه من واجبات . . ولهذا أقبل الصغار على التعليم والثقافة بنهم شديد . . حتى لمع منهم الحاكم الذي تولى عرش الدولة وهو ابن السادسة عشرة . . أو رجل الدين الذي تَفَوّق في معبده وهو لا يزال صبياً . . أو هذا الذي نطق الشعر وهو في دور الطفولة .

فإذا انتقلنا إلى المجتمع العربي وجدناه كذلك ينظر إلى الأطفال النظرة نفسها . . فوجدنا أطفالا صغاراً قالوا الشعر مثل **كعب بن زهير** حين أجاز قصيدة لأبيه **زهير بن أبي سلمى . . ومثل طرفة بن العبد . . ولبيد بن ربيعة . .** ومن بعدهم وجدنا **أبا نواس وبشاراً** وغيرهما من الشعراء الذين نطقوا الشعر وهم صغار .

وهناك ملاحظة مهمة في هذا المجال . . تؤكد أن الشعر الذي كان يكتبه القدماء لم يكن غريباً على وجدان الصغير . . ولهذا لم نجد نصوصاً كتبت (خصيصاً) للأطفال ـ كما هي الحال اليوم ـ اللهم إلا هذا اللون الذي يسمى «**ترقيص الأطفال**» وهو يعتمد أساساً على الإيقاع الراقص المتكرر أكثر من اعتماده على اللغة والمعنى . . وكذلك ذلك اللون من الشعر الذي كان يصاحب ألعاب الصبيان .

وفي اعتقادنا أن المناخ الثقافي الذي كان سائداً . . قد ساعد على تدفق العبقرية لدى الصغار . . فلم تكن للّغة العربية مستويات عدة ـ كما نشهده اليوم ـ لكنها كانت لغة واحدة تسود حوارهم . . وتعاملهم . . وأشعارهم . . وغناءهم . . وترقيصاتهم لأطفالهم . . مما جعلها لغة في متناول الجميع . لا يجد أحد فيها صعوبة أو غرابة .

كما أثبت كثير من المفكرين ـ ومنهم **القابسي و ابن خلدون** ـ اهتمام المدرسة الإسلامية بالشعر والأدب إلى جانب علوم الدين والحساب والفلك . . وقد جاء في الأثر «**لاعبْ ولدك سبعاً . . وأدبه سبعاً . . وآخه سبعاً**» وهذه القاعدة التربوية الإسلامية تدعو إلى حشد الأدب والثقافة في ذهن الصغير ـ من السابعة إلى الرابعة عشرة ـ دون ما خوف أو تردد .

ثم تتداخل ثقافات البلاد المفتوحة والعالم البعيد مع الثقافة العربية . . وتتعدد مستويات اللغة والفهم . . وتنشأ الحاجة إلى البحث عن **(لغة)** جديدة تقرب كل شيء إلى هذا الصغير الذي كان قد انصرف عنه الكبار لاشتغالهم بالحروب والمنازعات والصراعات الخاصة . . ومن ثم تغيرت النظرة إلى الطفل من **(الرجل الصغير)** إلى **(الطفل المدلل الصغير)** الذي ينبغي أن نتلمس الطريق إليه بحذر شديد . .

شاعر الأطفال
ومئة عام على ميلاد الهراوي

وهكذا ــ بالرغم منا ــ نشأت الحاجة إلى كتابة أدب للأطفال . . في إطار من البساطة وتلمس الطريق الممهد حتى وجدان الطفل .

موقف الأدباء

ولم يكن الأمر مقبولا ــ في بدايته ــ فقد استنكف الكُتاب والنقاد أن يقبلوا على الكتابة أو الدعوة إلى أدب مستقل للأطفال . . ونظروا إلى الذين يتحمسون له على أنهم ضعيفو الموهبة .

ويذكر تاريخ الأدب في **فرنسا** ــ في عصر **لويس** السابع عشر ــ أن شاعرها المعروف (**شارل بيرو**) (١٦٢٨ ــ ١٧٠٣ م) عضو الأكاديمية الفرنسية ، قام بإبداع بعض قصص للأطفال بأسلوب سهل . . وعبارة جذابة . . لكنه نسبها إلى ولده خشية اتهامه بالضعف وعدم القدرة على الإبداع . . لكنه ما لبث أن أبدع قصصاً وخرافات أضفت شكلاً جديداً على قصص (**الجمال الناعس ــ سندريلا ــ ذو اللحية الزرقاء . . وغيرها**) وأصدرها تحت عنوان (**أقاصيص وحكايات الزمان القديم**) ووقع عليها باسمه هو . !

ويعكف (**لافونتين**) ١٦٢٠ ــ ١٦٩٦ م ، على كتابة أشعار للأطفال مستمدة من **حكايات إيسوب ــ وكليلة ودمنة ــ وحكايات لقمان ــ** على ألسنة الحيوانات .

وفي القرن الثامن عشر ظهر للكاتبة (**برنس دي بومون**) عدد كبير من القصص أهمها : **مخزن الأطفال** ، لكن حكاياتها لم يكتب لها البقاء لفقرها إلى الخيال والأسلوب الممتع .

ويجيء **جان جاك روسو** بآرائه في التجربه ، وعلى إثرها تقوم (**مدام جنلس**) ١٧٤٦ ــ ١٨٣٠م ، بإبداع كتب أخلاقية في معظمها . .

ثم يتوالى إبداع الكتّاب والشعراء للأطفال في الغرب على أيدي : **توماس راي ــ وديغو ــ وسويفت ــ ولويس كارول ــ في إنجلترا . . وهانز كريستيان أندرسون في الدانمرك .**

ثم ينتقل أدب الأطفال ــ بعد أن استقر في الغرب ــ إلى المشرق العربي على أيدي كتّاب وشعراء كثيرين منهم **محمد عثمان جلال** (١٨٣٨ ــ ١٨٩٨م) ، الذي كتب **العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ ــ وعبد الله فريج** الذي أصدر عام ١٨٩٣م ، كتاب (**نظم الجمان في أمثال لقمان**) **ــ وأحمد شوقي** (١٨٧٠ ــ ١٩٣٢م) ، الذي ترجم عن لافونتين . . وأضاف حكايات أخرى للأطفال . . **ومحمد الهراوي** الذي سنتناوله هنا تفصيلاً . . **وكامل كيلاني**



(١٨٩٧ ــ ١٩٥٩م) ، الذي يعد مدرسة في مجال قصص الأطفال . . وغيرهم من الأجيال التالية .

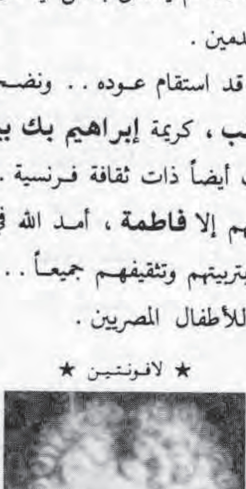
ملامح شخصية

ما بين عامي ١٨٨٥ ــ ١٩٣٩م ، عاش الشاعر محمد الهراوي حياته في مصر ، وهو من أسرة علم وأدب كبيرة . . فقد ورث ملكة الشعر عن جده كبير علماء مصر في عهد **محمد علي باشا** . . ثم تعهد هذه الملكة بالرعاية والتنمية خال الشاعر **الشيخ محمد شريف سليم** الذي كان في زمانه كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، وناظر دار العلوم .

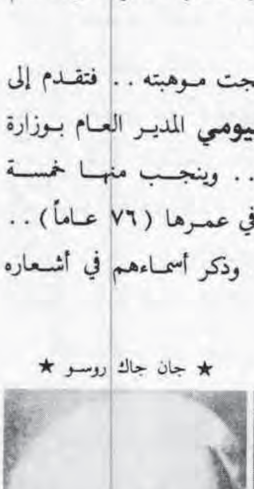
ويتلق الهراوي تعليمه العام . . **ويتعلم الفرنسية والإنجليزية** إلى جانب علوم العربية . . ثم يلتحق بعمل في دار الكتب المصرية في قسم الحسابات والمستخدمين .

وكان الشاب قد استقام عوده . . ونضجت موهبته . . فتقدم إلى خطبة **الآنسة زينب** ، كريمة **إبراهيم بك بيومي** المدير العام بوزارة المعارف . . وكانت أيضاً ذات ثقافة فرنسية . . وينجب منها خمسة أبناء . . لم يبق منهم إلا **فاطمة** ، أمد الله في عمرها (٧٦ عاماً) . . وقد عني الهراوي بتربيتهم وتثقيفهم جميعاً . . وذكر أسماءهم في أشعاره باعتبارهم ممثلين للأطفال المصريين .

★ لافونتين ★



★ جان جاك روسو ★



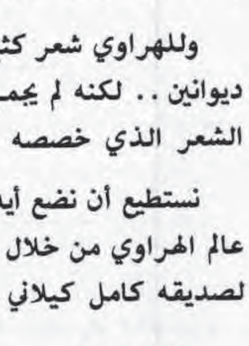


وكانت بينه وبين أصدقائه الشعراء مساجلات ومداعبات شعرية كثيرة .. كما كان دائم الترحال والتنقل بين مصر والشام .. وهو صاحب فكرة (**سوق عكاظ وموسم الشعر في مصر**) وقد كرمه أدباء لبنان عام ١٩٣٣م ، باعتباره واحداً من الشعراء الكبار الذين أضافوا الكثير إلى الشعر المعاصر .. ودعا في هذا الحفل إلى (**إقامة سفارة أدبية في كل قطر من الأقطار يلجأ إليها الأديب فترشده إلى إخوانه ورفاقه وزملائه**) .

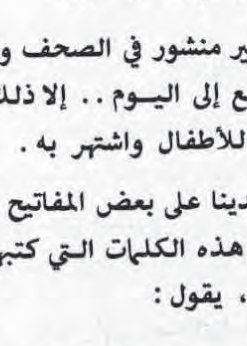
ولأن **الهراوي** كان يعمل في دار الكتب ـ وفي قسم الحسابات ـ فإن عمله هذا قد يبدو بعيداً عن الفن والشعر .. لكنه استطاع أن يتحدى ذلك كله .. وينظم كلما بدا له فراغ وكلما شعر ـ على حد قوله ـ بميل إلى النظم والإبداع .. وهو لا يقعد للنظم .. ولا يعقد له جلسة خاصة ولكنها خواطر تتوارد عليه فيثبتها .

وللهراوي شعر كثير منشور في الصحف والمجلات ما يكفي ديوانين .. لكنه لم يجمع إلى اليوم .. إلا ذلك اللون من الشعر الذي خصصه للأطفال واشتهر به .

نستطيع أن نضع أيدينا على بعض المفاتيح التي تقودنا إلى عالم الهراوي من خلال هذه الكلمات التي كتبها يوماً تحية لصديقه كامل كيلاني ، يقول :



★ سويفت ★



★ كامل الكيلاني ★

(الحق إن الأطفال محرومون من كل ما يتمتعون به من كتب القراءة والمطالعة والدرس والتعليم .. وقلّ من المؤلفين من يعنى عناية خاصة بكتب الأطفال ، وحتى رجال البيداجوجيا ـ أي رجال التعليم ـ في كتبهم المدرسية .. هؤلاء أيضاً قلما يضعون مؤلفاتهم الصغيرة في مستوى مدارك الأطفال .. كأنهم فهموا أن ليس لهؤلاء الأطفال عقول غير عقول الذين صعدوا في درجات العلم والتعليم مدى بعيداً .....) .

إن الهراوي هنا يشغله أمر الأجيال الجديدة .. ويشغله ما انتهى إليه أمر سياسة العلم والتعليم وإصرار المسؤولين ـ في عصره ـ على صبغ التعليم صبغة أجنبية .

لعله إذن لم يجد ضالته فيما يكتب من شعر للكبار .. بل وجد الساحة تمتلئ عن آخرها بالأقلام .. فأقبل على عالم الصغار لعله يبدأ رسالته معهم في إخلاص وجدّ وتميز .

ويضع لنفسه خطة لا يحيد عنها وهو يواجه عالم الأطفال .. وهي خطة قائمة على الإيمان بالله ثم الوطن .. بكل ما يضم هذين الجناحين من العودة إلى المنابع الأصلية والوجدان الحي لدى المصري أمام قوى التحدي والسيطرة الأجنبية .

لقد بدأ الهراوي يجرب أشعاره للأطفال مع أبنائه وبناته في صورة أهازيج شعرية ذات إيقاعات موسيقية ولغة سهلة بسيطة .. ثم أخذ ينطلق إلى الأعمار الأكثر وإلى مراحل التعليم المختلفة ، حتى إن بعضاً مما كتبه الهراوي قررته وزارة المعارف على المدارس الابتدائية .. وبعضاً على التعليم الأوّلي .. وبعضاً قرر على رياض الأطفال .

وبلغت أعماله نحو خمسة وعشرين عملاً ، نذكر منها على سبيل المثال هذه المجموعات :

١ ـ **سمير الأطفال** ، ط ١٩٢٢م ، ويشمل خمساً وثلاثين أنشودة .

٢ ـ **سمير الأطفال للبنين** ، جـ١ ، ط١٩٢٣م ، ويشمل إحدى وعشرين أنشودة .. وقد طبع من هذا الديوان ١٤٠٠٠ نسخة .

٣ ـ **سمير الأطفال للبنات** ، جـ١ ، ط١٩٢٣م ، ويشمل تسع عشرة أنشودة ، منها خمس عشرة مثبتة في سمير الأطفال بنين جـ١ ، فتصبح الأناشيد الجديدة أربعة فقط للبنات .. وقد طبع منه ٥٠٠٠ نسخة .

٤ ـ **سمير الأطفال للبنين** ، جـ٢ ، ط١٩٢٣م ، ويشمل إحدى وعشرين أنشودة .

٥ ـ **سمير الأطفال للبنات** ، جـ٢ ، ط١٩٢٣م ، وبه سبعة أناشيد للبنات علاوة على ما جاء في جـ٢ السابق .

شعر الأطفال
ومئة عام على ميلاد الهراوي



٦ ـ **سمير الأطفال**، جـ٣، ط١٩٢٣م، ويشمل إحدى وعشرين أنشودة وطبع منه ١٢٠٠٠ نسخة.

٧ ـ **سمير الأطفال للبنات**، جـ٣، ط١٩٢٣م، وبه سبعة أناشيد للبنات جديدة، وطبع منه ٥٠٠٠ نسخة.

٨ ـ ثم تتوالى أعماله بعد ذلك في كتيبات صغيرة ما بين أناشيد ومسرحيات وقصص شعرية حتى عام ١٩٢٩م.

محاور شعره

يدور شعر الأطفال لدى الهراوي حول الطفل في المدينة والقرية.. وهو يتابعه منذ يصحو من نومه حتى ينام.. بل يكاد يترجم ما يفكر فيه الطفل في سنوات عمره المختلفة.. وفي حركاته وسكناته محاولا بث الطموح والخيال، ومزج العمل بالعلم والأخلاق والقيم والعادات السليمة.

يتناول الهراوي علاقة الطفل بالطبيعة المصرية من حوله كما يواكب رحلته اليومية مروراً بالشارع والدراسة والأصدقاء والمذاكرة إلى غير ذلك.. ومن ذلك مثلاً:

نحن فتية نطلب الأدبْ
كل واحد يحمل الكتبْ
نبتغي بها أرفع الرتبْ
مصر أمنا حقها وجبْ

ويكتب الهراوي أغاني توقيعية للأطفال في سنيهم الأولى.. قد تكون قبل مرحلة القراءة.. محلاة بالصور والرسوم الإيضاحية.. ومن ذلك أنشودة قفز الحبل التي يقول فيها:

خفي واغلي بخطا الرجل
فوق الحبل
واجري وثبي عند اللعب
فوق الحبل

ويكتب قصائد وصفية لمشاهدات الطفل وأدواته.. ويستمد ذلك كله من البيئة المحيطة.. بقصد تعريفه على كل شيء حوله.. ومنها أنشودة ركوب السيارة:

سيارتي.. سيارتي ... أركبها في نزهتي
سيارتي ذات العجل ... أمشي بها على مهل
أمشي على اليمين ... في الشارع الأمين
في الصبح أو في العصر ... وتارة في الفجر

ويكتب قصائد تغرس في الطفل القيم والأخلاق من خلال الدعوة إلى السلوكيات الجميلة.. ومن ذلك (**آداب الفتاة في الطريق العام**):

إذا ما سرت في الطرقات فامشي
على سنن الكمال والاحتشام
ولا تتلفتي يمنى.. ويُسرى
وسيري في الطريق إلى الأمام

ويكتب أناشيد مهنية.. فيتناول الطبيب والمحامي والفلاح والنجارة وغيرها، ومنها:

أنا في الصبح تلميذ ... وبعد الظهر نجار
ولي قلم وقرطاس ... وإزميل ومنشار
وعلمي إن يكن شرفاً ... فما في صنعتي عار
فللعلماء مرتبة ... وللصناع مقدار

ويكتب ديواناً كاملاً من القصص الديني بعنوان (**أبناء الرسل**) يتابع فيها الرسل والأنبياء منذ آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم في شعر قصصي سهل ميسور.. كما كتب تمثيليات شعرية ونثرية.. تعد إرهاصاً لمسرح الأطفال..

ويتميز شعر الهراوي بالتزامه أبسط المفردات الفصيحة.. والسلاسة في السياق والوصف والمعنى.. واختيار مجزوءات بحور الشعر العربي لكي يسهل حفظه والتغني به.. والتزامه المضامين التربوية والخلقية في كل ما يكتب.

فلقد أعطى الهراوي الكثير إلى طفولتنا وإلى الأجيال المتعاقبة.. وهي فرصة لا يجوز أن تمر على المهتمين بثقافة الطفل على امتداد الوطن العربي.. لكي تعرف الأجيال الحاضرة ما استطاع الأجداد أن يضيفوه في مجال شعر الأطفال.

بقلم : د. أحمد عبد المنعم عربود

الأحمق

(١)

اجتمع الأطباء الشبان حول المائدة مع مدير السكن الذي يبيتون فيه ، ليفكِّروا في مشاكل السكن .

برزت مشكلة دورات المياه التي أصابها العطب .. وبالذات « السيفونات » القديمة التي يتساقط منها المياه بصورة سيئة . تحمس أحد الأطباء ، فانفلت من على الكرسي مشيراً بيده وموجِّهاً حديثه إلى مدير السكن :

ـ إننا يا سيادة المدير لا بد أن نشارك بأنفسنا في إصلاح دورات المياه ..

وأخذته الحماسة ، فضرب بيده على المنضدة وهو يكمل حديثه :

ـ لن ننتظر العمال لكي يصلحوا لنا دورات المياه !! . أنا ـ بنفسي ـ من اليوم سأحضر لوازم إصلاح هذه السيفونات القديمة ..

ثم التفت إلى زملائه موجِّهاً حديثه إليهم :

ـ وأنتم عليكم جميعاً أن تشاركوا في هذا العمل ، وسترون بأنفسكم أننا سنفعل المعجزات ..

ابتسم المدير وبانت على وجهه علامات الرضا .. جلس « **محمود** » في مكانه ثانية ، فخوراً معتزاً بنفسه .. صفق له الجميع .. ازداد إعجاباً بنفسه .

(٢)

في الصالة الكبيرة المطلة على حجرات سكن الأطباء .. يبدو « محمود » محلِّقاً ذراعيه على صدره حاملاً بينهما أدوات الإصلاح ، ومن بينها كيس كبير يحمل فيه كمية كبيرة من « **القار** » الجاف . يطأطئ محمود رأسه إلى الأرض وهو يلمح الإعجاب في عيون زملائه .

يندفع محمود إلى حجرته ، يخرج .. لقد خلع ملابسه إلا من « شورت » قصير ، و « فانلة » داخلية . يتحرَّك بسرعة وخفة ، يندفع من هنا إلى هناك .. يحمل وعاءً كبيراً يضع فيه القار الجاف ليصهره على موقد الغاز ليسدَّ به الثقوب .. يزداد الإعجاب بمحمود ذلك الشاب النشط .

يسرع من حركاته .. يدخل ليخرج .. يختفي في دورة المياه .. يسمع الجميع صوت خبطه .. يزداد إعجاب الجميع بمحمود .

(٣)

سكن الأطباء يشهد زيارة مفاجئة من **وزير الصحة** ، الوزير ومعه حشد كبير من رجالات الدولة .. يظهرون في الصالة الكبيرة .. يندفع مدير السكن مرحبًا ويوجِّه حديثه إلى الوزير :

ـ ولتعلم يا سيادة الوزير أن الأطباء هنا في غاية النشاط .. إنهم يقومون بإصلاح كل شيء بأنفسهم ، إنهم لا يثيرون أي متاعب أو مشاكل ! ..

يرتفع صوت الخبط المنبعث من الحجرة المجاورة .. يقترب الجمع من مكان الصوت .. محمود معلَّق على سلَّم خشبي ، يحاول إصلاح السيفون .. العرق يتصبَّب من وجهه ، تحوَّلت يداه إلى لون أسود فاحم من الصدأ الذي يعلو السيفون .. يحس محمود بوقع الأقدام والهمهمات من حوله ، فيلتفت خلفه ، يزداد إعجاباً بنفسه ، ينظر أمامه مرة أخرى كأنه لم ير شيئاً .

(٤)

الجمع يتحرَّك لتفقد بقية السكن ، دخان أسود كثيف يظهر من باب المطبخ .. الكل يتوقف رائحة خانقة .. يتلعثم المدير في كلامه كأنما أذهلته المفاجأة وأفزعه الموقف ، وكأنه يسأل : ما هذا ؟! .

يزداد الدخان كثافة .. يكاد يملأ المكان ويحجب الرؤية .

يندفع العمال ناحية الدخان .. يخرجون مرة أخرى وهم يتدافعون صارخين : مطافئ .. المطافئ .. عربة المطافئ .

يتسابق الجميع للخروج من المكان .. يدفع بعضهم بعضاً .. وقد شاع الهرج والمرج في المكان .

(٥)

تخمد النيران .. محمود يقف مذعوراً أمام المدير في حجرة التحقيق الكبيرة .. يداه ملطختان بالقار ، والشورت القصير يعلوه الصدأ ، وشعره قد تحوَّل إلى لون بني ، مما أصابه من النيران . ويندفع المدير مزمجراً :

ـ **ماذا فعلت أيها المجنون ؟!**

ـ لا تلومني يا سيدي .. فقد وضعت القار على النار لكي ينصهر ، ولكن يبدو أني نسيته فانسكب على الموقد فأمسكت به النيران .. فأجهز على كل ما في المطبخ .

ـ **لقد أجهزت عليَّ أنا أيها الأحمق ! . لقد فصلوني من عملي من اليوم ..**

ـ وأنا ..

ـ **اذهب لتغيِّر ملابسك ، لأنك متهم بإتلاف المبنى ، ومحاولة إثارة الفوضى بإحراق المبنى !! .**

بقلم: د. عبدالله أحمد باقازي

نهر من الفضة

الشمس تقطر صفرة على أهداب الأصيل .. الحقل المترامي الأطراف ينسفح على ساحته سكون .. بقايا عتمة تنسج على البعد .. رجال متعددون، يروحون، ويجيئون، يجتمعون ويفترقون .. آثار خطواتهم تتبعثر على أرضية الحقل .. أخيراً يجتمعون في جلسة واحدة على زاوية من الحقل .. صمت نما بينهم قبل أن تتحرك الأفواه بالحديث .. نما الصمت أكثر، صار خيمة كبيرة علت الحقل .. كلهم تطلعوا إلى الأعلى .. افتقدوا النجوم التي بدت قناديلها تضاء في خفوت، والقمر الذي اشتعلت أطرافه بسوائل فضية مرئية .

أحدهم، ويدعى - صالح - قال: لن يطيب لنا حديث ما دمنا نفتقد القمر والنجوم .. نحتاج أن يكون هذا الحقل يغرق في ضياء ووضوح حتى نتبين بعضنا ونرى ملامح كل فرد وهو يتحدث .. رؤية الملامح والسحنات مهمة لمعرفة نوايا النفس .

آخر، ويدعى - كامل - قال: ذلك شيء طبيعي غير أنني أرى أن نبدأ الحديث الذي يتصل بإصلاح هذا الحقل - أعني زراعته - والإفادة منه .. وأنا أرى أننا نحتاج في أول الأمر إلى «المال» من أجل آلات الري والحرث والتسميد .. وغيرها .

ثالث، ويدعى - عارف - قاطع قائلاً: لنثق «بالأمل» لو تعلقنا بأهدابه لتحقق لنا كل ما نريد ولأصبح هذا الحقل كما نبتغي له .. خضرة .. وإنتاجاً .. ومحاصيل .

أصوات علت وقاطعت: لكن كيف .. كيف .. ؟!!

عارف استمر في الحديث: كما ننمي هذا الحقل، ينبغي أن ننمي الأمل في ساحة النفس أولا .

- هراء .. هراء .. هراء .. أصوات قاطعت وعلت .

صوت عارف خفت وتلاشى .

رابع، ويدعى - سالم - قال: أنا أرى أن نبدأ جميعاً في جمع قيمة ما يحتاجه الحقل من تكاليف: الريّ والحرث، والتسميد من الآن .. كل يدفع ما يملك .. وعلينا الانتظار .. الانتظار فقط ..

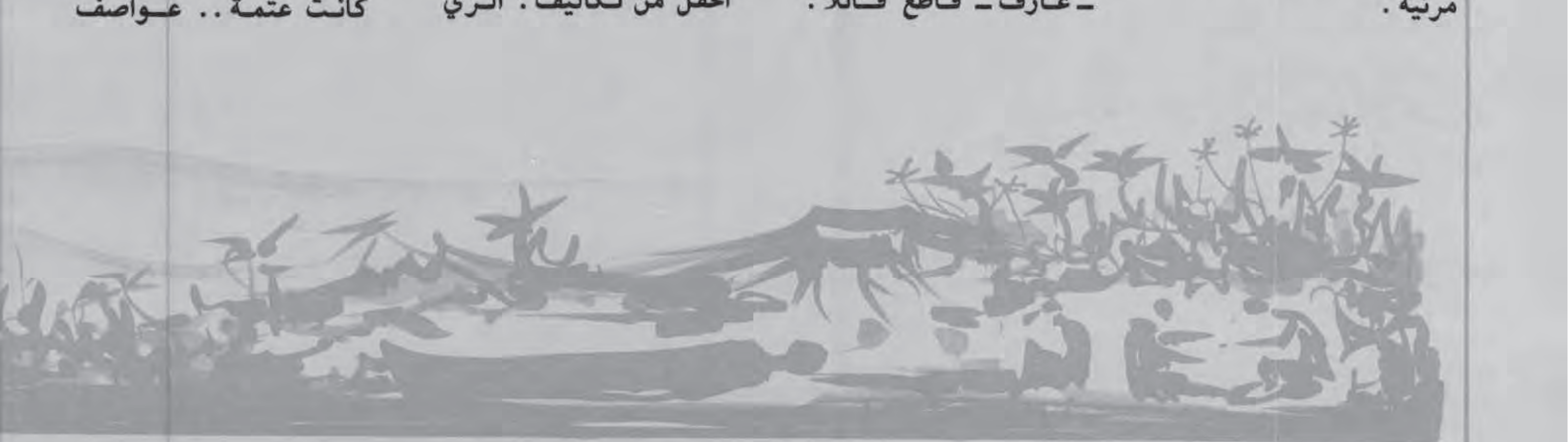
بعد فترة سيصبح لنا حقل منتج .. سننعم بثمار ومحاصيل .

- إلى متى .. إلى متى .. ؟!! عادت الأصوات بحدة أكثر وتداخلت مع صوت سالم :

- إلى متى .. إلى متى .. لا بد من الانتظار .. إلى متى .. إلى متى .. ؟؟!! ..

إجابة سالم ذوت، احتواها التساؤل الحاد العالي .

الخيمة الكبيرة التي علت الحقل، تمزقت أطرافها، بيد أن أحداً لم يرَ قمراً ولا نجوماً .. السماء كانت عتمة .. عواصف



مزمجرة كانت تعوي على أطراف الحقل تعصف بهدوئه وبالمتحدثين .

رجل خامس ويدعى ـ كارم ـ تحدّث : لو أردتم رأيي لقلت : إننا يجب أن نقسّم هذا الحقل وكلّ يأخذ ما يخصه ، ويتصرف فيه كيف يشاء . . !

ـ مستحيل . . مستحيل . . مستحيل . . قاطعته أصوات عالية فصمت .

نما الصمت من جديد في أجواء الحقل المعتمة . . بدا السكون جاثماً بوضوح إلا من تحركات الرجال المتحدثين وحركات أيديهم .

سالم عاد إلى القول : ما الذي يحجب القمر والنجوم يا ترى . . هل هي سحب غير مرئية . . ؟! أم أن أنظارنا من القصور بحيث لا تطال الرؤية إلى أعماق الفضاء .

صمت وسكون . . والجدال خفت حدته .

مضت ساعات الليل تلهث على ساحة الزمن . . نبحت كلاب متعددة . . نهقت حمير متفرقة . . زنت صراصير قريبة بإلحاح ولمدة ليست بالقصيرة .

عارف عاد إلى القول : إن كان هناك من رأي فهو تأجيل الحديث في أمر الحقل إلى الغد ، حتى نهدأ ونرتاح .

هبت نسائم طرية ، امتصت جزءً من حرارة الجو المشحون ، برقت عيون بخبث في العتمة ، وكشفت عن ابتسامات صفراء باردة .

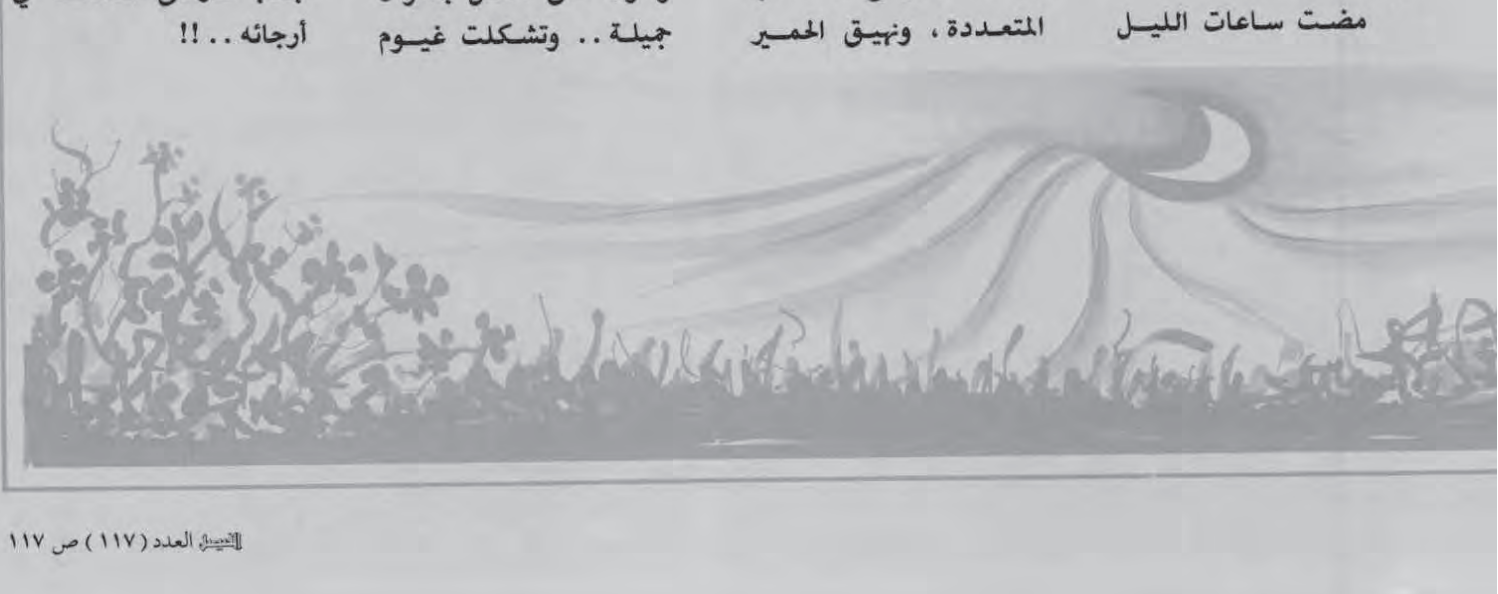
النسائم الطرية حملت إلى أجواء الحقل برودة أكثر . . استمر الحديث متقطعاً غير أن الجو المحيط أصبح بارداً فضاعت في صقيعه حرارة الكلمات .

أحد الرجال ، ويدعى ـ ساعد ـ لم يشارك في الحديث ، بل غطّ في نوم عميق ، وآخر ما استمع إليه كان نباح الكلاب المتعددة ، ونهيق الحمير المتفرقة ، وزنين الصراصير اللحوح الذي استمر لمدة ليست بالقصيرة . . وفي منامه الذي لم يستمر طويلاً ، رأى حلماً جميلاً : رأى القمر مشعاً يصب شلالات الفضة على الحقل ، فتتحول الشلالات إلى مياه فضية ناعمة رائقة تشكل نهراً فضياً يشق الحقل وعلى حوافه نمت أزهار ذهبية ووردية لها روائح آسرة . . اقترب من النهر الفضي ، ورشف قطرات منه أحسّ لها طعماً حلواً ، ابتهج كثيراً وهو يرى النهر الفضي يمتد ليلتف حول الحقل . .

أما الأشجار الكبيرة فقد كانت تمتص المياه لتصعد عصارة تلون الثمار بالنضج والحيوية . . رأى طيوراً ملونة . . زرقاء . . وخضراء . . وصفراء تحوم حول حواف النهر . . تقع على حوافه لتشرب ثم تطير جذلى تزقزق في فرح ، وتلون أفق الحقل بألوان جميلة . . وتشكلت غيوم أرجوانية وبنفسجية فوق أفق الحقل . .

لم يسمع هديراً للنهر الفضي لكنه أحسّ انسياباً وصفاءً . نظر في مياهه فرآها صافية تعكس ملامح وجهه . . ابتسم فرأى قناديل خضراء ، وشموعاً ذهبية تنغرس على حواف النهر الفضي . . تجوّل بين أرجاء الحقل . . طاف بين الأشجار . . استشعر العذوبة في الهواء . . قطف الثمار فتذوق الحلى والمتعة . . رأى النجوم تومض بدفء يهبط على الحقل بإشعاع غريب يساعد على نمو الأشجار ويزيد في منسوب كمية النهر الفضي .

لكنه فجأة فتح عينيه . . فرأى جدلاً لم ينته . . وسمع نباح كلاب متعددة ، ونهيق حمير متفرقة وزنين صراصير لم يتوقف . . ورأى حقلاً مجدباً تترامى العتمة في أرجائه . . !!



قصة قصيرة

بقلم: محمد علي قدس

الدخول في تفاصيل حلم لا ينتهي

أفيق بليل .. وهل لي صباح ..

الليل والصبح سواء .. خوفي وأماني .. الضحك والبكاء سواء!

أفتح عيني للنور .. أحتوي أشعة الشمس الصفراء .. ببسمة باهتة .. بمسحة حزن تغلف وجهي .. ذلك الوجه الذي بدا بالحزن والاكتئاب عربياً! بعينين مكدودتين عرفت نور الصباح .. بانتفاضة الخوف الذي يشتعل في داخلي .. يلتهم مشاعري ...

أرفع كفي، ألامس شعاع الشمس، ألملم شعري .. أغرس فيه أصابعي، لا زال التوتر يسكن عروقي لا زلت بخوفي أرتعش .. ولا زال يشاطرني الدفء في فراشي .. يسامرني في ليلي. في قلبي يسكن إحساس غريب .. وبين أصابعي تشتعل أنفاس ملتهبة أتوهمها، وأنسى أنها أنفاسي المحمومة!!

أبحث عن مطر يغسلني .. ينتشلني من وحدتي وحزني ...

أنشب أظافري في شعري .. في وجهي .. وقد بدت في تفاصيله بقايا ابتسامة باهتة .. احتفظت بها لاستقبال صباح جديد.

الدخول:

دخلت مدينتك .. تجولت في شوارعها .. دلفت في أزقتها ومقاهيها، تعبت .. تغربت. تشردت على أرصفتها .. بحثت في أوديتك عن ماء أو هواء!؟ وجدت رياح خماسينية .. وتراب يملأ فمي وعيني! لا ظل .. لا شجر .. لا مطر. انتظرت السحاب .. انتظرت الطل والبلل .. كي يغسلني ويغسل مدينتك المطموسة بالتراب .. وقفت في وجه الريح وحدي كشجرة جرداء سانفة. أبحث عن ليل ودفء، أتلفت يميناً ويساراً أعود ببصري وأحاسيسي للتراب من جديد .. ليس في أرض مدينتك القاحلة سوى أوراق صفراء وأغصان جافة!

دخلت مدينتك .. وإذ بي كأني أدخل بيروت .. من ضفتيها .. حريق في الأرض .. وغربان .. ودخان في السماء.

بحثت عن صوتك ...

ـ كيف أصدقك .. كيف أثق بحروفك ومشاعرك .. فـا .. (أنا) ..

ـ أنت على حق .. لكني صادق هذه المرة لن يطول غيابي أنت لي وأنا لك صدقيني!

ـ بودي لو أصدقك، لكني أخشى أن يكون غيابك أبدياً ..

ـ بل سيكون لقائي بك غداً قريباً ..

ـ أنا خائفة ..

ـ لا داعي للخوف .. ثقي بي .. عام فقط .. أعود بعده ليضمنا بيت واحد.



الحلم:

أفيق من هواجسي ..

أفيق من غفلتي ..

من حلم طويل لا ينتهي!!

أشعر بالعطش! الجفاف يحيطني .. يحتويني، أنشب أظافري في جسدي .. في شعري! مللت الانتظار .. مللت الاحتراق كشمعة في صمت تذوب، كسرت مرآتي .. مزقت صوري .. كرهت الغد الذي لا يأتي. صار العام الذي انتظرت أعواماً طويلة.

فتحت عيني لدفء الشمس .. لصفرة الخوف، وفي جسدي ارتعاشة الظمأ، وفي داخلي يسكن حلم غامض .. تعبت في البحث عن حقيقته، وحقيقة بعض الشعر الأبيض الذي غزا رأسي!! أبحث عن شمس تحيي مواتي ..

موات الغد على أرضك القاحلة اليباب .. فقد ترويها دموعي .. قد يأتي غيث يغسلها ويغسلني ..

أفيق من نومي ..

.. وفي فمي طعم سكرة تذوب .. وفي عيني طيف جميل يذوب.

بحثت عنك .. في أعماق مدينتك الساكنة! بحثت عنك في شعاع الشمس القادم إلى كل صباح! بحثت عن هويتي .. عن حقيقة الحلم الغامض الذي يسكنني، لكنني كنت كبيروت التي تبحث عن أمن وسلام! في تفاصيل وجهي يذوب حزن سنوات عجاف .. حزن انتكاسة عربية.

انتظرت مد بحرك .. انتظرت عودتك! حسبت أن الزمن قد توقف عند الساعة التي ابتعدت فيها عني، اللحظة التي غادرت فيها مدينتك ...

(تك .. تك .. تك ..).

هيهات .. هيهات لهذه العقارب أن تتوقف .. أن تتكسر فلا تقوى على الدوران .. ، أجوس في يباب .. أغرق في اكتئاب أصارع به العمر والزمن.

الليل:

الليل عاد بلحنه الصاخب ..

لا أدري كيف مضى النهار، متى غابت الشمس ..؟ متى تشرق؟؟

أعود لفراشي وحيدة .. لخوفي، لهواجسي .. لنبضات قلبي الرتيبة .. (تك .. تك .. تك ..) ..

تدق الواحدة .. والثانية .. والثالثة ..

ويدق قلبي للمرة السبعين بعد الألف!!

جئتك يا ليلي، وفي ثناياي عطر قديم، وعلى جسدي ثوب عرس بهت لونه!

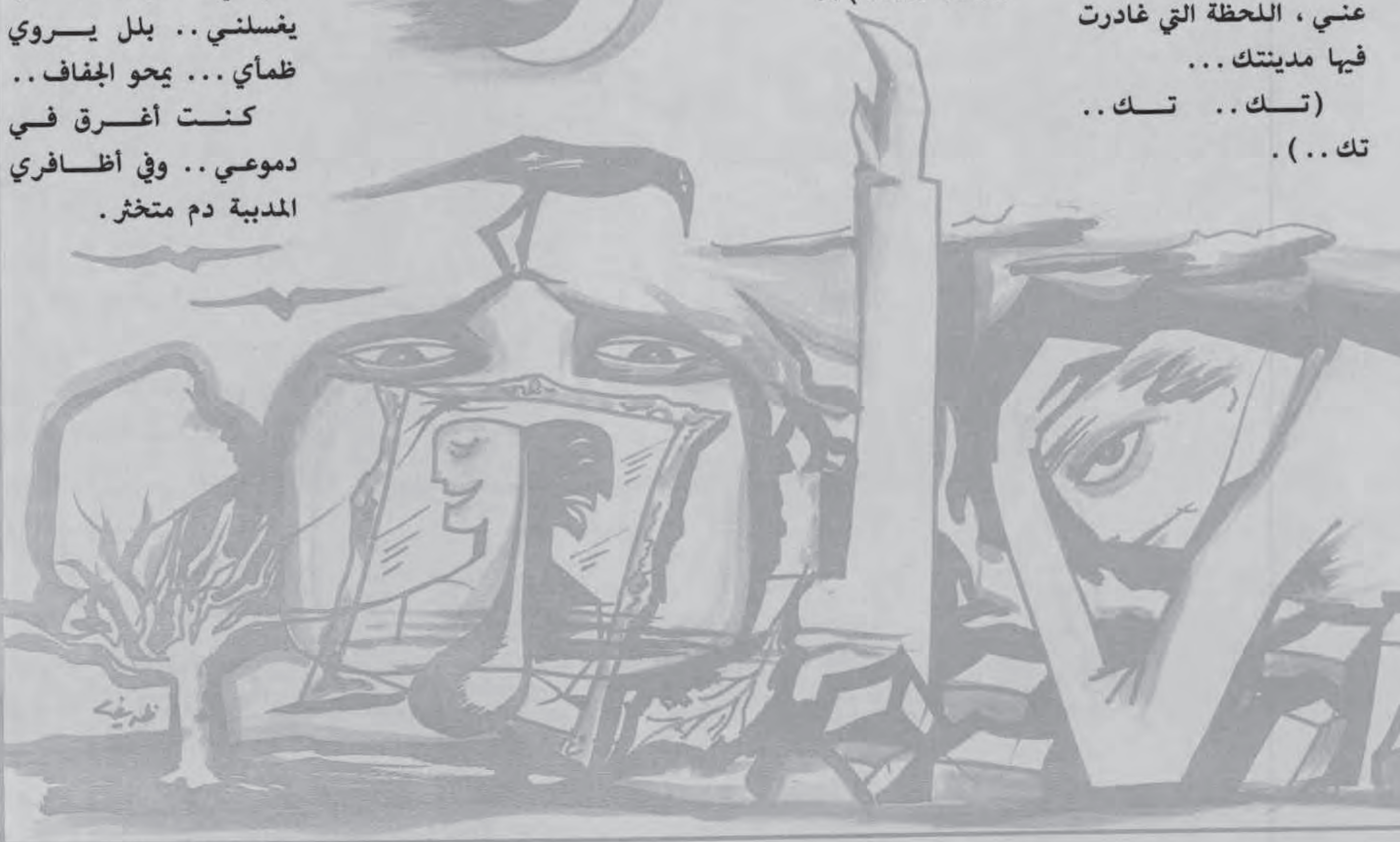
جئتك يا خوفي سافرة! جئت أختال بزينتي .. وفي صدري حلم قديم كحلم عروس مهجورة .. شاب شعرها .. وبلي ثوب زفافها.

لم أعد أهتم بقدومك .. ولا أنتظر أن يكون القادم أنت بالذات. فلتكن زينتي لأي قادم غيرك. فلا أنت غد يرجى .. ولا أمس أقوى على تذكر أحلامه!

أفتح عينيَّ للشمس .. أفتحهما لأشعة حمئة! أرفع كفي أصارع ذلك الشعاع الذي يخترق عيني الذابلتين .. أغرس أظافري في شعري .. يسقط على كتفي .. يغزوه موج أبيض .. أغوص في دفء فراشي .. تشتعل في صدري أنفاس محمومة .. توهمتها وهي قادمة من داخلي!! .. من أعماق أعماقي، توهمت مطراً يغسلني .. ببلل يروي ظمأي ... يمحو الجفاف ..

كنت أغرق في دموعي .. وفي أظافري المدببة دم متخثر.





قصة قصيرة

بقلم: إبراهيم فهمي

أغنية نوبية

لا أحد في النجع يثق في كلام (المصاروة) القادمين من الشمال، بأن هناك عند الشلال حيث يختنق النهر، يقام سد من حجر الصوان، يتحكم في مياه النهر بمقدار، يحتجز خلفه مياه المجرى فتستدير بحيرة، لا ترى العين حدودها، ثم يعلو النهر ويفتح فمه للحي والميت، ويغرق في جوفه كل شيء. وكقول الأسطورة المنقوشة على وجه المعبد: إن القادم من الشمال ليس له عهد، وكقول أبي: إن من يذهب إلى المدينة تفسده البنادر.

لكن ما حدث اليوم، كذب الأسطورة وأبي. وصدق (المصاروة) فقد رست على الشاطئ سفن هي تماماً كالباخرة السودانية (البوستة) التي نغني لها، لأنها تجلب لنا الأحباب من القاهرة الواسعة هناك في الشمال البعيد. غنينا لها كما نغني للبوستة: البوستة قالت توت.. الليلة يا سمراء.

لكن أبي والخلق قالوا: البواخر غريبة، ولا يجوز الغناء لها. أطل من النوافذ الحديدية بحارة نصف عراة. فانزوت النساء رغم المسافة البعيدة في خمرهن. قلن: يا عيب الشوم، أفخاذ عارية وصدور عارية. كانت الوجوه حمراء كقشرة الثمرة «السكوتية». والعيون خضراء، أحياناً زرقاء لكنها ليست وادعة طيبة كعيوننا.

تزاحمت الخلق على الشاطئ، لم يبق بالنجع سوى البهائم والماشية والعجائز. أطلقت البواخر صفيراً حاداً فوق الرؤوس. غاص في الأجواء الساكنة عند الزرع والحدائق والوديان. استدار أبي. أعطى البواخر ظهره. وضع اليدين متشابكتين. تمتم بآيات يحفظها. تطلع إلى خالق السماء والأرض. اكتسى الوجه بألوان أعرفها وقت الحزن ووقت الشدة، ثم عرجنا تجاه الديار والدروب وأبي واجم. ابيضت العينان من الحزن والوجه كظيم.

في البيت قبعت أمي خلف «الكانون» تركت للنار حرية بث الدفء في الجسد من خلال الثوب المرفوع على اليدين. دارت حول الرأس وحواف الوجه القمري (بمدورة) سوداء تماماً مثلما تذهب إلى عزاء في أطراف النجع. ثم غنت أغنية حزينة. اختلط الغناء بأنين الهشيم في قلب النار. تراكمت الوحشة في العينين الكاحلتين فانطفأ السحر. سرقت عيناي كرتين لامعتين من الدمع. رغم الوجه المندس في لفافة الخمار.

كانت أمي تقول دائماً حين تأخذه منا لحظة غضوب: أوثقتها قحاً وغرقت؟ هذه المرة. لم تنبس بها. شاركته صمته المثقل. دورت الحصر بحزام من سعف النخيل. أمي كانت تحزن فتقتسم معه الهم نصفين متساويين. ثم تعود كمرح طيور الشاطئ. هذه المرة شيء أكبر من كلمة الحزن أطفأ وهج العينين. طرد البسمة من الوجه الضحوك، وجعلها لا فرق بينها وبين قوائم الجدران. قلت: لماذا نهاجر يا أمي؟ دفعت البوص في جوف الكانون. زادت من أوار النار. أعدت السؤال مرة أخرى. عاد صوتي وحده يرتطم



الهجرة الأخيرة

بـالجدران . كورت يـدي ببعض الحصى . شهرت اليد المكورة في وجهها . فزعت ثم استدارت تـولول وتركض : ـ « ولدك هاجت في عروقه دماء القبيلة » . وقبل أن يرميني بعينيه الناريتين . قـال وجهي سؤالا شارداً .

سألته : صحيح ستهاجر الخلق يا أبي ؟

دفعني على الذراع القوي الحاني . أرسل زفيراً ساخناً . رسم الوجه ابتسامة غير الابتسامة . انتزع الكلمة من صدره قال : نعم . ثم أشار للزرائب يطلب الحمار .

كانت الحيوانات ساهمة . واجمة . حمارنا امتط أذنيه . اتجه بعينيه صوب السحب الدخانية ، كلما صدر من البواخر صراخها الحاد . انجذبت الماشية برؤوسها تجاه الصراخ وتكورت في ركن الزريبة . أعددت السرج . تأكدت من الحزام الدائر على منتصف البطن . ثم اللجام . تأكدت أن القدمين ليس بهما أية بقايا روث أو طين . ذكرت اسم الله والمصطفى . اقتدته إلى وسعة الدار .



لقفني أبي خلفه على صهوته كدت أسقط على الأرض . فنهرني : اثبت يا بن المدارس . أصبحت ابن العرب مثل السيف .

ثم عبرنا الدروب إلى (مندرة القبائل) قالت أمي خلفنا : الله في قلب النخلات . وفي عمق النهر ينصرك على من يعاديك . حملت الريح إلينا أصداء أغاني . انتظمت أقدام الحمار . تراقص نصف جسد أبي الأعلى رغماً عنه . هناك اجتمعت القوم . ليس هناك أدنى خلاف بين الوجوه ووجه أبي . رحبت رؤوس القبائل بنا . جلست جوار أبي . واصل القوم الحديث ، العمائم « منفوشة » على الرؤوس كعادة أهلي حين يغضبون . طلب أبي الحديث . فذكر اسم الله وفعل القوم مثله . قال في صوت ساخن من جوفه : يا قوم من شرب مثلي من مياه النهر ؟ من قلبه مثل طهر الصحارى ؟ وقبل أن تجف الكلمة تلاصق حوله الرجال . عيونهم لون طمي الفيضان . انتظموا خلفه وحوله . توهجت العيون كوقدة الظهيرة . دقت طبول الحرب . غنى الرجال أغنية الحرب القديمة . شدوا باسم الله ثم باسم القبيلة . فغدوا وتحامسوا . نفضت السواعد والوجوه رعشة عدائية غاضبة . ثم طلب قاضي النجع الكلام . دق الجدران بعصاه . ووجهه نحو أبي دون القوم . قال : ستحارب من يا بن بتول ؟ ولا أنت ولا قبيلتك . الرجل منكم في طول النخلة « السكوتية » وعقله عقل الماعز . نسيتم « تعلية » الخزان الأولى . ثم مط شفتيه . طاح الهواء بيديه ، قال : رؤوسكم لا النهر وأعالي الجبال . ثم صار الكلام بلح (صيص) لا يشبع ولا يغني من جوع .

انفض المجلس . حملت القوم يأسها وحزنها ، ثم ملأ رجال البواخر الدروب والديار يتجولون بحرية . داروا حول البيت . يحصوننا مع الدجاج والماشية عدة مرات . سوف يكون للبنة المحترقة ثمن . ولرؤوس النخيل ثمن . والديار ثمن آخر . صرخ أبي وأرسل

صوته لآخر بيت في النجع : نقودكم لا تساوي حجراً من سقف دار ولا قطرة من مجرى النهر .

دارنا بناها أبي حجراً حجراً . مزج طين النهر بهشيم القمح . اقتطع الأحجار من رؤوس الجبال . ثم مسح على وجه الدار (بصلصال) أبيض . قال لي : يا ولد .. اكتب اسم الله ، وامسح نقوش الكفرة . وبدا اسم الله مشرقاً .

عاد الصراخ حاداً موجعاً . قال أبي في صوت واهن : هيا لم يبق بالدار سوى (برش) في نصف ضفائره . لم يكتمل بعد . أصبحت الدار خلفنا . نقطة ضوء خابية من زورق صيد بعيد دارنا كانت رحبة كقلوب الخلق . وبابنا منفتحاً كالنهر للأحباب .

هذي الطريق مشيناها سوياً . أعدو خلفه . علني ألحق بمؤخرة الحمار فتنزلق يدي على ملاسة الذيل . فأقبع أطفح بكاء . فيعود نحوي راجلاً يقول لي : لا تبك يا ولد ثانية . ليس في القبيلة رجل يبكي . ثم يركن بجهارنا حيث المراكب الشراعية في بطون الخلجان الدافئة . يشري لي مراكب ورقية . أعومها على مجرى النهر .

هذا هو جامع القبيلة . بدا مهجوراً إلا من الطير . كثيراً ما كنت أحاول أن أطاول هامته المديدة كساق النخلة فأفشل . أقول متى أكبر مثلك يا أبي . فيضحك ضحكته الرقراقة كماء النهر . كان الوجه فرحاً . ولم تبيض عيناه من الحزن .

هذه هي المدرسة . جدران ونوافذ مظلمة باردة . اللوحات الورقة بمكانها .. لوحتي عليها آخر وجه باسم من قريتي .. قطعاً ستغرق لوحتي في فاه النهر المفتوح .. يا نهرنا



الهادي الوديع . لماذا أنت وادع مسكين . لماذا لا تعتريك فيضة غضوب . وتبتلع في جوفك كل غريب . آه يا نهرنا الحؤون .

وصلنا الشاطئ قبالة البواخر . وقرص الشمس غارق في دماه . قذف البحارة بالسقالات الخشبية في وجوهنا . فصفعنا الرذاذ المتطاير من وجه النهر . رددت البيوت الفارغة صدى البواخر صراخ . تطلعنا إلى أول عابر . لم يخطو أحد . نزت الوجوه ألماً . تذكرت قول أبي في فسحة الدار : أنت يا ولد نخلة صغيرة إن نزعوها لأرض غير الأرض نزعت دون ألم . نحن الكبار يا ولد أشجار نخيل عجوز ، غارت جذورها القديمة في عمق الأرض فلا يقدر على نزعها أحد .

ثم سمعت دبيب أقدامه بجواري . أمال عمامته قليلاً من الخلف ، مثلما يراوده الغناء . انفرجت الأسارير وتطلع إلى الأفق البعيد وقرص الشمس المائل . ثم غنى . قال : غني يا ولد . أمسكت ببداية (الدور) وازدوج الصوتان معاً . أهلي حين يحاصرهم فيضان عاتي ، أو جراد يلتهم الزرع ، يغنون . يملأون سماء النجع مواويل . علا الغناء علا . حلق عند كرة الشمس المودعة . عانق الديار . دار في دروب النجع علا على محركات البواخر . لطم وجوه البحارة . رحل إلى الشاطئ الآخر . رحل إلى الوديان والزرع . بكت بشرة أبي عرقاً . وعاد للوجه حزنه الأول . انطفأت عيناه المتوهجتين . قبضت يده على بعض من رمال الشاطئ . أقفلت عليها بشدة . رغم الصمت السائد ، سمعت صوت طقطقة عنيفة لساق نخلة عجوز . تلون وجه أمي بألوان شتى . لملمت الجسد والرمل . الله القادر صاحب الوديعة استرد وديعته . تصرخ أمي والديار تردد الصراخ صدى . البكاء دمعات ساخنات مكثفة ألم وحزن وأشياء أخرى لا أفهمها . وقرص الشمس الدامي يهبط هناك عند الجبال الرمادية ولا يعود .

من كتب التراث

التيسير في المداواة والتدبير

تأليف : أبي مروان عبد الملك بن زهر
عرض وتقديم : د. محمود أحمد دوّاه

إن التراث العربي والعلمي منه بخاصة ، لجدير بالعناية والرعاية والسعي الحثيث لكشفه وتحقيقه ونشره تأكيداً لمكانته في تاريخ الثقافة البشرية وأظهاراً للعمل الريادي الذي نهضت به أمتنا العربية في ميدان الفكر والعلم وصلاً لحاضر هذه الأمة بماض زاهر مشرق وإثارة لعزائم أبنائها كي يجعلوا من زمانها المقبل امتداداً سلمياً معافى لما سلف من أيامها الزاهيات . إن أمتنا العربية قد أعطت العالم في العصور السالفة الشيء الكثير وحملت المشعل الوضاء ردحاً طويلاً من الزمن ولقد ترك لنا الأطباء العرب النابغون مؤلفات كانت منائر علمية ومراجع نفسية في الطب قروناً عديدة في الشرق والغرب مثل كتاب **« الحاوي » للرازي** وكتاب **« القانون » لابن سينا** وكتاب **« كامل الصناعة في الطب » لعلي بن عباس** وكتاب **« التذكير » لعلي بن عيسى** وكتاب **« زاد المسافر وقوت الحاضر » لابن الجزار** وكتاب **« التصريف لمن عجز عن التأليف » لابي القاسم الزهراوي** .

المؤلف

إن الطبيب العربي الأندلسي أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن الإيادي المولود في **إشبيلية** سنة ٤٨٤ هـ ، والمتوفى فيها سنة ٥٥٧ هـ ، ولقد خلف أباه في خدمة ملوك المرابطين ثم أصبح وزيراً مقرباً من الخليفة **أبي محمد عبد المؤمن ابن علي** أول الخلفاء الموحدين الذين تغلبوا على المرابطين وبسطوا سلطانهم على **المغرب والأندلس** ، ولقد ذاع صيته في **فرنسا وإيطاليا وترجم كتابه إلى العبرية واللاتينية ودُرس في جامعات أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر للميلاد** .

ولقد قيل إن أبا مروان كان أعظم أطباء عصره وعدّه **ابن رشد** أعظم طبيب بعد **جالينوس** ، وأوجز **سارتون** كل ما قيل في ابن زهر فقال : « إنه كان أعظم طبيب في العالمين الإسلامي والمسيحي » . ولقد حقق أبو مروان هذا التفوق في الطب لثلاثة هي : انقطاعه إلى الطب دون غيره من العلوم ، وتجرده من قيود التقليد التي تمسك بها سواه من أطباء عصره ، واعتماده على الدقة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها .

مؤلفاته

كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، كتاب الأغذية ، كتاب الزينة ، تذكرة في أمر الدواء المسهل ، مقال في علل الكلى ، رسالة في علتي البرص والبهق ، تذكرة الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد .

أما كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، فيجمع المؤرخون على أن هذا الكتاب أفضل وأشهر كتاب ألفه ابن زهر وتحذو حذو المؤرخين الموسوعات العربية والأجنبية والمعجمات الطبية الكبرى التي تثبت أسماء أعلام الطب . ولقد ألف ابن زهر كتابه هذا بعد أن نضج علمه واكتملت اختباراته وتعددت مشاهداته مما يحمل على الظن بأنه أنجز كتابه في أواسط القرن السادس الهجري . وذكر المؤرخون ومنهم **جورج سارتون** في كتابه [**المدخل إلى تاريخ العلوم**] أن ابن زهر ألف كتابه هذا بناءً على طلب صديقه ورفيقه الفيلسوف القاضي **ابن رشد** لجعله تفضيلاً لكتاب الكليات في الطب وهو الكتاب الذي ألفه ابن رشد . ويجمع مؤرخو الطب العربي أن كتاب التيسير يعد في مرتبته أعظم الكتب العربية التي عرفت في تاريخ الطب ولقد أحدث تطوراً عميقاً في تطور الطب من حيث الأثر خلال القرون الوسطى التي كان فيها الطب الأوروبي ما يزال عاجزاً عن التحليق بجناحيه . ويتألف كتاب التيسير من مجلدين اثنين ومن ملحق بهما سماه ابن زهر **الجامع** .

المحتوى

● **المجلد الأول من كتاب التيسير :**
بدأه ابن زهر بمقدمة وجيزة ذكر فيها أنه أجبر على إلحاق كتابه بالجامع نزولا عند رغبة أحد الأمراء وهو الأمير المرابطي صاحب إشبيلية ، فقد أراد هذا الأمير أن يكون لديه كتاب يشتمل على صيغ الأدوية المركبة التي استعملها ابن زهر في العلاج . قدم ابن زهر في بداية هذا المجلد بعض التوجيهات الصحية العامة نذكر منها :

● إن تليين الطبيعة عن طريق التمر الهندي والراوند وقشر الأترج معين على دوام الصحة .

● إن من شرب نصف درهم من الترياق بجرعات من ماء فاتر كل عاشر من الأيام في

زمن الشتاء يسلم بإذن الله من حدوث الحميات الصفوية ومن الصرع والقولنج ، وتـدوم صحة أعضائه بعون الله وزعموا أنه يـوقف الشيب . وأما من لزم ذلك ولو غاماً واحداً فـإنه لا يضره سم نهشه حيوان سمي ولا يؤثر فيه سم ولا دواء قتال ويساعد على الإنجاب لمن لا نسل له .

● إن الترياق ينفع من قرحة الرئة ويحذر من اجتماع الترياق مع الغذاء في بدن الإنسان .

● إن الحركة المعتدلة بالتصرف والركوب معين على حفظ الصحة . وكذلك فـإن الحمام القائم على خلو المعدة من الطعام يحافظ على دوام الصحة وكذلك الاستحمام بالماء العذب المعتدل الحرارة ، ولا يفضل صب الماء المعتدل أو البارد على الرأس .

● إن أصول الجوز إذا استاك المستاك بها كل خامس من الأيام نقّر الرأس وصفّ الحواس ومنع الدهن .

● إن استعمال الخبز المعتدل الاختمار الجيد الطبخ الذي قد عُجن وطُبخ في ذلك اليوم إذا ذهب جسر النار عنه يعيش على دوام الصحة لأنه إذا أكل حاراً غمرت سخونته النارية حرارة المعدة فيعسر انهضامه جداً .

● إن أكل اللحوم في يوم ذبح الحيوان جيد ونافع .

● إن الزمرد يقوي المعدة ويشفي من الصرع وإمساك الزمرد في الفم يقوي الأسنان والمعدة والنظر إلى أعين حمر الوحش يديم صحة النظر أو البصر .

● إن أكل رؤوس الأرانب ينفع من الارتعاش وتمنع من الخدر والفالج ومن الاكتحال بالذهب الزبريز يقوي البصر وإن تضميد العينين بزهر الورد أمان من الرمد .

● إن الانغماس في الزيت الفاتر يبرئ بإذن الله من أوجاع البدن كلها وإن دهن العمود الفقري بدهن اللوز يمنع التقوس والإنحناء .

وبعد ذلك تحدث ابن زهر عن عدد لا بأس به من الأمراض واضعاً الأعراض والأسباب معرفاً بالمرض مبيناً وسائل العلاج والشفاء وكافة ما يلزم مما يساعد على الشفاء وهذه الأمراض هي : داء القرع — داء الثعلب — داء الصلع — السعفة — تغير الشعر — اعوجاج الشعر — داء الأبرية — القمل — والصؤاب — الجراحات بالحديد — الجراحات بالحجارة — أوجاع الرأس — أورام الغشاء الغليظ . التورم في الغشاء الرقيق — أورام الدماغ — أمراض الأذنين — أمراض الأنف — ورم الأنف الداء المعروف بالكثير الأرجل — أمراض الفم — غلظ اللسان الخارج عن الطبيعة — أورام اللسان — أورام اللهاة — بثرات الفم — علة اهتزاز الأسنان — أمراض الشفاه — القلاع — تشقق اللسان — اللقوة — أمراض العينين — أمراض ظاهر الجفن — أمراض باطن الجفن — الأشعار الزائدة — انتشار الأشفار — الشعيرة — أمراض مآق العين — عظم اللحمة التي في مآق العين — نقصان اللحمة في مآق العين — الأمراض التي تحدث في العين نفسها — تركيب العين — البثر والقروح — اعوجاج الحدقة مع القرحة — شياف ينفع من ذلك — اتساع الحدقة وضيقها — شياف يصلح لذلك — كحل يصلح للمستكملين والكهول والمشايخ — الانتشار — القدْح ، الضيق الذي يكون في الحدقة طبعاً — شياف يصلح لذلك — ضعف البصر بسبب كمية الروح الباصر — ضيق العصبة المجوفة — أمراض رطوبات العين — أمراض الملتحم — انتفاخ الملتحم من غير ورم — البثرة في الملتحم — السَّبَل — الامتلاء الذي يحدث في الملتحم وليس تورماً — لطافة الروح الباصر وغلظه ، ما يقع في العين وغيرها من الأعضاء . ما يحدث من الأذن نفسها من الاستنقاع — سوء مزاج الجزء المقدم من الدماغ . سوء المزاج الرطب الذي يحدث في الجزء المقدم من الدماغ — أمراض الجزء الوسط من الدماغ — الأعراض والأمراض التابعة لاختلال مزاج الدماغ — نخسة العصبة — الصدع مركب يصلح لذلك — الصرع الذي يكون بمشاركة الأعضاء للدماغ — أنواع الصرع الثلاثة — العلة المراقية — السدد السكتة — مركب يصلح لذلك — علة الجمود — علة السبات — مركب لذلك يرجى نفعه — الشرسام الحار — الشرسام البارد — الجنون — الرطوبة التي تحدث في البطن المقدم حول الدماغ — السدر — مركب لتنقية المعدة من الخلط الصفراوي — داء البيضة — الشقيقة — مركب لذلك — أمراض الرقبة — السدد والرض والفسخ والخلع والتشنج والرعشة وانتقاض الاتصال — الرعشة — شراب مركب لذلك — ما يحدث في الرقبة من الأمراض — انخزال فقار الرقبة ذات اليمين وذات الشمال — أمراض النخاع — التورم الذي يحدث في النخاع — السدة التي تحدث في النخاع — مركب يصلح لذلك — الأورام التي تحدث في الرقبة — ما يعرض في الرقبة من تفرق الاتصال — انتفاخ اللهاة — الذبحة — أورام قصبة الرئة — أمراض المري — ما يحدث في قصبة الرئة من الأمراض — قروح المري — ما يحدث في العضل الذي في المري من الخدر والاسترخاء — أمراض الرئة — الورم الذي يحدث في الرئة — مركب لذلك — حب مركب لذلك — السعال الذي يحدث من سوء المزاج — أمراض القلب — العلاج من ذلك — مركب لذلك — الخفقان يحدث في القلب من أسباب بادية وأسباب متفرقة — الرطوبة التي تعرض في غشاء القلب — الكبد وأمراضها — مركب لذلك — الطحال وأمراضه — مركب لجسا الطحال — ضماد لجسا الطحال — اليرقان الأصفر — ما يعرض في مراق البطن من الفتوق — جراحات البطن وأمراض المعدة — أورام المعدة — الثآليل التي تحدث في المعدة — مركب لذلك — الفواق — أمراض الصدر — الجراحات والخروق تعرض في الصدر — الشوصة — ذات الجنب — الكسر في الصدر — مركب لذلك .

المجلد الثاني من كتاب التيسير :

تحدث ابن زهر في هذا المجلد عن مجموعة من الأمراض الأخرى وقد تناول فيها الوصف والأعراض ووسائل الشفاء وقد اتبع في ذلك النهج نفسه الذي اختطه في المجلد الأول وهذه الأعراض هي : الكلام في البطن الأسفل ــ مركب لذلك ــ ذكر ما يعرض في الأمعاء بسبب رياح تحتقن فيها ــ أنواع احتباس الثفل ــ الشجح يعرض في الأمعاء ــ الحصاة المتولدة في المثانة والكلى ــ مركب لذلك ــ مركب لذلك ــ مركب لذلك ــ حصى المثانة ــ مركب لذلك ــ ما يحدث في الكلى من أمراض سوء المزاج ــ انتقاض اتصال الكلى ــ ضعف المثانة وخروج البول منها بغير إرادة ــ علل الأنثيين ــ أورام الأنثيين ــ سوء مزاج الأنثيين ــ ما يعرض في الأنثيين من سوء المزاج اليابس ــ استرخاء الأنثيين ــ ما يعرض في الخريطة ــ ما يعرض في القضيب ــ الأرحام وعللها ــ مركب لذلك . امتناع الطمث ــ ما يعرض في الفروج ــ الفطام ــ مركب لذلك ــ ما يحدث في جسم الإنسان عموماً من الأمراض ــ مركب لذلك ــ مركب للتفجير ــ الدماميل ــ مركب لذلك ــ الحكة ــ الجدري والحصبة ــ الحصبة ــ البرص ــ البهق ــ مركب لذلك ــ البهق الأسود ــ الخيلان ــ نسخته ــ السلع ــ الثآليل ــ مركب لذلك ــ خشونة الأجسام وحروشتها ــ علة تقشر الجلد ــ الجذام ــ مركب لذلك ــ ويحدث بالإنسان ألا يحرك بعض أعضائه ــ مركب لذلك ــ مركب لذلك ــ التشنج ــ الاختلاج ــ الرعدة ــ الرعشة الصؤاب ــ العرق البدني ــ داء البقر ــ الصفار ــ حب القرع ــ ديدان الأذن ــ الدوالي ــ مركب لذلك ــ داء الفيل ــ السرطان ــ الدوالي ــ أوجاع المفاصل ــ أوجاع العضل ــ الإعياء ــ النقرس ــ التشقق ــ عرق النسا ــ مركب لذلك ــ أوجاع الخاصرتين « أوجاع الشراسيف » ــ مركب لذلك ــ النفلات ــ وصفه ما ذكرت محاولته في أول الحال ــ مركب لذلك ــ الدواحس ــ الحميات ــ مركب لذلك ــ وصفة حمى سونوخس ــ في الأمراض البوائية وما يعرض من الحميات فيها ــ الحكة المفرطة والجرب والقروح والدماميل ــ مركب مسهل لمن أصابه شيء من ذلك ــ مركب لذلك ــ شراب ينفع الأصحاء ويبقي عليهم صحتهم ــ شراب يشرب مع الماء ينفع بإذن الله من السدد ــ صفة معجون يؤخذ على الطعام ويعين على الهضم ــ معجون عسالج الكرم اللينة ــ شراب ينفع من ضعف البصر ــ شراب ينفع من حدوث العقد في العنق ــ صفة معجون يؤخذ منه إثر الطعام ــ شراب ينفع من البحح ــ صفة لعوق ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من السعال ــ حبّ ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من اللقوة والفالج واسترخاء الأعضاء ــ صفة معجون يؤخذ إثر الأكل ــ شراب ينفع من التشنج الذي يكون من يبس واستفراغ ــ صفة معجون ينفع منه ــ شراب ينفع من التشنج الذي يكون عن امتلاء ــ صفة معجون يؤخذ إثر الأكل على طريق التفكه ــ شراب ينفع من ضعف المعدة ومن ضعف شهوة الطعام ــ معجون ينفع بإذن الله من ذلك ــ شراب ينفع بإذن الله من ضعف الكبود وصفرة اللون ــ صفة معجون نافع من ذلك ــ شراب ينفع من غلظ الطحال ويذهب ذلك ويبرئه ــ صفة معجون ينفع بذلك بحول الله ــ شراب ينفع من السدد وأوجاع الشراسيف ــ صفة معجون يصلح لذلك عن طريق التفكه ــ شراب ينفع من ضعف القلب وخفقانه ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من نفث الدم من الرئة والصدر ــ معجون لذلك على طريق التفكه ــ مركب لذلك ــ شراب ينفع من الشوص وذات الرئة ــ حب يجب أن يمسك النهار والليل في الفم ــ حب ينفع في تلك الحالة ــ شراب ينفع من الإسهال وزلق الحصى ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من إمساك البطن ــ شراب ينفع من أسر البول ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من ذرب البول ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من إفراط انبعاث الدم من أرواح البواسير ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من أوجاع مفاصل الركب ــ صفة معجون ينفع من ذلك ــ شراب ينفع من الأوجاع التي تكون في الشراسيف ــ شراب ينفع من ذلك ــ معجون يصلح لذلك ــ شراب ينفع من الحمى الصفراوية ــ شراب ينفع من الحمى المسماة سونوخوس ــ شراب ينفع من الحمى البلغمية ــ صفة معجون ينفع من ذلك يؤخذ عن طريق التفكه ــ شراب ينفع من الحمى السوداوية ــ معجون ينفع من ذلك على طريق التفكه . علاج النقرس ــ شراب نافع من وجع عرق النسا ــ نسخة الترياق الفاروق ــ صفة أقراص الذرخورون ــ صفة عمل أقراص الاشقيل ــ صفة عمل أقراص الاشقيل ــ صفة عمل أقراص الأفاعي ــ صفة المتردريطوس ــ صفة عمل معجون نوفيون ــ ترياق إذا شربه الإنسان وقد سقي السم ــ وصفة عملية ــ ترياق الأربع ــ ترياق الثوم ــ صفة المرهم النخلي ــ فهرس المصطلحات ــ المصطلحات الطبية ــ الأدوية والأغذية المفردة ــ الأدوية والأغذية المركبة .

إن من يستعرض الموضوعات التي عالجها المؤلف في كتاب التيسير يلاحظ أن الكتاب جلي الترتيب ــ واضح التنسيق ــ دقيق العرض ــ ولا شك في أن تأليف ابن زهر مثل هذا الكتاب في تلك الآونة كان عملاً أصيلاً ، دعاه إلى إنجازه ابن رشد ــ ومُطالع هذا الكتاب اليوم يعجب باستقلال مؤلفه بآرائه وبجرأته على نقد الخاطئ من آراء المتقدمين السابقين لا كما كان يفعل متطببون آخرون خاضعون لكل قول مأثور مهما يكن الخطأ فيه واضحاً .

ولقد ألحق بالكتاب فهرساً للأعلام وآخر للموضوعات وانتهى الكتاب مع نهاية صفحة ٥٥٧ .

الهوامش

(★) الكتاب تحقيق د. ميشيل الخوري ــ تقديم د. محيي الدين صابر . ط١٩٨٣م ، دمشق ــ الناشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قرية النمل

شعر: حسن عبد الرازق منصور

خــرج النـّملُ في نَشاط يجــولُ   حوْلَهُ البيــدُ والرُّبى والحقــولُ
حــولهُ الأرضُ قــد تــرامى مَــداها   ولـه في أكنافها تــأميلُ
فـتراهُ يسـيرُ صفـًّا طــويلاً   نَسَقٌ فيـه دقة وشمـولُ
في رحــاب البيــداءِ يمشي مُجــداً   ومـن الجدُّ صاحبٌ ودليــلُ
مُسْتهـامٌ مُثـابرٌ لا يُبـالي   إن تناهـى أو اسـتمرَّ السَّبيلُ
قــطعَ الأرضَ كلـَّها والفيــافي   وتَساوَتْ حُزونُها والسُّهولُ
عـاملٌ في منـاكب الأرض ســاعٍ   آكلٌ مـن خـيراتها مـا يَنُولُ
حيـوانٌ ضئيلُ جسم ولــكنْ   ليس مـن طبعــه الصَّنيعُ الضَّئيلُ
يــذرعُ الأرضَ طــاغياً في خُطاهُ   أيـن منهُ جبابرٌ وفحـولُ
ما تـزالُ الـرحابُ فيهـا اتسـاعٌ   في رُبــاها للنـّملِ خــيرٌ جَزيلُ
يتمنـّى وفي الأمانيّ سحرٌ   يدفعُ النمـلَ ، فهـو مـاضٍ عَجـولُ
تعجـز الأسْـدُ والـوحوشُ جميعـاً   وهــو يمشي ومـا اعــتراهُ الخُمولُ
ولــه بالثّرى أواصرُ قُربى   فعلى فــكره تَغُوصُ الوحُولُ
كلُّ جنس يُـريدُ ملكَ ثَراها   ليـكونَ الـوحيدَ فيهـا يصُولُ
بعضــه أبيضٌ جميـلٌ ولــكنْ   في حنـايا النفـوس شرٌّ وبيــلُ
وكذا أسْـوَدٌ وأحمـرُ يسـعى   بنفـوس فيها ضميرٌ هـزيـلُ
يعــرفُ الجـدُّ والنشـاط ولـكنْ   في ســواها فــذاك فَظٌّ جَهولُ
نَهمٌ مـا درى القنـاعة يــوماً   أو تناهـَتْ أطماعُهُ أو تحوُلُ
أُممُ النـّملِ كلـُّها قــد تــداعت   إذا دعتـْها أهـواؤها والعقـولُ
كلُّ حــزب مسلـّحٌ مســتعدٌّ   هــاتفٌ بــالدّمار وهــو الـكفيلُ
يــطلبُ النصرَ كلـّه لا يُبــالي   في سـبيل الـوصول كيفَ الـوصولُ
طــاوَلَ النَّجْمَ همـّةً وخيــالا   وهــو في الأرض جاثمٌ لا يــطولُ
عاشَ فـوق الـثرى ويـكبُرُ عنـه   وهــو يـوماً إلى الـثرى سـيئولُ
يا لـه مـن جـانٍ جـنى كلَّ شرٍّ   وعلى رأســه الشُّرور تَدُولُ
لم يجد غـير جنسـه مـن عَـدُوٍّ   ولــه ـ لـو درى ـ خصــومٌ تَغُولُ
قـاتلٌ ، بـل مُدَمِّرٌ كلَّ خِـلٍّ   وهو في الحق ـ لـو علمتَ ـ القتيلُ
كلما غـالتِ الـوغى منـهُ جيـلاً   يغْتدي للحـرُوب جيـلٌ وجيــلُ
قصةٌ تنتهي لتبدأ دومـاً   ما تــوالى للنمــل طبــعٌ مثيــلُ
ضجـَّت الأرضُ من لظى الحقـد حتى   لتكـادُ الجبالُ منها تزولُ
واستعاذت منـه الخـلائقُ جمعـاً   فهــو داءٌ يَشْقى بــه المَعْلولُ
قــرية النـَّمل أصــبحتْ دار ظُلْمٍ   كلُّ مـن فيهـا ظالمٌ أو ذليــلُ
أبصرَتْها النجــومُ قــرية شرٍّ   مزَّقتْها عــداوةٌ وذحــولُ
فرَمتْها بــالريح تَهدرُ نــاراً   وأعــاصيرُ ليْلُها مــوصولُ
عاجلَتْها الـرياحُ دكـّاً وحــرقاً   غادَرَتْها وهـي الـكئيبُ المهيــلُ
جعلــتْ كلَّ النـّملِ فيهـا هَباءً   وجزتـْهُ الفنـاءَ ، وهـو قليــلُ
وأفاضتْ مُــزنُ السَّماءِ ميــاهاً   طــاهراتٍ على ثَراها تَسيلُ
ربـّما أصـبحَ التُّرابُ طهــوراً   مُنْبتاً ، والنبْتُ فيـه جميــلُ
يتغــذى بالطُّهْر جسماً وروحـاً   ثم ينمـو وهـو النَّقيُّ الســليلُ



في علوم الأرض

أ

أكمة :

تل كبير عزل بفعل التحات وله جوانب شديدة الانحدار وقمة صغيرة مسطحة مزواة أو مستديرة ، وهي كذلك ربوة قل حجمها بفعل التحات . وقد يبلغ ارتفاع الأكمة عدة مئات من الأقدام فوق قاع الوادي .

ب

برزخ :

شريط ضيق من اليابسة يصل بين مساحتين كبيرتين من الأرض أو بين مساحة كبيرة من الأرض وشبه جزيرة . اميريكا الشمالية وأميريكا الجنوبية موصولتان ببرزخ **بنما** .

ت

ترابط :

تعيين العمر الجيولوجي المكافئ أو المناظر لطبقتين متباعدتين أصلهما من تكوين واحد أو من تكوينات مختلفة ذوات عمر واحد أو من تكوينات مختلفة ذوات عمر واحد ، وهو كذلك استعمال الحفريات أو الأدلة المادية لتقرير تتابع أعمار الصخور أو الأحداث .

ث

ثلج :

نوع من الترسيب تكون فيه قطرات الماء متجمدة في صورة بلورات جليدية ذوات أشكال سداسية الجوانب متنوعة ، وقد يسقط الثلج على شكل بلورات منفصلة أو بلورات متضامة .

ج

جبهة باردة :

الخط الفاصل بين كتلتين من الهواء إحداهما دافئة والأخرى باردة متجهة نحو الدافئة ومندفعة تحتها ، ويقتصر إطلاق المصطلح أحياناً على خط على سطح الأرض تلتقي عنده كتلة زاحفة من الهواء البارد بكتلة من الهواء الدافئ . **ويستدل عادة على عبور جبهة باردة بارتفاع الضغط الجوي وانخفاض درجة الحرارة وتغير اتجاه الريح .**

ح

حَمَّة :

وهي **الفوارة :** ينبوع شديد الحرارة يفور بين حين وآخر قاذفاً ماء ساخناً وبخاراً وأحياناً وحلاً . حمة **اولد فيثفول هي** أشهر حمة في **الولايات المتحدة الأميريكية** . وفي البلاد العربية **(الحَمَّة)** الفلسطينية في **غور الأردن** جنوب بحيرة **طبريا . (وحَمَّة أبو دابلة)** في غور الأردن أيضاً .

خ

خوْر :

ممر ضيق ذو جوانب صخرية شديدة الانحدار ، وهو كذلك أضيق جزء في ممر ما ، ويسمى أيضاً **الخانق او الأخدود أو الأفجيج .** ويشق النهر أو الجدول عادة الخوْر الذي يجري فيه .

د

دويرة :

تل أو حَيْد طويل بيضي الشكل تكون من طرح المثالج واتخذ شكله من فعل غطاء جليدي سالف ، وتوجد الدويرات عادة في مجموعات .

والدويرات تل على اتجاه تحرك المثلجة ، إذ إن محورها الأطول يكون في اتجاه الحركة .

ذ

ذهب :

عنصر فلزي كثيف جداً ، أصفر اللون لين يسهل تشكيله ، يوجد غير متحد بغيره وفي مقادير يسيرة وبخاصة في بعض الرمال وعروق المرو . ويوجد الذهب في ماء البحر إلا أن تكاليف استخلاصه منه تربى على قيمة الذهب المستخلص .

ر

رُكام :

تجمُّع أو كومة من قطع الصخر انحدرت إلى أسفل جرف أو منحدر شديد الميل ، وكذلك فتات الصخور على مثل هذا المنحدر . ويتكون الرُكام من الصخور التي تحطمت من الجرف بفعل الصقيع أو بفعل عامل آخر من عوامل التجوية .

ز

زلزال :

رجفة أو هزة في قشرة الأرض ناتجة إما عن نشاط بركاني تحت الأرض وإما عن تزحزح الصخور تحت السطح .

الزلزال يحدث أمواجاً صدمية تنتشر من المركز إلى كل الاتجاهات .

س

صورة مرئية لجسم بعيد يسببها الانعكاس الكلي للضوء من السطح الفاصل بين كتلتين من الهواء إحداهما دافئة والأخرى باردة . والسراب عادة صورة للجسم مقلوبة . ويمكن تصوير السراب (بالكاميرا) .

ش

شِعْب حاجز :

جدار طويل ضيق من **صخور المرجان** يمتد بجوار ساحل جزيرة أو قارة فوق سطح البحر أو تحته مباشرة . وقد تجنح القوارب الصغيرة أحياناً فوق شعب حاجز .

ص

صخر الأدَمَة :

أو (صخر القاعدة) هو الصخر الأصم الذي يقع تحت طبقة من التربة أو الرمل أو الطين أو كسر الصخور ، وكذلك الصخر الأصم الظاهر على سطح الأرض . **يحاول المهندس الإنشائي أن يضع المباني الضخمة على صخر الأدمة .**

ض

ضِلع :

حيد طويل غير منتظم مكون من رمل وحصى شبه طباقي ناتج عن المجاري المائية التي تسيل في المثالج أو تحتها . لا يوجد الضلع إلا في الأماكن التي غطتها المثالج القارية في وقت ما .

ط

طرح :

تجمع كومة من المواد مثل الجلاميد والحصباء والرمل والطين انتقلت بفعل المثالج وحطها ذوب الجليد ، وهو كذلك كومة من الثلج أو الرمل أحدثتها الريح أو الماء ، وهو أيضاً تحرك الأجسام الطافية بفعل التيارات في مسطح الماء

ظ

ظهر رملي :

حيد أو جسر من الرمل عند سطح الماء أو بالقرب منه ، ويتكون بفعل تيارات الأنهار أو بفعل الأمواج على الشاطئ . . كثيراً ما يتكون الظهر الرملي حيث تقل سرعة التيار ، فيفقد قدرته على حمل ما فيه من الرمال .

ع

علوم الأرض :

دراسة الأرض وموادها والقوى المؤثرة فيها وعلاقتها بالأجسام الأخرى

الكائنة في الفضاء ، وتشمل دراستها : المدركات الأساسية في الجيولوجيا والأرصاد والفلك والكيمياء والفيزيقا .

غ

غرين :

ما يُرْسبه الماء الجاري من طمي وحصى ورمل وحجارة ويوجد في مهاد الأنهار والبحيرات وفي سهول الفيضان ، وهو كذلك : حبيبات من مواد أرضية تتراوح بين أقطارها ١/٢٥٦ و ١/١٦ من الملليمتر . وهي في العادة أصغر من حبيبات الرمل وأكبر من حبيبات الطين .

ف

فوهة :

حفرة كالقصعة في أعلى البركان شبه مستديرة وذات جوانب شديدة الانحدار وهي كذلك حوض بركاني عميق يقل قطرة عن ثلاثة أمثال عمقه وهي أيضاً منخفض يتكون من ارتطام الشهب بالأرض . تتكون الفوهة عندما تبني المواد الملفوظة من البركان حلقة حول فتحته أو عندما ينهار أعلى البركان .

ق

قلب :

وسط الأرض الذي يعتقد أنه يتكون من كرة جامدة تحوطها كرة سائلة وهو كذلك العينة الأسطوانية من الصخر التي يحصل عليها بمحفار مجوف خاص لتزيد من معرفتنا بالصخور تحت السطحية .

ك

كثيب :

مرتفع أو تل أو حَيْد من الرمل كونته الريح ، ويوجد عادة في الصحارى أو على شواطئ البحار أو البحيرات .

إذا كانت الريح السائدة تهب من اتجاه رئيس واحد فإن الكثيب الرملي يمكن أن يتحرك بمعدل من (١٠) أمتار إلى (١٥) متراً في السنة .

ل

لب الأرض :

قلب الأرض الكثيف الذي يتكون منه جلُّ كتلتها . ويبلغ نصف قطر لب الأرض (٣,٣٦٠) كم تقريباً إلى (٢,١٠٠) ميل تقريباً .

م

مناخ :

الأحوال الجوية التي تتميز بها مساحة ما كما يجري تحديدها بحساب متوسط جميع العناصر الجوية في مدة طويلة من الزمن ، مثل درجة الحرارة والضغط الجوي والرياح والوقد (الرطوبة) والبخر .

ن

نيم :

سطوح تشبه التموجات في الرمل السائب أو مواد التربة تنتج عن تيارات الماء أو الأمواج أو الرياح وقد يشاهد النيم أحياناً على الصخور التي تكونت من رسوبيات كان بها هذا النيم أصلاً .

هـ

هالة :

حلقة ملونة من الضوء تحيط بالشمس أو القمر ، وهي أيضاً دائرة من الضوء تظهر حول الشمس أو القمر عند مشاهدتهما من خلال سحابة سمحاقية طبقية وتحدث الهالة نتيجة لانكسار الضوء في البلورات الجليدية أو بخار الماء في طبقات الجو العليا . ويكون للهالة أحياناً ألوان قوس قزح .

و

وَهدة :

منخفض أو حوض بين حيدين أو قاع طبقة مقعرة ، وهي كذلك المنخفض بين قمتي موجتين في الماء ، وهي أيضاً مستطيلة ذات ضغط منخفض في الجو ، وقد تتكون الوهدة عندما تهبط كتلة ضيقة طويلة من قشرة الأرض الواقعة على جانبيها .

ي

اليابسة :

الجزء الجامد من الأرض وهو قشرتها . وتشمل اليابسة أحواض البحيرات والمحيطات وكذلك القارات .

صفحة مفقودة

عن الطائرات

في العدد (١٠٢) ذو الحجة ١٤٠٥هـ = أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥م، من مجلة «**الفيصل**» الغراء، نُشر موضوع خاص حول **الطائرة**، ولقد كان الموضوع ممتازاً ورائعاً، خصوصاً وهو يحتوي على صور تاريخية نادرة، إلا أن هناك هنة بسيطة أذهبت ببعض رونقه وجماله، ففي الصفحة (٧٩) نشرت صورة لطائرة تومكات ـ ف ١٤ الأميركية الصنع، وهي تطلق صاروخاً من طراز فوينكس جو ـ جو، وقد كُتب تعليق تحتها (طائرة حربية من طراز فوينكس، لحظة انطلاق صاروخ جو ـ جو منها) !!.

إن مثل هذه الأخطاء كثيراً ما تنشر في المجلات العربية، ولكني أربأ بمجلة محترمة كـ (**الفيصل**) أن ينشر فيها مثل هذا الخطأ، وأود أن أشير إلى أن هذه الطائرة ونظامها التسليحي (المشتمل على صاروخ فوينكس)، تعد من الأسلحة الحديثة المتطورة، حيث تعتمد عليها البحرية الأميركية للعمل على حاملات الطائرات البحرية كطائرة مقاتلة من الطراز الأول، ويؤكد (**روبرت هيومان**[١]) مساعد وزير الدفاع الأميركي لشؤون الأبحاث والتطوير واللوجستيات في القوات الجوية (أن هناك مجالا كبيراً لنمو طائرة ف ـ ١٤ بوصفها حاملة صواريخ ذكية، وأنها ستكون حيوية الأهمية خلال القرن الراهن كله)، ويشمل هذا الكلام صاروخ فوينكس جو ـ جو الذي يعد صاروخاً فريداً من نوعه، حيث يبلغ مداه ١٦٠ كيلومتراً، وبعض المصادر تؤكد أن مداه أبعد من ذلك بكثير[٢].

وفي صفحة (٨٦) أي (في آخر المقال)، تطرق الكاتب إلى أنواع الطائرات حيث صنفها إلى قسمين ـ على أساس مكان هبوطها وإقلاعها ـ الطائرات البرية والطائرات البحرية، وفي الحقيقة إن هذا التصنيف مبتسر وغير دقيق ويغفل ذكر بعض الأنواع من[٣] الطائرات، فماذا عن **الطائرات البرمائية**، وهي طائرات يمكنها الإقلاع والهبوط من على اليابسة أو الماء؟، وماذا عن **الحوامات البرمائية** (وهي تطير على ارتفاع بسيط عن الأرض أو الماء، فهي بإمكانها الإقلاع والهبوط على الماء[٤] أو اليابسة)؟، وأين **نضع المركبات، التي تطير بدون طيار**، وتطلق من الطائرة الأم التي تحملها مثل **طائرة بيج** Beech أم. كيو، أم ـ ١٠٧[٥]، وكذلك أي. كيو. أم ـ ٣٧ وغيرها أمثلة عديدة.

أما عن الطائرات البحرية[٦] فهي تقسم إلى **الطائرات الجومائية** مثل الطائرة شورت ١٨٤ والقوارب الطائرة مثل الطراز (فيلكس ستاو)، وهي الأنواع التي عناها الكاتب.

إن التقسيم الذي وضعه كاتب المقال يغفل في هذه الحالة الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات في عرض البحر التي تتميز بخاصية الإقلاع والهبوط العمودي VTOL أو شبه العمودي مثل **(سي هاريير) و (فورجر)** وهي مصممة للعمل في أجواء البحار[٧]، ولا يستطيع أحد أن يغفل دور حاملات الطائرات، ضمن استراتيجية الدول العظمى.

كما ذكر الكاتب معدداً بعض أنواع الطائرات الأرضية فأورد: طائرة الركاب المدنيين، وطائرات النقل الجوي، والطائرات الحربية، وفي الحقيقة إن معظم طائرات النقل الجوي هي ذاتها طائرات الركاب، حيث إنها تستخدم لنقل الركاب وللنقل الجوي، ولكني أود أن أشير إلى أن هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها الكاتب تصنف[٨] ضمن **الطائرات الاعتيادية الأثقل من الهواء** وهي الطائرات التي لها شكل الطائرة العادية المعروفة لدينا من حيث شكل الهيكل والأجنحة، ومجموعة الذيل والجنيحات، أما إذا اعتمدنا على تصنيف الكاتب حول الطائرات الأرضية على اعتبار أنها تلك التي تستخدم الأرض بصفة عامة، فإن هذا التقسيم يمكن أن يضم **الطائرات الشراعية، والطائرات النفاثة، وطائرات الجناح المعلق** التي تستخدم في الرياضة والمناطيد والسفن الهوائية، وكذلك **مكوك الفضاء** الذي يطلق كصاروخ إلى الفضاء ويعود إلى الأرض كطائرة، وهكذا نجد كل هذه المركبات والآلات الطائرة المختلفة فيما بينها اختلافاً كبيراً يمكن أن يضمها هذا التقسيم، هذا ما أردت أن أشير إليه، وأرجو أن لا أكون قد جانبت الصواب فيما قلت.. والله أعلم.

سؤدد فؤاد الآلوسي
العراق ـ ديالي ـ بعقوبة

الهوامش

(١) عن كتاب (الاستراتيجية الأميركية الجديدة)، الصادر ضمن (سلسلة الدراسات الاستراتيجية) عن مركز العالم الثالث للدراسات ـ لندن، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص ١٥٦.

(٢) يمكن الرجوع إلى كتاب (ميزان القوى العربي الإسرائيلي ٧٤ ـ ١٩٧٥م)، الصادر عن مركز الأبحاث الفلسطينية سنة ١٩٧٥م، الجدول رقم (١٦)، يشير إلى أن مدى صاروخ فوينكس هو (١٨٠) كيلومتراً، كما يمكن الرجوع إلى كتاب (الطيران البحري وحاملات الطائرات) للعميد صبحي ناظم، الصادر عام ١٩٨٥م، في بغداد، ص ١٣١ ـ ١٣٢،

وكذلك هناك الكثير من الكتب والمجلات الأجنبية التي يمكن الرجوع إليها للتأكد مما قلته حول هذه الطائرة (ف ـ ١٤).

(٣) للحصول على تصنيف دقيق وعلمي، يمكن الرجوع إلى كتاب (السمتيات) للعميد الركن طلعت نوري، الصادر عن موسوعة علوم (سلسلة الكتاب العلمي العسكري) في العراق عام ١٩٨٥م، ص ص ١٦ ـ ١٨، وذات التصنيف منشور في مجلة (حراس الوطن) العراقية عام ١٩٨٥م.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧.

(٥) عن مجلة (ميلتري تكنولوجي)، ص ص ٣٦ ـ ٣٧، العدد الصادر في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٣م.

(٦) عن كتاب (الطيران البحري وحاملات الطائرات) السابق ذكره، ص ص ١٦ ـ ١٧.

(٧) كتاب السمتيات الذي سبق ذكره، ص ١٧.

(٨) المصدر السابق، ص ١٦.

آيو .. قمر المشتري

بهدف تصويب بعض المصطلحات وتوضيح بعض الفقرات في الموضوع الخاص «**آيو .. قمر المشتري العجيب**» للسيد **عدنان عضيمة**، الذي ورد في العدد (١٠٤) صفر ١٤٠٦هـ = تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥م، ص (٧٥) من مجلة «**الفيصل**»، اسمحوا لي أن أشكر السيد عضيمة على جهده الكبير، وأن أطلب منه إعادة النظر في النقاط التالية:

★ ورد في الصفحة (٧٨)، تحت عنوان «النشاط البركاني المحير»:

الطاقة الكامنة الثقالية»	Gravitational Potential Energy
الجيشان الحراري	Convection
الناقلية	Conduction
التجاوب التجاذبي	Gravitational Resonance

والأصوب أن نقول: جهد طاقة الجاذبية، الحمل الشاقولي، التوصيل الحراري، الطنين التجاذبي.

توضيح الفقرة (٣):

يتم فقد الطاقة الحرارية من مركز الكوكب إلى سطحه بالتوصيل ومن السطح إلى الجو المحيط به بالحمل الشاقولي.

توضيح فقرة نهاية صفحة (٧٨) وبداية صفحة (٨٠):

ويفسر الطنين (التجاوب) في أن التفاعل التجاذبي المتبادل بين قمرين، يكون محكوماً بمسافات التجاذب (أبعادهما المدارية)، التي تجعل الدورة الفلكية (أدوارهما المدارية) لكل منهما عدداً صحيحاً مضاعفاً.

وأود تصويب بعض النقاط في باب «**إيقاع الحياة**»، في نفس العدد صفحة (٨٥):

في السطر ٢١:

يقال: كبريتات المغنيزيوم المائية بدلا من (ماءات كبريتات المغنزيوم)، لأنه يقصد بكلمة ماءات زمرة الهيدروكسيل (OH).

في السطر ٣٥:

لا تصنف البلورات حسب التناظر، لأن هناك ٣٢ صفاً تناظرياً، وإنما تصنف حسب الأبعاد المحورية a, b, c والزوايا الكائنة بينها إلى ٧ أنظمة بلورية، ذكر منها ٦ أنظمة وأغفل عن النظام المعيني Rhombic.

د. محمد وليد كامل
سورية ـ حلب

الشفق .. والغسق

نلفت انتباهكم إلى الخطأ الذي وقع في العدد (١٠٦)، ربيع الثاني سنة ١٤٠٦هـ ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م/ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦م، وفي الصفحة (٩٠) تحت عنوان إيقاع الحياة «**الشفق والغسق**»، حيث يقول الكاتب:

«والشفق Crepuscular الذي هو حمرة الأفق عند الغروب يحصل بشكلين ... إلخ».

واستناداً إلى كتاب «**معجم المصطلحات الجغرافية**» للدكتور **يوسف توني**، طبعة دار الفكر العربي الصفحة (٣٠٠) نصحح ما نشر حول تعريف الشفق والغسق، ولكي يقارن الأخ القارئ بين ما نشر وبين المعجم المذكور فيقول الدكتور يوسف توني في تعريف الشفق والغسق ما يلي: «ذلك الضوء البسيط الذي يلمع في أفق مختلف أقاليم سطح الأرض قبل شروق الشمس وبعد مغربها، فالفترة التي يضيء فيها الجو قبل شروق الشمس تعرف «**بالشفق**» أو الفجر، أما الفترة التي يضيء فيها الجو بعد غروب الشمس فتعرف بـ «**الغسق**»، وتعزى هذه الظاهرة إلى انعكاس ضوء الشمس من طبقات الجو العليا على الأرض،

بينما تكون الشمس نفسها تحت الأفق ويبدأ الشفق عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨° . وينتهي الغسق عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ١٨° أيضاً . وتسمى هاتان الظاهرتان **بالشفق الفلكي والغسق الفلكي** ، أما الشفق أو الغسق المدني ، فيحدث عندما تكون الشمس تحت الأفق بمقدار ٦° ، وتحدده كمية الضوء التي تسمح بالعمل خارج المنزل ، وتقصر فترة الشفق أو الغسق عامة في الأقاليم المدارية ، بينما تطول في العروض العليا ، بل ويمتد الغسق والشفق طول الليل لفترة طويلة في منتصف الصيف في المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٤٨,٥° ، والدائرة القطبية الشمالية أو الجنوبية ، ويزداد عدد الليالي التي يتصل فيها الغسق بالشفق كلما اتجهنا نحو القطبين » انتهى تعريف الدكتور للشفق والغسق .

ومن خلال تعريفكم للشفق والغسق ، لم تذكروا المصدر المأخوذ منه ذلك التعريف .

غسان عبد المحسن الراوي
سورية ـ الميادين

زرع نخاع العظام

نشرت مجلة « **الفيصل** » الرائدة في عددها (١٠٥) ، ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ، موضوعاً بعنوان « **زرع نخاع العظام** » ، وبما أنه موضوع حساس ودقيق ، لا بد من إيضاح بعض النقاط العلمية التي بدت كأنها متناقضة في النص :

● ورد في صفحة (٩٥) « . . . يفتقر فيه هؤلاء الصغار حاملي مرض نقص المناعة الطبيعي منذ ولادتهم إلى نوع من خلايا الدم البيضاء المعروفة بـ « الخلايا اللمفاوية من نوع (ت) » . . « . . . وتكون عملية زرع نخاع عظام مأخوذ من شخص سليم في جسم المريض ، هو العلاج المعروف حتى الآن لداء نقص المناعة الطبيعي . . » .

● ورد في صفحة (٩٧) « وقد يظهر في جسم المريض (أي الرفض للطعم) بعد عملية الزرع حتى عند وجود نسبة اثنين بالمائة فقط من خلايا الدم اللمفاوية من نوع (ت) » .

ولتلافي هذا الرفض ، بيَّن الكاتب وجوب استعمال الأدوية المثبطة للخلايا ت ، كما ورد في صفحة (٩٧) « وتكون جميع هذه المركبات ذات تأثير مثبط لوظيفة الخلايا اللمفاوية من نوع ت . . . » ثم تابع تحت عنوان « المركب الجديد » « . . . ويعمل هذا المركب بصورة خاصة في منع تكاثر الخلايا اللمفاوية ت . . . » انتهى .

فكما نلاحظ ، يظهر تناقض ظاهري واضح دون أن يوضحه الكاتب ، فلا بد أن يخطر على البال سؤال ، لا بد من جلائه بشكل واضح ، إذ كيف بنا نخاطر بإجراء عملية **غرس النقي عند طفل ناقص المناعة** أصلاً وخاصة من النوع الخلوي بنموذج الخلية ت ، كعلاج له للحصول على مناعة قوية وإكثار هذا النوع من الخلايا ، ثم نعطي المريض الأدوية القاتلة والمثبطة لهذه الخلية بالذات كما هو واضح من النصوص التي بينتها . . .

إن النصوص صحيحة ، والتناقض ظاهري ، ويحتاج فقط إلى الإيضاح ، ولم ينقص النص لجلاء هذا الالتباس سوى بيان القواعد الأساسية لغرس النقي . ووجدت نفسي مضطراً لبيان هذه الأسس حرصاً على فائدة الإخوة الذين قرأوا الموضوع وليس لديهم فكرة مسبقة عنه ، خاصة أن غرس النقي يختلف في أمور كثيرة عن باقي اغتراس الأعضاء الصلبة الأخرى من الجسم البشري (كغرس الكلية) . وأهم نقاط الاختلاف التي تفيدنا في الموضوع هي :

١ ـ إن الهدف من غرس النقي أصلاً هو الحصول على مناعة لجسم الثوي (الشخص المستقبل للطعم) ، تقوم به الخلايا التي ينتجها نقي العظم المغروس ، والذي نقل من شخص طبيعي ، ومتطابق نسيجياً مع المُتَلَقّي للطعم .

٢ ـ وبما أن جسم الشخص المتلقي قد يرفض هذا الطعم ، ولكي لا نفقد الهدف من غرس النقي ، فإن الأدوية القاتلة للخلايا التي ذكرت في البحث تستخدم لفترة قصيرة بهدف منع جسم الثوي من رفضها بل حتى يتلاءم معها ، ثم توقف بعد ذلك لإنجاز الهدف الأول من غرس هذا النقي ، فيستعيد نشاطه في إنتاج الخلايا المناعية (ت) بعد توقيف هذه الأدوية . (بينما لا نوقف المعالجة في حالات الغرس للأعضاء الصلبة الأخرى . .) .

وفي الحقيقة أكثر ما نستعمل هذه الأدوية في حالات فقر الدم اللامصنع ، وخاصة إذا كان المصاب قد نقل له دم قبل عملية غرس النقي ، لكثرة حدوث الرفض بعد نقل الدم ، وكذلك في حالات الابيضاض ، لمحاولة قتل أكبر عدد ممكن من الخلايا الابيضاضية قبل الزرع ، وقد نضطر من أجل هذا الهدف إلى تشعيع كامل الجسم

(TBI) . والمهم أن لا نستعمل هذه الأدوية لأكثر من ٣ ــ ١٢ شهراً ، ثم توقف .

٣ ــ في حال إجراء اغتراس النقي العظمي للأطفال المصابين بنقص المناعة من نوع عوز الخلايا (ت) ، وكذلك في حال وجود توأم حقيقي للمتلقي ، فإننا لا نحتاج في معظم هذه الحالات إلى استخدام مثل هذه الأدوية ، وقد فسروا حالات الرفض التي حدثت في مثل هذه الحالات إلى المناعة الذاتية . وعندئذ قد نستعمل هذه الأدوية لفترة وجيزة جداً قد لا تتجاوز عدة أسابيع .

٤ ــ إن أقل كثافة خلوية للنقي المنقول هي (٢ ــ ٦) × ١٠ خلية / كغ من وزن جسم المتلقي . فقد تبين أن رفض الطعم أكيد إذا كانت الكمية المنقولة أقل من هذا الرقم .

بينما يقل احتمال الرفض كلما كانت الكثافة الخلوية المنقولة أعلى من هذا الرقم . أعتقد أن هذه الأسس المبسطة كافية لإيضاح الالتباسات التي وردت في النص ، والأسس كثيرة ، ولكنني ذكرت ما يتعلق بالموضوع .

كما وردت في الموضوع كلمات لا يجوز استعمالها إطلاقاً في هذا الموضع ، منها مثلاً كلمة « **نخاع** » ، فهذه الكلمة لم ترد في القواميس الطبية إلا في باب الجهاز العصبي فهي منقولة عن Myelin فنعبر بها عن **النخاع الشوكي** والتهاباته Myelitis ، أو المادة النخاعينية للأعصاب Myelin ، وأما ما يتعلق بالعظام فلُبُّها يسمى Bone Marrow فقد عُربت في جميع القواميس بما فيها **القاموس الطبي الموحد** ١٩٨٤ م ، باسم « **نقي العظم** » ، ولم أجد في أي قاموس قديم أو حديث كالمورد ، أو « حتّي الطبي » ، أن كلمة Marrow هي نخاع . بل ورد في **حتّي الطبي** بالإضافة إلى معناها نقي ، مُخُّ العظم ، وهو استعمال عامي لم يأخذ به الأطباء العرب .

وأما كلمة « **زرع** » ففيها الكثير من البيان :

عند نقل عضو من شخص إلى آخر ، فهو في الإنجليزية مأخوذ من Transplantation ، وقد ورد تعريب هذا الاصطلاح في القاموس الطبي الموحد على أنه : **اغتراس أو غرس** ، ولم يقبلوا فيه كلمة « زرع » ، وفي اعتقادي أنهم محقون في ذلك من الوجهة الشرعية ، ففي قوله تعالى **﴿ أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾** (سورة الواقعة ، الآيتان ٦٣ ــ ٦٤) ، إشارة واضحة على أن الزارع الحقيقي هو الله تعالى وحده ، فليس للإنسان من عمل في ذلك سوى توفير شرائط نمو المزروعات من حرث وبذار ، وأما نماؤها فهو بعلم الله ورعايته ، فالإنسان لا يخرج الرشيم ولا ينميه ، بل يوفر شرائطه اللازمة لذلك . ومن هذه الآية ورد حديث لأبي هريرة عن **النبي صلى الله عليه وسلم** ، أنه قال : « لا يقولن أحدكم زرعتُ وليقل حرثت فإن الزارع هو الله » . ومن هذا الأدب الرفيع والعلم الراسخ ليس لنا أن نقول بالزراعة إلا من باب المجاز بقصد تأمين شرائط نجاح المزروع . وينطبق ذلك حتى على زراعة الأعضاء في الطب ، فما مهمة الطبيب سوى تأمين شرائط نجاح العضو المغروس ، وأما نجاح هذا العمل واستمراره ، فإنما مردُّه إلى الله وحده ، فإن شاء حفظه ، وإن شاء رفضه ، وكل بعلمه وحكمته .

وأما غرس أجهزة صناعية في الجسم فهي مترجمة عن فعل implant ، لأنها غير منقولة من جسم بشري آخر . وترجمتها في القاموس الطبي الموحد أيضاً هو « غرسة ، يغرس » . على أية حال يجوز استعمال كلمة زرع ، شريطة أن نعلم ونقصد بأن هذا الاستعمال مجازي وليس حقيقي ، وإنما لشيوعة في الاستعمال ، وقد ورد الاستعمال المجازي في كتاب الله تعالى بقوله **﴿ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾** (سورة الفتح ، الآية ٢٩) . كما استعمله سيدنا يوسف بقوله **﴿ تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾** (سورة يوسف ، الآية ٤٧) .

وما يقصده : تحرثون وتبذرون لتنبت زروعكم . . ومن أراد الاستفاضة في موضوع الزرع فليراجع **تفسير القرطبي** في سورة الواقعة .

ولقد وردت في صفحة (٩٦) كلمة « جيبي » تعريباً لـ granulocytic ، وأعتقد أنها خطأ مطبعي فواضح أن صوابها « حبيبي » .

كما استعمل الكاتب كثيراً عبارة « منشأه نخاع العظم » ، تعريباً لكلمة Myeloid وصوابها « نقوي أو نقياني » .

وأخيراً ، أحب أن أقول إن غرس النقي العظمي ، قد تطور كثيراً في السنوات الأخيرة ، وأصبح علاجاً جيداً لكثير من الأمراض الدموية ، وارتفعت نسبة الحياة في بعضها إلى ١٤ سنة فيما لم تصل سابقاً إلى ٢ ــ ٣ سنوات كما في اللمفومات اللاهودجكنية .

هذا ، ولقد اختار الكاتب موضوعاً ممتازاً لطرحه للإخوة القراء ، نرجو أن نكون قد تعاونّا في فائدة الجميع . وليس لنا إلا أن ننتظر المزيد من المعلومات عن غرس النقي في السنوات المقبلة .

د . ضياء الدين الجماس
دير الزور ــ سورية

ردود قصيرة

● الأخ (عبد الله علي عبد الله) ، شبرا الخيمة ـ مصر .

نشكر لك مشاعرك النبيلة نحو المملكة ونهضتها . . وقد بعثنا برسالتك للرائد العربي المسلم الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ، وهو يهديك تحياته .

● الأخ (محمد محفوظ بن أحمد) ، أنواكشوط ـ موريتانيا .

نشكر لك إعجابك بالمجلة . . ونأسف لعدم تمكننا من إرسال أعداد المجلة مجاناً ، لأن المجلة لا ترسل مجاناً إلا للهيئات العلمية والمكتبات العامة والمراكز الثقافية ، حيث يستفيد منها أكبر عدد ممكن من الدارسين والباحثين والقراء . . ولك تحياتنا .

● الأخ (بن بصيص محمد بن الصافي) ، ورقلة ـ الجزائر .

لكل مجلة شخصيتها وملامحها المميزة . . وملاحظتك حول ورق القصة ، ورحلة في كتاب ، هو جزء من ملامحها التي لا تتغير برغبة أو مزاج أفراد . . أما طلبك المعلومات التي أشرت إليها في رسالتك ، فنأسف لعدم توفرها في الوقت الراهن . . مع تحياتنا .

● الأخ (عبد الحميد تبطاري) ، ولاية الوادي ـ الجزائر .

نشكر لك مشاعرك نحو المجلة . . وتستطيع الاشتراك بواسطة شركة التوزيع بالجزائر . . والمجلة لا تبيع الكتب ولا توزعها . . وما تقرأه عن بعض الكتب على صفحاتها هو مجرد التعريف بها ، إذ تصلنا نسخة واحدة من مؤلف الكتاب أو دار النشر .

● الأخ (ابن التواتي عيسى) ، الأغواط ـ الجزائر .

المجلة أنشئت لنشر الثقافة ، وليس للمراسلات وتبادل الرسائل . . ولك تحياتنا .

● الأخ (صالح البغدادي) ، دمشق ـ سورية .

نحن غير مسؤولين عما تنشره المجلات والصحف الأخرى من أخبار . . أما تخصيص باب لموضوعات التربية الإسلامية مقارنة بالتربية الحديثة فإن ما تنشره المجلة من دراسات عن التربية الإسلامية يغني عن تخصيص باب ثابت . . ولك تحياتنا .

● الأخ (صالح مهدي الشتال) ، محافظة البصرة ـ العراق .

مرحباً بك صديقاً للمجلة . . أما الأعداد التي طلبتها فسوف لن نتردد في إرسالها إليك إذا كانت متوفرة .

● الأخ (محمود فوزي عبد الحليم جمعة) ، قرية كفر أبو جيل ، الشرقية ـ مصر .

المجلة ترحب بأي عمل جيدّ . . وتستطيع معرفة ما ورد في القرآن الكريم من قصص من خلال أساتذتك خاصة أنك في جامعة الأزهر .

● الأخ (حمداني أحمد بن الحاج صالح) ، تهارت ـ الجزائر .

رسالتك أسعدتنا . . وشكراً لمشاعرك . . وفي إمكانك الحصول على المجلة بانتظام من خلال الاشتراك عن طريق شركة التوزيع في الجزائر . . وقد أحلنا طلبك إلى الجهة المختصة لمحاولة تزويدك ببعض الأعداد السابقة إذا كانت متوفرة . . ولك تحياتنا .

● الأخ (عنتر بداوي) ، النعامة ـ الجزائر .

المجلة ليس بها باب للتعارف . . وفي إمكانك إرسال اسمك وعنوانك إلى غيرها من المجلات التي تهتم بمثل هذه الأمور . . ولك تحياتنا .

● الأخ (أبي عثمان عبد الرحيم) ، مركة ـ الصومال .

لك الشكر من كل العاملين في المجلة على مشاعرك الطيبة . . وسوف نسعى للتعريف بمدن وحضارة وآثار الصومال الشقيق كجزء من واجبنا الكبير نحو أمتنا العربية والإسلامية . . وكان بودنا تلبية طلبك بإرسال المجلة مجاناً ، إلا أن القاعدة في المجلة عدم إرسال المجلة للأفراد باستثناء الجهات الثقافية التي يمكن أن يستفيد منها أكبر عدد ممكن من القراء . . ولك تحياتنا .

● الأخ (بباقة عبد الحق) ، قرية الحارقة ، جيجل ـ الجزائر .

مرحباً بك صديقاً للمجلة . . وقد سررنا لمشاعرك الكريمة . . مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

مسابقة مجلة الفيصل

●● تلفت نظر بعض الإخوة الذين يشتركون في مسابقة المجلة ، والذين يكتبون أسماءهم ثنائية فقط .. تلفت نظرهم إلى أن رسائلهم لن تدرج ضمن عملية الفرز ، ما لم ترد أسماؤهم الثلاثية ، أو الرباعية إن أمكن .

وهذا يعني حرمانهم من الفوز في المسابقة كلية .. مع العلم أن إيراد الاسم ثلاثياً أو رباعياً ، هو أحد شروط المسابقة .

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

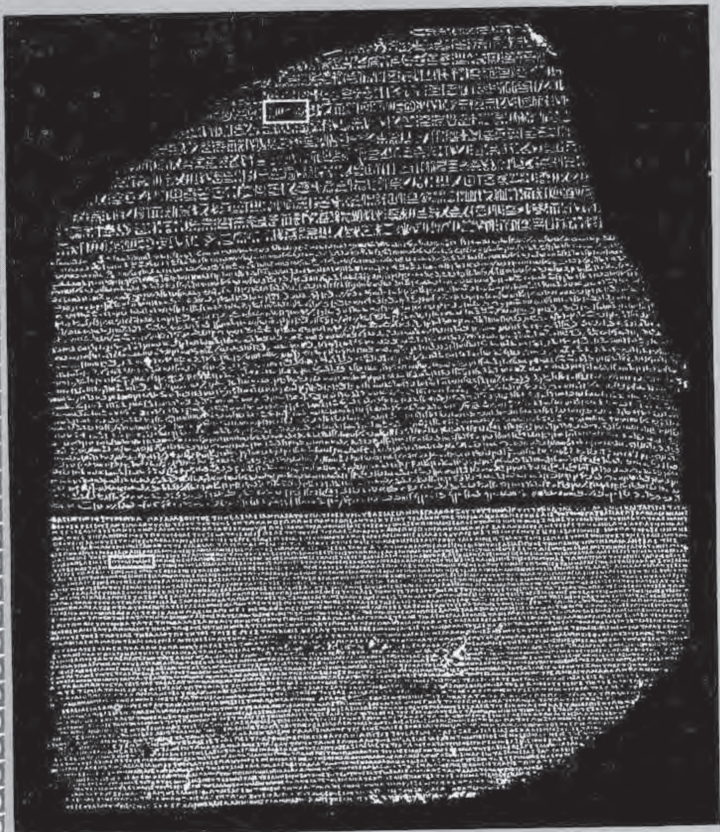
قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٧)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

●● المسابقة ●●



السؤال الأول :

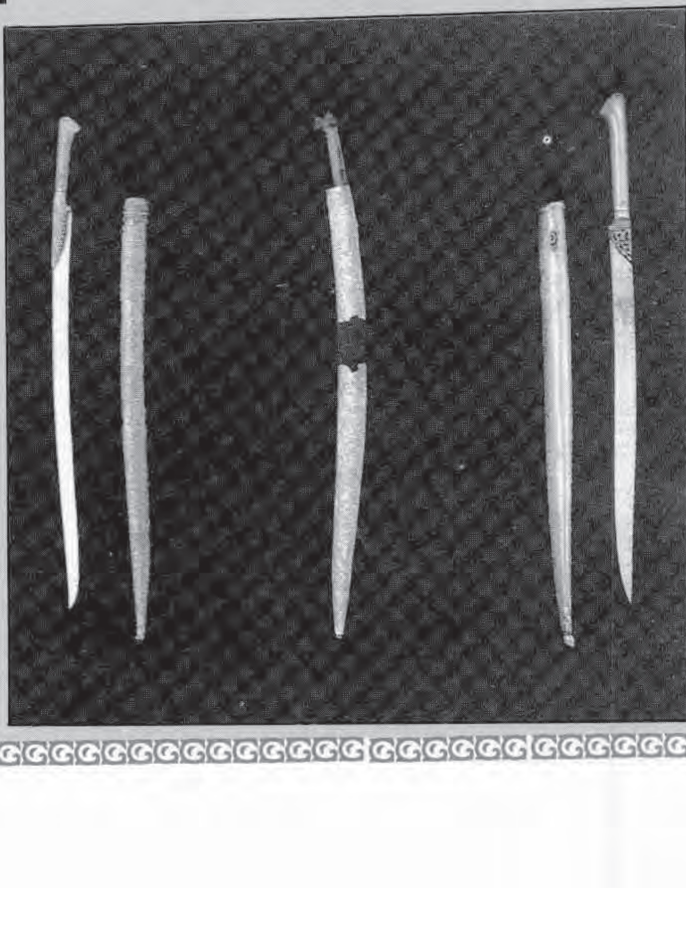
اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
تاريخ الإسلام الكبير ـ المعمرين ـ الاقتراح .

السؤال الثاني :

هذه الصورة لحجر رشيد .. متى تم العثور عليه .. وما اللغات التي كتب بها عليه .. وما اسم العالم الذي حل رموز إحدى هذه اللغات .. وأين يوجد هذا الحجر حالياً ؟

السؤال الثالث :

ما وظيفة الغدد النخامية في جسم الإنسان ؟



السؤال الرابع :

متى أنشئ خط قطار السكة الحديد بين مدينتي الرياض والدمام في المملكة العربية السعودية ؟

السؤال الخامس :

هذه الصورة لعدد من السيوف القديمة .. إلى أي عصر تعود إليه هذه السيوف .. وما نوعها ؟

●● أجوبة مسابقة العدد (١١٠) ●●

ج ١ «**الجبر والمقابلة**»، اسم لثلاثة كتب ألّفها ثلاثة علماء هم:

١ ـ **أبو عبد الله بن موسى الخوارزمي**.

٢ ـ **شجاع بن أسلم**.

٣ ـ **أحمد أبو حنيفة بن داوود الدينوري**.

وقد لاحظت لجنة المسابقة أن عدداً كبيراً من المتسابقين قد أورد في إجاباته اسم: **يحيى أحمد الكاشي**، بدلا من **الخوارزمي**.. حيث التبس عليهم عنوان «**الجبر والمقابلة**» الذي تناوله الكاشي موضوعاً من الموضوعات التي وردت في كتابه (**كتاب لباب الحساب**)، ولم يكن له مؤلف مستقل يحمل عنوان: «**الجبر والمقابلة**».

ومع ذلك، فإن اللجنة قد عدّت إجابة المتسابقين الذين ذكروا اسم «الكاشي» كأحد الثلاثة علماء المذكورين في هذا السؤال.. إجابة صحيحة.

ج ٢ الجامع الذي ظهر في الصورة.. هو جامع «**كلان**» ومئذنته ببخارى ـ أزبكستان.

ج ٣ يبلغ قطر كوكب **زحل**: ١٢٦٠٠٠كلم، وكوكب **المشتري**: ١٤٢٨٠٠كلم، وكوكب **المريخ**: ٦٧٨٧كلم.

ج ٤ يتنفس نبات **الأرز** تحت الماء عن طريق شفطه للهواء.. ذلك أن عملية **التمثيل الغذائي** للنبات تخلق نوعاً من التفريغ، من شأنه أن يجذب الهواء مثلما تجذبه رئة الإنسان.

ج ٥ القلعة التي ظهرت في الصورة، وعليها أحد المساجد المشهورة الذي يحمل اسم قائد مسلم معروف.. هي «قلعة **محمد علي**» الموجودة في القاهرة، وتسمى «**قلعة الجبل**»، وهي نفسها «**قلعة صلاح الدين**» أو «**قلعة القاهرة**»، ويختصر اسمها إلى «**القلعة**» فقط.

●● نتيجة مسابقة العدد (١١٠) ●●

● فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالا سعودياً، الأخ **عبد الغني مصطفى أزغيات**، حي الفرح ـ الدار البيضاء (٠٤) ـ **المغرب**.

● وفاز **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخ **محمد فتحي موسى بيومي**، الكابشة ـ تلا ـ منوفية ـ **مصر**.

● وفازت **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالا سعودياً، الأخت **عائشة أسعد طه** ـ دمشق ـ **سورية**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **الجزائر** ـ ابن عكنون ـ المركز الطبي لتكوين إطارات التربية، الأخ **علي بربورة دحمان**.

● من **أندونيسيا** ـ مادورا، الأخت **زهيدة شكرا أحمد**.

● من **تونس** ـ المنستير، الأخت **منية بنت سالم التريكي**.

● من **الكويت** ـ ثانوية الرابية للبنين ـ ص. ب: (٥٨٢٣٢)، الأخ **محمود ذيب حسين إبراهيم**.

● من **الأردن** ـ إربد، الأخت **ختام حمدي غرايبة**.

● من **لبنان** ـ بيروت، الأخت **غادة عيد الحموي**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ جيزان ـ بيش ـ مدرسة الشريعة الابتدائية، الأخ **عيسى محمد أحمد صغير**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل منها **اشتراك مجاني لمدة عام، في مجلة «الفيصل»**، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **العراق** ـ ديالي ـ جلولاء ـ ص. ب: (١)، الأخ **علي حمدي صوفي**.

● من **البحرين** ـ مدينة عيسى ـ مدرسة مدينة عيسى الثانوية ـ ص. ب: (٣٢٢٤٤)، الأخ **حسن أحمد حسن حبيل**.

● من **السودان** ـ ود مدني ـ ص. ب: (٥٦)، الأخ **مبارك سلمان محمد أحمد**.

● من **سورية** ـ دمشق ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية، الأخ **فاروق أحمد عثمان**.

● من **الإمارات العربية المتحدة** ـ العين ـ ص. ب: (١٥٣٢٥)، الأخ **عبد الله عبد الحميد عبد الله عرواني**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الرياض ـ مستشفى الملك خالد الجامعي، الأخ **عبده محمد هزازي**.

● من **العراق** ـ بغداد، الأخت **بتول محمد حسن داوود**.

● من **مصر** ـ دمنهور، الأخت **شادية أحمد نصرة**.

● من **موريتانيا** ـ نواكشوط ـ ص. ب: (٤٠١٣٣)، الأخ **محمد عبد القادر بن محمد سالم**.

● من **الجزائر** ـ الحي الجنوبي ـ بو سعادة، الأخ **جمال محمد أمردفي**.

الحركة الثقافية في شهر

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- طبع ترجمة معاني القرآن الكريم .
- اغتيال العالم الشيخ صبحي الصالح .
- كشف أثري في العراق .
- مهرجانات للفنون الشعبية .
- معارض للكتاب العربي .
- إنشاء دار نشر كبيرة في الأردن .

في العالم

- اللغة العربية في مدارس السنغال .
- طبيب سعودي في الأكاديمية الألمانية .
- معرض عن فن صناعة العاج في مصر القديمة .
- موسوعة عن الزهور في الصين .
- صدور صحيفة بريطانية جديدة .

الحركة الثقافية في الوطن العربي



★ د. عبد الله عبد المحسن التركي ★

السعودية

طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم

خدمة للإسلام والمسلمين في شتى بقاع المعمورة وضمن خطة الأمانة العامة **لرابطة العالم الإسلامي لترجمة معاني القرآن الكريم، يقوم مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم بطبع بعض الترجمات،** منها:

★ **طبع ترجمة برتغالية** لمعاني القرآن الكريم حيث انتهى **الدكتور حلمي نصر** الأستاذ بجامعة ساو باولو بالبرازيل من إعداد ترجمة معاني عشرين جزءً من القرآن بهذه اللغة من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة العنكبوت.

★ **طبع ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الصومالية،** حيث انتهى الشيخ **محمود محمد عيد** من ترجمة عشرين جزءً، وهي تطبع الآن، وكانت الرابطة قد أرسلت عشرة أجزاء كدفعة أولى في شهر شعبان من عام ١٤٠٤ هـ، وذلك قبل هذه الترجمة التي أعدها الشيخ محمود.

ندوة الشباب المسلم

اختير الدكتور مانع الجهني الأستاذ بجامعة الملك سعود ليكون **أميناً عامًا للندوة العالمية للشباب المسلم** التي تتخذ من الرياض مقرًا لها.

وقد جاء اختيار الدكتور الجهني لهذا المنصب بناء على قرار المؤتمر العالمي السادس للندوة الذي عُقد مؤخراً بالرياض والذي انتخب فيه الدكتور الجهني ليتولى هذه المسؤولية خلفاً **للدكتور توفيق القصير** لمدة ثلاث سنوات متتالية، وقد باشر عمله فعلاً.

الجدير بالذكر أن مجلس أمناء الندوة في دورته الحالية يتكون من:

★ **الدكتور إبراهيم القعيد** الأمين العام المساعد.

★ **الدكتور سليمان باسهل** أميناً عامًا مساعداً للندوة في جدة.

★ **الدكتور حمد الصليفيح** عضو مجلس الأمانة عن التوعية الإسلامية.

كما يضم مجلس الأمناء أربعة أعضاء من السعودية بلد مقر الندوة، وهم الدكاترة:

★ **محمد عمر جمجوم.**

★ **توفيق أحمد القصير** (الأمين العام السابق).

★ **صالح الوهيبي.**

★ **أحمد عثمان التويجري.**

ويمثل أوروبا في مجلس الأمناء **الدكتور بهيج ملاحويس**، وعن **إفريقيا الدكتور عيسى بيللو**، وعن **الأمريكتين داود زوينك**، وعن **آسيا قمر الدين محمد.**

ندوة عن تعليم العربية

عقدت بنادي الرياض الأدبي ندوة عن نشر وتعليم اللغة العربية شارك فيها كل من:

★ **الدكتور عبد الله التركي** مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

★ **الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر** الخبير بمعهد الخرطوم الدولي.

★ **الدكتور عمر جاه** سفير جامبيا لدى المملكة.

حضر الندوة ضيوف المؤتمر التأسيسي لامتحانات المدارس العربية والإسلامية الذي عُقد في الرياض خلال شهر محرّم بدعوة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

كتب جديدة

● **«الإدارة التعليمية على مستوى المناطق في المملكة العربية السعودية»،** تأليف **الدكتور محمد بن حسن المبعوث،** صدر في **الرياض.**

● **«المناحي العلمية عند القزويني»،** تأليف **الدكتور علي بن عبد الله الدفاع،** صدر عن **نادي القصيم الأدبي.**

● **«المعارك الأدبية بين زكي مبارك ومعاصريه»،** دراسة بقلم **محمد جاد البنا،** صدرت في كتاب عن **دار الكتاب السعودي.**

● **«الكشاف التحليلي للدوريات والنشرات العربية والأجنبية المتوفرة في مركز المعلومات بالأمانة العامة»،** صدر عن **قسم الببليوجرافيا والتكشيف، مركز المعلومات بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بالرياض.**

● **«الآفات الحشرية والحيوانية وطرق مكافحتها في المملكة العربية السعودية»،** تأليف **الدكتور علي إبراهيم دبور والدكتور شاكر محمد حماد،** صدر عن **عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.**

● **«تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ـ منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري»،** تأليف **محمد فهد عبد الله الفعر،** صدر عن **تهامة** ضمن سلسلة **«رسائل جامعية».**

● **«تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١ ـ ١٩٧٧ م»،** تأليف **رونالد سترومبرج،** ترجمة **أحمد الشيباني،** صدر **الجزء الرابع** عن **دار عكاظ للصحافة والنشر بالرياض.**

● **«التلفزيون الإسلامي ودوره في التنمية»،** تأليف **يحيى بسيوني مصطفى والدكتور عادل الصيرفي،** صدر عن **دار عالم الكتب بالرياض.**

صدرت الكتب التالية عن **دار عالم الكتب بالرياض،** من تحقيق **هشام بن إسماعيل السقا،** ومراجعة **محمود بن محمد الحداد:**

★ **«جزء من اسمه عطاء»، للطبراني.**

كلمة

وليد إخلاصي .. الفنان والإنسان

عرف الناس **وليد إخلاصي** كاتباً وروائياً ومسرحياً .. يروي قصصه في بساطة ووضوح ، ويسبغ عليها من فنه الجميل ، وروحه الصافية ما يجعل القارئ يعيش في حوادثها ، ويحيا مع أبطالها ، ويتنقل معهم ، ويستمتع بصحبتهم ، ويتجاوب معهم فيما يحسون من ألم ، وسعادة ، لأن شخوص قصصه ورواياته يعيشون بيننا ونراهم في حياتنا اليومية .

وكانت كل قصة لوليد إخلاصي تحمل بين سطورها من روح كاتبها ، وما انطبعت عليه نفسه من صفات إنسانية عالية ، ومزايا حميدة متعددة ، كانت فيها الرجولة ، والشهامة ، والمعاناة لإنسان هذا العصر .

لقد روى وليد إخلاصي لقرائه القصص التي كتبها قلمه ، وأخرجها تفكيره العميق الهادئ ، ولكنه لم يقدم للقارئ قصة واحدة من قصص حياته اليومية ، مع أن حياته كانت سلسلة من القصص تصلح كل واحدة منها لأن تكون نبراساً لكل شاب يريد أن يشق لنفسه طريقاً واضحاً في هذه الحياة ذات الدروب والمتاهات والضياع .

وكتب مرة أحد الزملاء مقالا يهاجم ويمس وليد إخلاصي مساً واضحاً عنيفاً ، وقرأت المقال وشعرت أن فيه كثيراً من التجني على شخص وليد ، وتوقعت أن يرد وليد بنفس العنف الذي هوجم به ، وقابلته يوم نشر المقال فسألني وهو يبتسم :

« هل قرأت ما كتبه فلان ؟ .. قلت : نعم .. هل سترد عليه ؟ قال : لا ... فظننت لأول وهلة أن الزميل ليس أهلاً للرد أو ليس بمستوى رد وليد إخلاصي ، ولكن تبين لي غير ذلك حينما أردف قائلاً : لن أرد فهو صديقي ، وأخشى أن أبادله الرد فأجرح شعوره أو أؤلمه .. » .

ورفض وليد أن يدافع عن نفسه ، لأنه كان يضع الصداقة في المقام الأول ، أما المسائل الشخصية فلم يكن لها في حياته أو في عمله حساب .

وحدث مرة عندما كنت جالساً معه في مكتبه ، دخل علينا شاب لا أعرفه ، قام وليد ورحب به ، وأثناء تناولنا القهوة ، سأله الشاب : هل تنصحني بمطالعة كتب معينة ؟ .. أجابه وليد : عليك بمطالعة أي كتاب يقع بين يديك ، ومد يده إلى جيبه وأعطاه مائة ليرة وطلب منه شراء بعض القصص . وفي نهاية الزيارة قدم الشاب شكره العميق مغادراً المكتب . ونظرت إلى وليد نظرة استغراب مع اطلاعي على أن ما دفعه وليد إخلاصي لهذا الشاب من راتبه الشهري قد اقتطع من قوت عياله .. فلاحظ ذلك فقال :

« هذا الشاب من هواة مطالعة القصة ، وأنا أعلم أن دخله لا يسمح بشراء القصص فدفعت هذا المبلغ حتى أشجع فيه هذه الناحية ، فأنا أتوقع له مستقبلاً ناجحاً » .

هذا هو وليد إخلاصي كما عرفته .. أما الناس فقد عرفوا وليد الفنان ، ولم يعرفوا وليد الإنسان .. صحيح أن إنسانية الفنان يمكن أن تستشف من قيمة فنه ، ولكن هناك من واقع حياة وليد ما يؤكد علاقته بإنسانيته .

أما ما أخرجته المطابع لوليد إخلاصي ، وما نشرته له الصحف فإنه يعطي صورة صادقة عن وليد الكاتب الفنان ، أما قصة وليد إخلاصي الإنسان ، فهي أعظم قصصه جميعاً في رأيي ، وهي القصة التي لم يكتبها هو .. ولم يكتبها أحد .

عبد الغني هبّاش
حلب ـ سورية

★ «حديث الإفك» ، تأليف عبد الغني المقدسي .

★ «حق الجار» ، تأليف الحافظ الذهبي .

★ «العقد التمام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام» ، تأليف يوسف بن عبد الهادي .

● «لباب الإعراب» ، تأليف تاج الدين محمد الإسفراييني ، دراسة وتحقيق بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن ، صدر عن **دار الرفاعي للنشر بالرياض** .



★ د. علي عبد الله الدفاع ★

العراق :

●● كشف أثري ●●

عثرت بعثة الآثار العراقية على مجموعة من **الأختام الأسطوانية البابلية** في منطقة «**العوسية**» الواقعة شرق مدينة «**عنّة**» بمحافظة **الأنبار** على بعد (١٢٠) كم غرب العاصمة **بغداد** .

وتمثل هذه الأختام مجموعة متكاملة تتألف من سبعين ختماً مختلفاً .

●● كتب جديدة ●●

● «**قضايا في التربية والتعليم**» ، تأليف **الدكتور مصطفى بغدان** ، صدر عن **دار الموسوعة الصغيرة ببغداد** .

● «**الفراشة**» ، **مجموعة قصصية** للقاصة **ميسلون هادي** ، صدرت في **بغداد** عن **دار الشؤون الثقافية العامة** .

● «**ديوان علي الشرقي**» ، جمع وتحقيق **الدكتور إبراهيم الوائلي وإبراهيم الكرباسي** ، صدر في **بغداد** .

● «**الحياة النيابية في العراق ١٩٥٢ ـ ١٩٤٦ م**» ، تأليف **حسين الجميل** ، صدر في **بغداد** .

● «**إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر**» ، تأليف **الدكتور علاء الدين كاظم نورس** ، صدر في **بغداد** .

● «**صحافة العراق**» ، بقلم **رفائيل بطي** ، صدر في **بغداد** .

● «**أصول البيان العربي**» ، تأليف **الدكتور محمد حسين علي الصغير** ، صدر عن **دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد** .

السودان

وفاة الكاتب جمال محمد أحمد

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب السوداني جمال محمد أحمد على إثر مرض ألم به.

وكان رحمه الله في حياته قد شغل منصب وزير خارجية في إحدى الحكومات السودانية.

كما كان كاتباً من الكتّاب المعروفين، وله العديد من المؤلفات، منها كتاب **«الوطنية العربية»**.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الجزائر

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن **ديوان المطبوعات الجامعية بمدينة الجزائر**:

★ **«التحليل الرياضي»**، تأليف **الدكتور كوتي. وج. ارزا**، ترجمة **الدكتور يوسف عتيق**.

★ **«عقد البيع في القانون المدني الجزائري»**، تأليف **الدكتور محمد حسنين**، صدر في طبعته الثانية.

★ **«تمارين في التحليل الرياضي»**، تأليف **الدكتور ب. كالفو وآخرون**، ترجمة **الدكتور يوسف عتيق**.

★ **«مسائل الفيزياء»**، تأليف **الدكتور عبد الكريم بن عبد الله**، صدر في **جزءين**.

● **«دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة»**، تأليف **الدكتور عمر ابن قينة**، صدرت عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بمدينة الجزائر**.

● **«طرق الإسعاف»**، تأليف **الدكتور مصطفى خياطي**، صدر بالفرنسية عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**.

صدرت الكتب التالية عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**:

★ **«الشخصية»**، تأليف **الفرنسي لازا روس**، ترجمة **الدكتور سيد محمد غنيم**، مراجعة **الدكتور محمد عثمان نجاتي**.

★ **«الأنا والهو»**، تأليف **سيجموند فرويد**، ترجمة **الدكتور محمد عثمان نجاتي**.

★ **«إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين»**، تأليف **الدكتور العربي فرج محمود فرج**.

★ **«التعلم»**، تأليف **ساروتوف مدنيكو وآخران**، ترجمة **محمد عماد الدين إسماعيل**.

● **«آثاره»**، عنوان **الأعمال الكاملة للبشير الإبراهيمي**، صدرت عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**.

سورية

معرض للكتاب العربي

أقيم بدمشق خلال شهر صفر ١٤٠٧هـ، معرض للكتاب العربي في مكتبة الأسد بدمشق، وذلك بمشاركة العديد من دور النشر المحلية والعربية.

احتوى المعرض على العديد من الكتب التراثية والكتب الجديدة التي شملت مختلف العناوين في شتى التخصصات.

الزاوية الطبية

التريكتيلا
TRECTELA

أحدث مرض في طابور الأمراض التي تنتج عن الطعام والشراب يسمى **(التريكتيلا TRECTELA)** والمرض الجديد عمره في **الوطن العربي** ١٥ سنة فقط ولم يكن معروفاً قبل ذلك وإن كان قد عرف في **إنجلترا** كوباء عام ١٩٥٣م، وفي **أمريكا** عام ١٩٥٦م.

والمرض صغير السن وهو يهاجم كل عضلات الجسم ويسبب آلاماً شديدة.. ولا يموت إلا بالغليان لدرجة كبيرة أو بالتجميد تحت الصفر..

وقد بدأ اكتشافه عام **١٩٥٣م**، في إنجلترا بمدينة **ليفربول** حيث انتشر مرض غريب بين الناس يسبب آلاماً شديدة في عضلات الجسم كلها ويصل إلى عضلات العين فيصيبها بانتفاخ وتورم.. وتكرر في عام **١٩٥٦م**، في أمريكا ذلك المرض ثبت أنه التريكتيلا..

وهو مرض يصيب بعض الحيوانات وعلى وجه الخصوص **الفئران والخنازير**. والواقع أنه يصيب الخنازير التي تتغذى على القمامة التي تعيش فيها الفئران بأعداد كبيرة **وهو عبارة عن دودة صغيرة** لا تكاد ترى بالعين المجردة وعندما يصل الطفيل للخنزير يتكاثر بأعداد مهولة ويستقر في العضلات وعندما يأكل الإنسان اللحم نصف نيء تدخل **اليرقات** لجهازه الهضمي وتمر للعضلات وتسبب الأعراض السابقة.

ويبدأ الدور الأول للمرض عندما يكون الطفيل موجوداً في أمعاء الإنسان فيسبب قيئاً وغثياناً وفقداناً للشهية ومغصاً وإسهالا في البطن، وتستمر هذه الأعراض حوالي أسبوع يصحبها ارتفاع في درجة الحرارة..

ويأتي الدور الثاني حينما تنتقل اليرقات للعضلات عن طريق الدم وتصل لعضلة القلب والحجاب الحاجز علاوة على العضلات الأخرى ويصاب المريض بالهزال وفقدان الشهية مع ارتفاع درجة الحرارة..

ويصل الدور الثالث حينما تغطي اليرقات نفسها بأكياس وتستمر هكذا



★ محمد مهدي الجواهري ★ الشيخ صبحي الصالح ★ البشير الإبراهيمي ★

كتب جديدة

● « **الجمهرة** » ، **مجموعة شعر الشاعر محمد مهدي الجواهري** ، صدرت ضمن سلسلة **موسوعة الشعر العربي بدمشق** عن **وزارة الثقافة السورية** .

● « **الأفعى والراعي** » ، تأليف **نظمية أكراد** ، صدر عن **اتحاد الكتّاب بدمشق** .

● « **عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة** » ، **لجلال الدين السيوطي** ، **تحقيق عبد الله محمد الدرويش** ، صدر عن **دار الإيمان بدمشق** .

● « **رقصات الورد والجنون** » ، **مجموعة شعرية للشاعر يوسف طافش** ، صدرت عن **اتحاد الكتّاب الفلسطينيين – فرع سورية –** .

● « **حديث الجراح** » ، **آخر ديوان شعر للشاعر الراحل شكري هلال** ، صدر عن **اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **شرفة على الفاكهاني** » ، **مجموعة قصصية للقاصة لبانة بدر** ، صدرت عن **دائرة الثقافة والإعلام بدمشق** .

● « **الولاة الثانية للمسرح في سورية ١٩٥٥ – ١٩٨٠ م** » ، **تأليف جان الكسان** ، صدر ضمن **منشورات اتحاد الكتّاب العرب بدمشق** .

● « **تنهدات الجفاف** » ، **ديوان شعر للشاعر محمود السرساوي** ، صدر عن **دار شاهين بدمشق** .

● « **حياة الصحابة** » ، تأليف **الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي** ، **تحقيق نايف العباسي ومحمد علي دولة** ، صدر عن **دار القلم بدمشق في أربعة أجزاء** .

لبنان

اغتيال صبحي الصالح

انتقل إلى رحمة الله تعالى **المفكر الإسلامي الدكتور صبحي الصالح** ، أحد أبرز رجالات الفكر في لبنان والعالم الإسلامي ، ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في لبنان ، والأستاذ بالجامعة اللبنانية ، وذلك على إثر اغتياله في اليوم الرابع من شهر صفر ١٤٠٧ هـ .

والدكتور الصالح من مواليد عام ١٩٢٦ م .

كان رحمه الله بالإضافة إلى نشاطاته المتعددة في خدمة الإسلام قد درّس في **جامعات سورية ، ولبنان ، والعراق ، والأردن** ، وحاضر في عدة جامعات كأستاذ زائر ، ومن ضمنها **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، وجامعات عربية أخرى .

وله **العديد من الكتب الدينية واللغوية والأدبية والفكرية** ، ومن ضمنها :

★ مقاييس النقد عند المحدِّثين .

★ تجربة التعريب في المشرق العربي .

★ أثر الدراسات التاريخية في علوم القرآن .

كما ألقى العديد من المحاضرات في أماكن مختلفة ، ولعل آخرها محاضرة ألقاها في مدينة **الرباط** بالمغرب في إطار الندوة التي نظمتها **الأكاديمية المغربية** وحضرها حشد من العلماء المسلمين ، وكان عنوان المحاضرة « **الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية** » .

كما كان آخر تقدير لهذا العالم الجليل أن منحته **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس جائزتها في (التفكير**

سنوات طويلة . . ونلاحظ أن الأشعة يمكنها اكتشاف وجودها بسهولة .

ويستحيل اكتشاف المرض في دوره الأول لأن هذه الأعراض تختلط مع أعراض عسر الهضم والتسمم الغذائي ولكن يمكن معرفة المرض بعد ذلك عند تورم العين والعضلات وارتفاع درجة الحرارة ٤٠° .

وتفسير ورم العين بالذات يعود لحركة عضلة العين الدائمة وهي أكثر العضلات حركة مما يجذب البرقات للسكن داخلها . .

ويتم الكشف عن المرض بإجراء فحص للدم لتحديد عدد **كرات الدم البيضاء** ، أو عن طريق الفحص الميكروسكوبي لعضلات المريض . . وهي عموماً في عضلات الكتف والسمانة ، والعلاج لهذا المرض ناجح بدرجة كبيرة جداً أثناء وجود الطفيل في الجهاز الهضمي ولكن هنا فقط يتم العلاج عن طريق إعطاء عقار – مينتازول – Mentasol – الذي يقضي على المرض تماماً في أقل مدة ممكنة هي ثلاثة أيام . .

أما إذا وصلت البرقات للعضلات فإن العلاج يصعب لأنه يتركز على تخفيف الألم عن المريض بإعطاء المسكنات ويضطر بعض الأطباء إلى إعطاء الكورتيزون Corteson. لتخفيف حدة المرض الذي يستمر عدة أشهر ولكن نلاحظ أن الكورتيزون ليس له أي تأثير على البرقات المتكيسة داخل العضلات .

والمرض ليس له أية مضاعفات إلا إذا وصل عضلة القلب . . عندها يصبح خطيراً جداً ، إذ يصيب القلب بالضعف الشديد وقد يؤدي ذلك لمضاعفات شديدة . .

ونلاحظ أن المرض قد يوجد في حالات كثيرة مصابة وتظهر عليها أعراض إكلينيكية ولا تكتشف إلا مصادفة أو بعد عمل بحث كبير ومسح شامل كما حدث في إنجلترا وأميريكا حيث تستهلك كميات كبيرة من لحم الخنزير .

ونلاحظ أن المرض يتركز في الوطن العربي بنسبة كبيرة في مصر ولبنان وسورية ودول المغرب العربي وسجلت دول الخليج أقل نسبة للإصابة بهذا المرض الخطير . .

ترجمة : الدكتور بهاء لطفي قابيل
الشرقية – مصر


★ عبد الكريم نيازي ★


★ عبد الله كنون ★


★ د. علي صبح ★

الاجتهادي في الإسلام) وذلك بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتب جديدة

● «**فارس العرب والقضية**»، تأليف **عبد الكريم نيازي**، صدر في **بيروت**.

● «**الجماعة الأوروبية: تجربة التكامل والوحدة**»، تأليف **الدكتور عبد المنعم سعيد**، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت**.

● «**التعريب والقومية العربية في المغرب العربي**»، تأليف **الدكتورة نازلي معوض أحمد**، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت**.

● «**الشعوب والأدب**»، بقلم **الدكتور خليل إبراهيم**، صدر في **بيروت**.

● «**علم الاجتماع السياسي**»، تأليف **توم بوتومور**، ترجمة **الدكتور وفيق نظمي**، صدر عن **دار الطليعة في بيروت**.

● «**الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها**»، تأليف **الدكتور محمد لبيب شقير**، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت**.

● «**الرد القرآني على كتيب ـ هل يمكن الاعتقاد بالقرآن**»، تأليف **عبد الله كنون**، صدر عن **دار الكتاب اللبناني ببيروت**.

● «**دراسات في التربية الإسلامية**»، إعداد **الدكتور تركي رابح**، صدرت عن **المؤسسة الجامعية ببيروت**.

● «**الجهاد.. والحقوق الدولية العامة في الإسلام**»، تأليف **ظافر القاسمي**، صدر عن **دار العلم للملايين ببيروت**.

● «**النظم الدبلوماسية في الإسلام**»، تأليف **الدكتور صلاح الدين المنجد**، صدر عن **دار الكتاب الجديد ببيروت**.

● «**أمراض القلب والشرايين**»، تأليف **الدكتور محمد ياسين**، صدر عن **دار الكتاب اللبناني ببيروت**.

● «**الموانئ السعودية على البحر الأحمر ـ دراسة في الجغرافيا الاقتصادية**»، تأليف **الدكتور محمد أحمد الرويثي**، صدر عن **مؤسسة الرسالة ببيروت**.

● «**مطالب المستقبل... هموم، وتساؤلات**»، تأليف **الدكتور قسطنطين زريق**، صدر عن **دار العلم للملايين ببيروت**.

● «**ثلاث مدن أندلسية في شعر عبد الوهاب البياتي**»، دراسة أعدها **الدكتور بدرو مارتينيز مونتابت**، ترجمة **الدكتور محمد عبد الله الجعيدي**، صدرت عن **دار «أيف» للطباعة والنشر ببيروت**.

● «**العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية**»، تأليف **الروسية بيانكا ماريا سكاكا**، ترجمة **سمير سعد**، صدر عن **دار ابن خلدون ببيروت**.

● «**القلب في الصحة والمرض**»، تأليف **الدكتور سعيد الصائغ**، صدر عن **دار العلم للملايين ببيروت**.

● «**شرح خطبة الزهراء**»، تأليف **نزيه قميحة**، صدر عن **مؤسسة الوفاء ببيروت**.

● «**النقد والحداثة مع دليل ببليوغرافي**»، تأليف **الدكتور عبد السلام المسدي**، صدر عن **دار الطليعة ببيروت**.

● «**البحث عن النقد الأدبي الجديد**»، تأليف **محمد ساري**، صدر عن **دار الحداثة ببيروت**.

● «**أزمة المواد الأولية في الرأسمالية المعاصرة**»، تأليف **مجموعة من الكتّاب السوفيات**، ترجمة **حسان إسحق**، صدر عن **دار الكتاب الحديث ببيروت**.

● «**ضرورة التراث**»، تأليف **فكتور سحاب**، صدر عن **دار العلم للملايين بيروت**.

● «**مالك بن نبي... مفكراً إصلاحياً**»، تأليف **الدكتور أسعد**، صدر في **بيروت**.

● «**مختصر تفسير ابن كثير ج ١، ج ٢**»، اختصار **الشيخ محمد كريّم راجح**، صدر عن **دار المعرفة ببيروت**.

● «**أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن**»، إعداد **الشيخ محمد كريّم راجح**، صدر عن **دار المعرفة ببيروت**.

المغرب

مهرجان أغادير للفنون

أقيم مهرجان عربي إفريقي للفنون الشعبية بمدينة **أغادير** المغربية.

شاركت فيه عدة وفود تمثل أكثر من (٢٠) دولة من العالم العربي وإفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية.

وعلى هامش هذا المهرجان الأول من نوعه في هذه المدينة أقيمت عدة احتفالات ومسابقات رياضية ومعارض للفنون التشكيلية والصور الفوتوغرافية ومعروضات للصناعة التقليدية.

الجدير بالذكر أن المعرض أو المهرجان قد أقيم خلال شهر صفر ١٤٠٧هـ، الماضي.

كتب جديدة

● «**الإتحاف الوجيز.. تاريخ العدوتين**»، تأليف **محمد بن علي**، تحقيق **مصطفى بوشعراء**، صدر عن **الخزانة العلمية بمدينة سلا**.



★ ثروت أباظة ★



★ د. غالي شكري ★

● «أنوال»، مسرحية شعرية للشاعر محمد الحلوي»، صدرت عن شركة الطبع والنشر بالدار البيضاء.

● «فيضان الثلج»، ديوان شعر للشاعر حمد المسبّح»، صدر عن دار قرطبة بالدار البيضاء.

الكويت

معرض للكتاب العربي

في السابع عشر من هذا الشهر وحتى السادس والعشرين منه يقام **معرض الكتاب العربي الثاني عشر**، حيث سيشارك فيه العديد من دور النشر المحلية والعربية، وستعرض فيه العديد من الكتب القديمة والحديثة في مختلف التخصصات.

كتب جديدة

● «**الحكايات الشعبية الكويتية** ـ دراسة مقارنة»، بقلم **صفوت كمال**، صدر عن **وزارة الإعلام الكويتية**.

مصر

كتب جديدة

● «**عمود الشعر عند الآمدي**»، تأليف **الدكتور علي صبح**، صدر في **القاهرة**.

● «**بناء النص التراثي**»، بقلم **الدكتورة فدوى مالطي دوجلاس**، صدر عن **الهيئة العامة للكتاب بمصر** ضمن سلسلة «**دراسات أدبية**».

● «**النهر لا يحترق**»، رواية للكاتب **ثروت أباظة**، صدرت في **القاهرة**.

● «**الوفاق الدولي والأمن القومي العربي**»، تأليف **حسن طوالبة**، صدر في طبعته الثانية عن **دار الموقف العربي بالقاهرة**.

● «**دراسة إسلامية في العمل والعمال**»، تأليف **لبيب السعيد**، صدرت في **كتاب بالقاهرة** ضمن سلسلة «**قضايا إسلامية**».

● «**لغة الكيمياء عند الكائنات الحية**»، تأليف **الدكتور أحمد مدحت إسلام**، صدر في **القاهرة**.

● «**الحب رمياً بالرصاص**»، **مجموعة قصصية للقاص العراقي عبد الستار ناصر**، صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** ضمن سلسلة «**الإبداع العربي**».

● «**هذا زمانك**»، **ديوان شعر للشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن**، صدر **في القاهرة**.

تونس

كتب جديدة

● «**الثقافة العربية في تونس**»، تأليف **الدكتور غالي شكري**، صدر في **تونس**.

الإمارات العربية

معرض للكتاب

أقامت اللجنة الثقافية بنادي رأس الخيمة الثقافي الرياضي معرضاً للكتاب، وذلك خلال شهر صفر ١٤٠٧هـ.

شارك في المعرض بعض دور النشر المحلية، بالإضافة إلى مكتبات خاصة، وبلغت المعروضات أكثر من ثلاثة آلاف كتاب في مختلف التخصصات.

محاضرات

● «**الولاء في الإسلام**»، **محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين بجامع الغنام بالزلفي**.

● «**دور الأئمة في الدعوة**»، **محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله عمر نصيف بمعهد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة**.

● «**ازدهار العلم في الأمة منوط بطلابه**»، **محاضرة ألقاها عبد الفتاح أبو غدة بنادي أبها الأدبي**.

● «**الصور البيانية في شعر البحتري**»، **محاضرة ألقاها الدكتور طه أبوكريشة بنادي المدينة المنورة**.

● «**الحريجون والمركز الوظيفي**»، **محاضرة ألقاها الدكتور محمد عبده يماني بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**.

● «**أسباب التغير المناخي في عصر البلايستوسين وما قبله** ـ دراسة في الجغرافية التاريخية»، **محاضرة ألقاها الدكتور طلعت أحمد عبده بكلية آداب جامعة الملك سعود**.

● «**القافية في الشعر العربي، وآراء النقاد حول لزومها**»، **محاضرة ألقاها الأستاذ علي محمد العمير بنادي المدينة المنورة الأدبي**.

● «**دور علماء العرب والمسلمين في العلوم التجريبية**»، **محاضرة ألقاها الدكتور علي عبد الله الدفاع بنادي جدة الأدبي**.

● «**أسطورة الموضوعية في الصحافة الغربية**»، **محاضرة ألقاها الدكتور عمر الخطيب بنادي الرياض الأدبي**.

● «**الذات وحضارة الآخر**»، **محاضرة ألقاها الدكتور سعد البازعي بفرع جمعية الثقافة والفنون بجدة**.

★ ★ ★

قطر

المهرجان الثاني للفنون الشعبية

أقيم في الدوحة المهرجان الثاني للفنون الشعبية لشباب الخليج العربي، وذلك خلال الفترة الواقعة بين ١٥ و١٩ من شهر صفر ١٤٠٧هـ، الماضي.

أقيمت في هذا المهرجان العروض الشعبية والمعارض التشكيلية، ومعروضات النادي العلمي، وبمشاركة مندوبين من دول الخليج.

الأردن

دار نشر أردنية

بهدف النهوض بواقع الحركة الثقافية في الأردن، وتعزيز الصلات الثقافية بين الكتّاب والناشرين العرب، والتعريف بالثقافة العربية، **فقد قررت الحكومة الأردنية إنشاء دار نشر أردنية لهذا الغرض.**

المعروف أن الكتاب الأردني يعاني من محدودية الانتشار، الأمر الذي سوف تحقق هذه الدار الكثير من المزايا وعلى رأسها انتشاره وتوزيعه في الساحة العربية.

كتب جديدة

● **«احتفال الشبابيك بالعاصفة»، ديوان شعر للشاعر عمر شبانة**، صدر عن **رابطة الكتّاب الأردنيين بعمّان.**

فلسطين

كتب جديدة

● **«لكي نحرث الأرض»**، بقلم الكاتب الفلسطيني **شفيق الحوت**، صدر عن **دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت.**

ألمانيا

فوز باحث سعودي

حصل البحث الذي تقدم به الدكتور السعودي سعد اليوسف، وهو استشاري أمراض قلب الأطفال بالمستشفى العسكري بالرياض **على المركز الأول في مجال أمراض القلب.**

وكان الدكتور اليوسف قد تقدم به إلى المؤتمر الألماني الذي عقد في مدينة **«آخن»** الألمانية خلال الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر محرّم ١٤٠٧هـ، الماضي، هذا المؤتمر الذي اشترك فيه ٥٠٠ طبيب قلب أطفال من (١٢) دولة. هذا وقد تناول البحث **«طريقة توسعة ضيق مضاعف للوريدين الأجوفين العلوي والسفلي، وذلك باستخدام البالونة المزدوجة دون الحاجة إلى عملية جراحية».**

والجدير بالذكر أن المملكة قد شاركت في هذا المؤتمر بثلاثة بحوث تناولت تشخيص وعلاج أمراض قلب الأطفال في المستشفى العسكري بالرياض.

وتقديراً للدكتور اليوسف فقد **وافقت الأكاديمية الألمانية لقلب الأطفال** التي تعد من أبرز الأكاديميات العلمية في هذا المجال، وافقت على **عضويته** كأحد أعضاء هذه الأكاديمية التي لا يتولى هذا المركز فيها إلا من برز في مجال عمله على مستوى العالم.

معرض عن فن العاج

أقيم في العاصمة الألمانية (بون) معرض حول **آثار مصر القديمة** تحت عنوان **«فن العاج في مصر القديمة»**، وذلك في مدينة **«ايرباخ»** في منطقة **(أودنفالد)** القريبة من مدينة **فرانكفورت** التي تضم متحفاً هو الوحيد من نوعه في العالم، هو متحف **«العاج الألماني»**، حيث تم الاحتفال بالذكرى العشرين على إنشائه، وبمرور مائتي سنة على تأسيس فن حفر العاج وتصنيعه في هذه المدينة.

الجدير بالذكر أن المعرض سيستمر حتى نهاية هذا الشهر (ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٦م).

معرض دولي للكتاب

أقيم في مدينة فرانكفورت المعرض الدولي الثامن والثلاثون للكتاب وذلك خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦م.

شارك في هذا المعرض الذي يقام سنوياً العديد من دور النشر العالمية، وعرضت فيه أحدث العناوين في مجال التأليف وفي مختلف التخصصات.

صحيفة جديدة

صدر في الأسواق البريطانية العدد الأول من صحيفة **«ذي انديبندنت»**، حيث طبع منه أكثر من (٦٣٠) ألف نسخة في أربعة مراكز إقليمية.

ويعمل في هذه الصحيفة الجديدة حوالي ٣٥٥ شخصاً يستخدمون أحدث الأجهزة التكنولوجية. وتتكون من ٣٢ صفحة تشتمل على أبواب متنوعة، منها الأخبار المحلية والتقارير الخارجية وصفحات الأدب والفن.

أحدث الكتب

● **«البراءة»**، رواية بقلم **بينلوب فيتز جيرالد**، صدرت في **لندن.**

● **«هكذا قال الصياد»، رواية الكاتب البريطاني المسلم المتوفى عام ١٩٣٦م، مارمادوك بكتهول**، صدرت حديثاً عن **دار النشر كوارتيت اللندنية.**

● **«مارمادوك بكتهول»**، تأليف **بيتر**

رسائل جامعية

●● «الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد عبد الله بن صالح العريني.

●● «دراسة دوائية مقارنة بين سم الثعابين (بيتس ارتيانس) الأفعى النافثة، و(بيتس جابونيكا) أفعى الجابون»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد محمد سليمان الأحيدب.

●● «الفوائد المحصورة في شرح المقصورة»، تأليف محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفى سنة ٥٧٧ هـ، دراسة وتحقيق محمد حامد خلف، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب بالرباط.

●● «اتجاهات وقضايا النقد العربي في القرن الرابع الهجري ومدى تأثرها بالقرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد الوطني للتعليم العالي في باتنة بالجزائر، تقدم بها السيد الطاهر حليس.

كلارك، صدر عن كوارتيت اللندنية.

● «تقنيات وأعمال تحويل الخشب»، تأليف بروس تولتير، صدر عن شركة أرجوس بوكس.

● «حروب البحار بين عامي ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م»، تأليف جوناثان جريموود، صدر عن مطبعة بلاند فورد.

● «الجيش السوفياتي منذ عام ١٩١٨م، وحتى الآن»، تأليف ألبيرت وجوان سيتون، صدر عن شركة بودلي هيد.

● «زيارة إلى كينيا»، تأليف جون بريجدين، صدر عن شركة باتسفورد.

● «صور من البيرو»، تأليف طوني هوتشكينز وديلوين جينكينز، صدر عن شركة بيل وهايمان.

● «مزروعات الحدائق»، تأليف روي لانكاستر، صدر عن شركة بيل وهايمان.

● «الصين والقوى العظمى»، تأليف روي مادفيديف، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.

● «جورباتشوف»، تأليف زورس مادفيديف، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.

● «تروتسكي: سيرة حياة»، تأليف دافيد كينج، صدر عن شركة بازيل بلاكويل.

● «الأميريكيون في باريس: الرسامون والأدباء الأميريكيون الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية»، تأليف همفري كاربينتز، صدر عن شركة ألن ـ وأنوين بلندن.

● «الأيام الأخيرة للرايخ»، تأليف جيمس لوكاس، صدر عن شركة آدمز أند آرمور.

● «علاج الحساسية الغذائية»، تأليف جويان دافيس، صدر ضمن مطبوعات أوارد.

● «الإفريقيون»، تأليف علي مزروي، صدر عن شركة كتب بي. بي. سي.

● «مباراة القرن: المباراة الثالثة بين كاسباروف وكاربوف»، تأليف ريموند كين ودافيد جودمان، صدر عن شركة جون بارتولوميو.

أمريكا

●● أحدث الكتب ●●

● «جنوب إفريقيا ـ الزمن بدأ ينضب»، دراسة أعدتها لجنة مكونة من عدة خبراء، صدرت في طبعتها الثانية عن جامعة كاليفورنيا.

● «مدخل للأدب الفيتنامي»، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن جامعة كولومبيا.

● «ابيضاض الدم «الليوكايميا» الحاد والمزمن عند الكبار»، تأليف كلارا بلومفيلد وويليام مك غوير، صدر عن شركة مارتيناس نيجوف للنشر.

● «سرطان الرئة: طرق التشخيص وأسلوب العلاج وإرشادات خاصة بالمعالجة الشعاعية»، تأليف تشارلز سكارانتينو، صدر عن شركة سبرينجر فيرلاج للنشر بنيويورك.

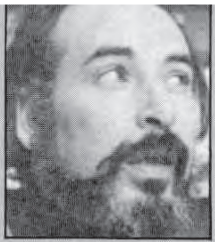
● «المدارس الطبية الحديثة والمستحدثة من منتصف القرن الحالي حتى أعوام الثمانينات»، تحليل للتطورات التي طرأت على مدارس تخريج الأطباء»، تأليف ر. شوفيلد، صدر عن شركة خوسيه باس للنشر في سان فرانسيسكو.

السنغال

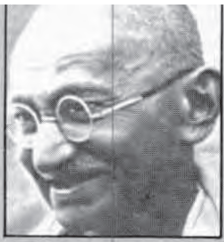
●● اللغة العربية والمدارس ●●

ضمن الاهتمام المتزايد بلغة القرآن الكريم «اللغة العربية» دولياً وعالمياً، تعتزم وزارة التربية الوطنية في السنغال إعطاء تعلم اللغة العربية نفس الأهمية التي تحظى بها اللغات الإنجليزية والألمانية، وذلك بتعليمها لأبناء المدارس في البرنامج العام.

ولهذا فقد تقرر إيفاد خمسين طالباً إلى موريتانيا لتعلم اللغة العربية، كما وافقت موريتانيا بدورها على إرسال أساتذة لتعليم العربية في



★ الطاهر بن جلون ★



★ المهاتما غاندي ★

المعهد العربي الفرنسي بمدينة لويا السنغالية .

فرنسا

أحدث الكتب

● «طفل في الرمال»، رواية للكاتب **المغربي الطاهر بن جلون**، صدرت في **باريس** .

● «**العالم العربي والمرأة**»، بقلم **الكاتبة المغربية غيتا الخياط**، صدر في **باريس** عن **دار لامارتين** .

الصين

موسوعة عن الزهور

يعكف (٨٠) عالماً وخبيراً صينياً من المتخصصين بزهور الحدائق على تأليف وإعداد **موسوعة علمية حول الزهور في الصين**، حيث ستتضمن التعريف بأكثر من (١٧٠٠) نوع من الزهور من حيث أسمائها وتصنيفاتها العلمية وتاريخ زراعتها، وصفاتها المميزة من النواحي البيئية والتشريحية، وقيمتها الجمالية والاقتصادية .

كما ستتضمن رسوماً وصوراً لأنواع من الزهور التي ستتناولها الموسوعة .

كندا

أحدث الكتب

● «**البريطانيون**»، تأليف **ستيفن هاندلمان**، صدر عن **شركة كولينز** .

● «**مدن كندا الكبرى**»، تأليف **ايلما سكيمينور**، صدر عن **شركة سيلفر بورديت** .

● «**الحساسية والأطفال**»، تأليف **مجموعة من الأطباء**، صدر عن **مطبعة كيدس كان** .

● «**حيوانات القطب الشمالي**»، تأليف وتصوير **فريد برومير**، صدر عن **شركة مك كليلاند وستيوارت** .

● «**القذافي**»، تأليف **هاري جريجوري**، صدر عن **شركة بيير جاكس** .

● «**السياسات في كندا : الثقافة والتنظيمات الاجتماعية والأمن الوطني**»، تأليف **جاكسون**، صدر عن **شركة برينتيس هول** .

● «**كندا والعالم : أطلس جغرافي وبشري**»، تأليف **جيوفري ماثيوس وروبرت مورو**، صدر عن **شركة برينتيس هول** .

● «**رحلة إلى عالم الحيتان**»، تأليف **هال وايتهيد**، صدر عن **شركة ستودارت** .

استراليا

أحدث الكتب

● «**عالم الأديان**»، تأليف **ماكس تشارلز وورث وروبرت اينجبين**، صدر عن **شركة هيل أوف كونتينت** .

● «**علاقاتنا بالأطفال**»، تأليف **الدكتور شيلي فيليبس**، صدر عن **مطبعة كانجارو** .

● «**ماركوس : السقوط**»، تأليف **جون ليونز وكارل ويلسون**، صدر عن **شركة كانجارو** .

● «**موسوعة السراخس**»، تأليف **دافيد جونز**، صدر عن **شركة لوثيان بوكس** .

● «**المخترعون**»، تأليف **جيوفري دوتون**، صدر عن **ماكميلان** .

● «**التاريخ القصير لأستراليا**»، تأليف **مانينغ كلارك**، صدر عن **شركة ميد وبيكيت** .

● «**عالم الأعماق والشعاب المرجانية**»، تأليف **روجر ستين**، صدر عن **شركة ميد وبيكيت** .

● «**كتاب بنجوين حول شاعرات أستراليا**»، تأليف **سوزان هامبتون وكيت ليولين**، صدر عن **شركة بنجوين** .

● «**دراسة السكان**»، تأليف **ميسيل وآل**، صدر عن **مطبعة بيرجامون** .

● «**المخدرات في أستراليا**»، تأليف **براون وآل**، صدر عن **مطبعة الجامعة الوطنية الأسترالية** .

● «**فهم الجسم البشري**»، تأليف **ر. و. ا. تيودور**، صدر عن **شركة بيتمان** .

● «**الفرانكوفونية : المنظمات والتعاون**»، تأليف **ويليام بوستوك**، صدر عن **شركة مطبوعات ريفر سين** .

الهند

أحدث الكتب

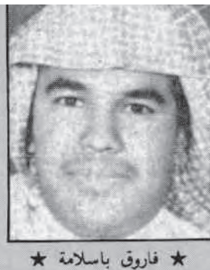
● «**أهم خصائص تاريخ وثقافة آسيا**»، تأليف **أوباندرا تاكور**، صدر ضمن **مطبوعات أبهيناف** .

● «**التقارب الكبير : دراسة الأدب الهندي ـ الأمريكي والعلاقات الثقافية**»، تأليف **ر. جوبتا**، صدر ضمن **مطبوعات أبهيناف** .

● «**دور الأقليات في الكفاح التحرري**»، تأليف **أسغار علي**، صدر عن **شركة كتب أجانتا** .

● «**الهند منذ الاستقلال : دراسات حول تطور قوة وإمكانات الدولة**»، تأليف **ت. ساتيامورتي**، صدر عن **شركة كتب أجانتا** .

● «**الدولة وسياساتها في الهند العصرية**»، تأليف **موين شاكير**، صدر عن **شركة كتب أجانتا** .



★ فاروق باسلامة ★



★ أحمد بهجت ★

● «دراسة مفصلة للهند القديمة»، تأليف بونجارد ليفين، صدر عن شركة كتب أجانتا.

● «الطائفية في الهند»، تأليف أسغار علي، صدر عن شركة كتب أجانتا.

● «قافلة الألم: قصائد فيض أحمد فيض»، بقلم خالد حسن، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «الفلسفة الهندية»، تأليف نيليما شاكرافارتي، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «اليوجا: مبادئ الممارسة والفوائد الصحية»، تأليف جيتا ليينجار، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «المهاتما غاندي»، تأليف شانجار غوز، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «آفاق التنمية الدولية»، تأليف مكي متو وا، صدر عن مطبوعات الأيد.

● «تطور الفكر السياسي الإسلامي في الهند»، تأليف أ. زايدي، صدر عن شركة س. شاند.

ايرلندا

•• أحدث الكتب ••

عن مطبعة ابليتري صدرت الكتب التالية:

★ «أيرلندا: الدليل السياحي والجغرافي».

★ «أين تذهب في أيرلندا»، صدر ضمن سلسلة كتاب الجيب.

★ «انطباعات عن دبلن»، دليل مصور عن العاصمة دبلن.

★ «دليل الطيور الأيرلندية»، تأليف جوردون داركي.

● «مائة من العظماء الأميريكيين ذوي الأصل الأيرلندي»، تأليف باتريك جالاجير، صدر عن شركة رينبو.

أخبار الغد

السعودية

•• كتب جديدة ••

● «فائدة من كتاب»، إعداد فاروق باسلامة، سيصدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

● «آخر رسالة إليها»، ديوان شعر للشاعر إبراهيم أبو عجمية، سيصدر عن فرع جمعية الثقافة والفنون بأبها.

مصر

•• كتب جديدة ••

● «من أوراق شاب كان يعيش طويلاً»، ديوان شعر للشاعر الدكتور أحمد عبد الرحمن الشرقاوي، سيصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

● «حوار بين طفل ساذج وقط مثقف»، تأليف أحمد بهجت، سيصدر عن دار الأهرام.

● «قصص القرآن»، كتاب للأطفال، تأليف أحمد بهجت، سيصدر عن دار الأهرام.

العراق

•• كتب جديدة ••

● «الفكر الحر في القرن التاسع عشر»، سيصدر مترجماً في العراق إلى العربية بترجمة يوسف ثروة.

المغرب

•• كتب جديدة ••

● «العصارة الخالدة»، جمع وتأليف نور الدين موهدي، سيصدر في المغرب.

سورية

•• كتب جديدة ••

● «الجواهري في عيون من أشعاره»، مختارات من دواوين الجواهري الخمسة، سيصدر عن وزارة الثقافة السورية.

أمريكا

•• أحدث الكتب ••

● «أدب الجزيرة العربية»، مجلد ضخم، سيصدر عن مؤسسة (بروتا) للثقافة العربية.

● «مذكرات بوبي»، تأليف لويس أوشينكلوس، سيصدر في نيويورك.

كتب وردت الى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

ويسألونك عن المرأة

تأليف **عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي**. تناول فيه معالجة الكثير من قضايا المرأة في ضوء **أحكام الشريعة الإسلامية** ومن خلال استعراض النصوص الثابتة واجتهاد العلماء. يقع الكتاب في (٢٥٦) صفحة من القطع المتوسط. طبع في **مطابع ثنيان ـ بغداد**.

مرافعة في الوطن المحتل

مجموعة شعرية للشاعر **مصطفى عبد الكريم الغدير**، عكس من خلالها انفعالاته من خلال معايشته لجراحات المناضلين من أبناء الأرض المحتلة. طبع الكتاب **بمطبعة الفيصل بسورية**، ويقع في (٨٦) صفحة من القطع الصغير.

مواويل شتائية

تأليف **الشاعر إبراهيم سعيد أبو صيام**. يضم الديوان مجموعة شعرية تعكس هموم وتطلعات الشعب الفلسطيني وهو يخوض كفاحه لاسترداد الأرض وبناء الغد الزاهر. صدر الكتاب عن **دار شركة مطابع نجد التجارية بالرياض**، ويقع في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير.

كل ما تريد أن تعرفه عن مرض نقص المناعة المكتسبة «ايدز»

تأليف **الدكتور حرب عطا الهرفي**. تناول فيه التعريف بمرض نقص المناعة المكتسبة، مبيناً تاريخ اكتشافه وخطورته، مع توضيح أسباب انتشاره. صدر الكتاب ضمن مطبوعات **تهامة**، ويقع في (١٢٦) صفحة من القطع الصغير.

الابتسام في الأيام الصعبة

مجموعة قصص قصيرة تأليف **الأستاذ فاضل السباعي**. تتميز بأسلوبها الواقعي وصورها المعبّرة في نقل مشاهد من صميم الحياة والواقع. صدر الكتاب عن **الشركة التونسية للتوزيع**، ويقع في (١٣٦) صفحة من القطع الصغير.

مذنب هالي
عبر التاريخ العربي

كتيب من تأليف **الأستاذ محمد عبد الفتاح أبو غدة**. يضم بحثاً عن فترات ظهور مذنب هالي عبر التاريخ العربي الإسلامي من خلال ما جاء في كتابات المؤرخين المسلمين، وذلك ابتداءً بعام ٦٠٧ الميلادي. يقع الكتيب في (٦٦) صفحة من القطع الصغير وصدر برقم [٤٧] ضمن سلسلة **«المكتبة الصغيرة»** التي تصدرها **دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض**.

تاريخ فاتح العالم
جهانكشاي

تأليف **عطا ملك الجويني** حاكم بغداد بعد **هولاكو**، وقد نقله عن **الفارسية الدكتور محمد التونجي** الأستاذ بجامعة حلب. تقع الترجمة في مجلدين ويتناول الكتاب تاريخ **المغول والخوارزميين والإسماعيلية** برواية شاهد عيان ومستمع مباشر عن الثقات، حيث إن المؤلف من الشخصيات البارزة في عصر المغول، صدر الكتاب عن **دار الملاح للطباعة والنشر**.

التراث الثقافي للأجناس البشرية في إفريقيا بين الأصالة والتجديد

تأليف **الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر**. يتناول الكتاب دراسة الجغرافية البشرية للشعوب الإفريقية وتراثها الثقافي، حيث يتحدث عن الفنون الإفريقية وأصالتها واللغات الإفريقية ودورها الثقافي، وكذلك العادات والتقاليد ودور الجهود الإسلامية في تحرير الشعوب الإفريقية من الأساطير والخرافات التي تكتنفها. صدر الكتاب ضمن إصدارات **النادي الأدبي الثقافي بجدة**، ويقع في (٢٢٨) صفحة من القطع الصغير.

من كتاب هذا العدد



محمد بن علي العلوي

★ من مواليد فاس ـ المغرب ١٣٤٠ هـ .

★ الكفاءة في التعليم الابتدائي .

★ عمل في حقل التدريس الابتدائي مدة ٣٢ عاماً ، وهو الآن متقاعد .

★ له ديوان شعر ومجموعة قصص وبعض المقالات لم تطبع .

★ نشر أعماله في مجلات وبواسطة الإذاعة والتلفاز .



د . عبد الحكيم عامر

★ من مواليد حلب ـ سورية عام ١٩٢٧ م .

★ دكتوراه في الطب ـ جامعة بوسطن ـ أميريكا .

★ يجيد الإنجليزية وشيئاً من الفرنسية والألمانية .

★ شارك في عدد من المؤتمرات الطبية المختصة بالجراحة .

★ يعمل حالياً طبيباً جراحاً في عيادته الخاصة .

★ له عدد من المقالات الطبية بالعربية والإنجليزية ، وسيصدر له كتاب طبي بالإنجليزية .



د . سلوى علي سليم

★ من مواليد القاهرة ـ مصر عام ١٩٤٧ م .

★ دكتوراه علم اجتماع .

★ تعمل مدرسة لعلم الاجتماع الديني في كلية الدراسات الإنسانية ـ جامعة الأزهر ـ فرع البنات .

★ لها كتاب « الإسلام والضبط الاجتماعي » صدر عام ١٩٨٥ م .



كمال عبد الكريم الوحيدي

★ من مواليد غزة ـ فلسطين عام ١٩٣٢ م .

★ ليسانس آداب .

★ يجيد الإنجليزية وشيئاً من الفرنسية والعبرية .

★ عمل في حقل التدريس .

★ يعمل حالياً أميناً لمكتبة في إحدى المدارس في الدوحة ـ قطر .

★ صدرت له ثلاثة دواوين شعرية ، وله دواوين أخرى ومسرحيات ومجموعات قصصية وبحوث تحت الطبع .

إبراهيم فهمي

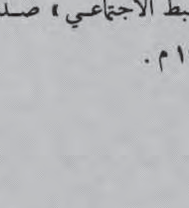
★ من مواليد مصر .

★ طالب ليسانس حقوق .

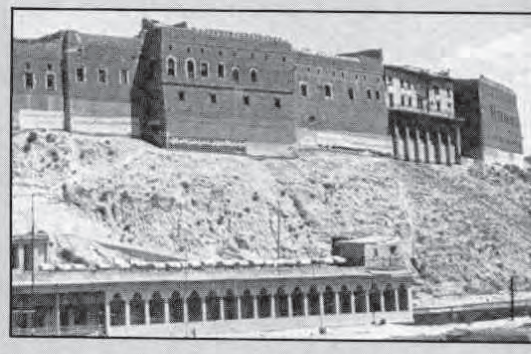
★ حصل على جائزتين في مسابقة نادي القصة .

★ نشر أعماله بالصحف والمجلات المحلية والعربية .

★ له تحت الطبع مجموعة قصصية .



★ يعمل حالياً في إحدى اللجان الثقافية بإحدى الشركات .



●● في دراسة التـاريخ .. وخـاصـة تـاريخ بـلاد الرافدين «العراق» في الأحقاب القـديمة .. نستطيع أن نلمس مدى عراقة وغنى الحضارة الـتي كانـت موجودة فيها .. حضارة يعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد. طالع ص (٤).



●● «الطوطمية»: فكرة دينية، تـتركز فيها الأشياء المقدسة للجماعة، وفيها تـتجسد قوة خارقة، تجعله قادراً ـ لدى من يعتنقها ـ على تجسيد القـداسة بمظهر مادي. طالع ص (٣٠).



●● تعددت أصوات النقاد العرب، ويـأتي الـدكتور «سعد أحمد دعبيس»، واحداً من الأصوات الـداعية إلى الإبداع في الأدب، وإلى إيجاد نظرية عـربية تـتفق وإبداعاتنا المعاصرة. طالع «لقاء معه» على الصفحة (٣٥).

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 117 - 10TH YEAR - NOV./DEC. 1986. — العدد (١١٧) ـ ربيع الأول ١٤٠٧هـ ـ السنة العاشرة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) / كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦م.

رئيس التحرير

عـلوي طه الصـافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات :

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)

الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧

تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

All Correspondence To:

AL-FAISAL MAGAZINE

P.O.BOX 3

RIYADH 11411-Saudi Arabia

Tel: 4653026-4653027. TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٥٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية ذ.م.م

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ ☎ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠

ـدد ●● في هذا العدد ●●

●● لعبة الأمم ●●

